كتــاب مــدرسي

التفسير

القرآن الكريم

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسطنبول: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

إسطنبول: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

اسم الكتاب باللغة التركية: Tefsir (Ders Kitabı)

الترجمة للعربية: التفسير - كتاب مدرسي

ترجمة: د. وليد عبدالله القط / سامي معروف.

تأليف: أبا مسلم يشار أوغلو- إحسان أرقول - نهاد مورجول

إعداد: د. فاروق كانجر / أ. لقمان حلوجي

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨-٩٩٤٤-٨٣-٧٩٩-٦

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

Language : Arabic

العنوان:

دار الأرقم

Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.net
Web site : www.islamicpublishing.net

كتاب مدرسي

المرحلة الدراسية الثانوية

التفســـــير

تأليف

أبا مسلم يَشار أوغلو

إحسان أركول

نهاد مورجول

المحتـــــــــويـــــات

الوحدة الأولى

هيا نتعرف على القرآن/ ١١

١. تعريف القرآن الكريم ١٣

٢. الأسماء الأخرى للقرآن الكريم ١٦

٣. أهداف القرآن الكريم ومواضيعه الرئيسة ١٨

٣-١- أهداف القرآن الكريم ١٨

٣-٢- مواضيع القرآن القرآن الكريم الرئيسية ١٩

٣-٢-١- العقيدة ١٩

٣-٢-٢- العبادات ٢١

٣-٢-٣- الأخلاق ٢٣

٣-٢-٤- الحقوق ٢٥

٤. ميزات القرآن الكريم من حيث البلاغة ٢٦

٤-١- التفوق اللغوي للقرآن الكريم ٢٦

٤-٢- الخطاب في القرآن الكريم ٢٨

٤-٣- القَسَم في القرآن الكريم ٢٨

٤-٤- التكرار في القرآن الكريم ٢٩

٤-٥- القصص في القرآن الكريم ٣٠

٤-٦- الحروف المُقَطَّعة ٣٢

أ. المقصود بالحروف المُقَطَّعة وعددها ٣٢

ب. بعض الآراء بخصوص معاني الحروف المُقَطَّعة ٣٣

٥. السمات الشكلية للقرآن الكريم ٣٤

٥-١- السورة ٣٤

٥-١-١- تعريف السورة ٣٤

٥-١-٢- عدد السور و ترتيبها وطولها و قِصرها ٣٤
٥-١-٣- السور التي نزلت في مكة والتي نزلت في المدينة ٣٥
٥-٢- الآية ٣٦
٥-٢-١- تعريف الآية ٣٦
٥-٢-٢- عدد الآيات ٣٦
٥-٢-٣- ترتيب الآيات داخل السور ٣٧
قطعة للمطالعة: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٨
أسئلة للتقييم ٤٠

الوحدة الثانية

تاريخ القرآن الكريم/ ٤٥

١. نزول القرآن الكريم ٤٧
١-١- تعريف الوحي ٤٧
١-٢- الوحي وأشكال مجيئه ٤٨
١-٣- حال الرسول ﷺ عند تلقي الوحي ٤٩
١-٤- أول الآيات التي نزلت على الرسول ﷺ ٥٠
١-٥- آخر آيات القرآن الكريم نزولاً ٥٠
١-٦- أسباب النزول وأهميتها ٥١
١-٧- الحكمة من نزول القرآن الكريم بشكل تدريجي ٥١
١-٨- البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم ٥٣
١-٩- الكتب السماوية التي نزل بها الوحي قبل القرآن الكريم ٥٤
٢- الحفاظ على القرآن الكريم بالتدوين ٥٧
٢-١- نزول القرآن الكريم، وحفظه شفاهاً وكتابةً ٥٧
٢-٢- جمع القرآن الكريم في شكل المصحف ٥٨
٢-٣- نسخ المصحف ٥٩
قطعة للمطالعة: أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: الصحابي الذي اشتُهر بقراءته ٦٠
أسئلة للتقييم ٦٢

الوحدة الثالثة

عرض القرآن الكريم– التفسير/ ٦٧

١- علم التفسير(تعريفه، مواضيعه وغاياته) ٦٩

١-١- تعريف التفسير ٦٩

١-٢- موضوع التفسير ٦٩

١-٣- الغاية من التفسير ٦٩

٢- أنماط التفسير وخصائصه ٧٠

٢-١- تفسير الرواية (تفسير بالمأثور) ٧٠

٢-٢- خصائص تفسير الرواية ٧٢

٢-٣- تفسير الدراية وخصائصه ٧٤

٣- المفاهيم الأساسية لعلم التفسير ٧٥

هل هناك فرق بين مفهوم التفسير و مفهوم التأويل؟ ٧٥

هل من الممكن ترجمة القرآن الكريم؟ ٧٦

قطعة للمطالعة: قارون ٧٨

أسئلة للتقييم ٨٠

الوحدة الرابعة

تاريخ التفسير/ ٨٥

١- مولد علم التفسير ٨٧

٢- علاقة التفسير بعلم الحديث ٨٨

٣- تحول التفسير إلى علم ٨٩

٤- التفسير في عهد الرسول ﷺ ٩٠

٥- أعمال التفسير في عصر الصحابة ﵃ ٩٢

٦- أعمال التفسير في عصر التابعين ٩٥

٧- أعمال التفسير في عصر أتباع التابعين ٩٨

٨- أعمال التفسير في عصر ما بعد أتباع التابعين ٩٨

٩- أعمال التفسير في العصر الأخير ١٠١

قطعة للمطالعة: أفضل نموذج ١٠٤

أسئلة للتقييم ١٠٦

الوحدة الخامسة

علوم القرآن الكريم/ ١١١

١- الإعجاز والمعجزة ١١٣

٢- وجوه إعجاز القرآن الكريم ١١٤

أ- إعجاز القرآن الكريم من ناحية إخباره بالغيب ١١٤

ب- إعجاز القرآن الكريم من ناحية كونه كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان ١١٥

ج- إعجاز القرآن الكريم من ناحية الأسلوب التعبيري ١١٦

د- إعجاز القرآن الكريم من ناحية الموسيقى و التناغم الصوتي ١١٧

هـ - إعجاز القرآن الكريم من ناحية التأليف ١١٨

و- إعجاز القرآن الكريم من ناحية المحتوى العلمي ١١٨

٢- المُحكم والمُتشابه ١٢٠

٣- آراء بخصوص الآيات المُحكمات والمُتشابهات ١٢٣

٤- أهمية موضوع المُحكم والمُتشابه في تفسير القرآن الكريم ١٢٤

٥- أسباب النزول ١٢٥

٦- النسخ في القرآن الكريم ١٢٦

٧- الحقيقة والمجاز ١٢٨

٨- المُبهمات ١٢٩

٩- الوجوه و النظائر ١٣٠

١٠- غريب القرآن الكريم ١٣٢

قطعة للمطالعة: الإسلام ينبذ العنصرية والتعصب ١٣٥

أسئلة للتقييم ١٣٧

الوحدة السادسة

أشهر المفسرين وخصائص تفاسيرهم/ ١٤٣

١- عبد الله بن عباس ١٤٥

٢- الطبري ١٤٧

٣- الزمخشري ١٤٧

٤- فخر الدين الرازي ١٤٨
٥- القرطبي ١٥٠
٦- القاضي البيضاوي ١٥٠
٧- ابن كثير ١٥١
قطعة للمطالعة: عبد الله بن عباس رضي الله عنه ١٥٢
أسئلة للتقييم ١٥٣

الوحدة السابعة

أصول التفسير/ ١٥٧

١. العلم ١٥٩
٢. الإيمان والعبادة ١٦١
٣. الأدب والخُلق الحميد ١٦٨
٤. الإخوّة ١٧٣
٥. الإنفاق والتصدق ١٧٤
٦. العبادات - الصوم ١٨٢
٧. الجهاد ١٨٩
٨. الصبر والإمتحان ١٩١
٩. الرزق الحلال ١٩٤
١٠. التَفَكُّر ١٩٧
١١. الموت والإستعداد له ٢٠٣
١٢. الدعاء ٢٠٦
١٣. الذِكر ٢٠٧
١٤. التقوى ٢٠٩
١٥. تبليغ الرسالة والإرشاد ٢١٢
١٦. سيدنا رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة ٢١٣

الوحدة الأولى

١

هيا نتعرف على القرآن الكريم

موضوعات الوحدة

- تعريف القرآن الكريم وما يُميزه.
- أسماء القرآن الكريم الأخرى.
- أهداف القرآن الكريم ومواضيعه الرئيسة.
- مميزات القرآن الكريم من حيث القص.
- السمات الشكلية للقرآن الكريم.

الأنشطة التحضيرية

- ناقشوا مع أصدقاءكم المعلومات المتعلقة بالقرآن الكريم.
- كم سنه استمر نزول القرآن الكريم وكيف نزل؟ ناقشوا ذلك.
- هل للقرآن الكريم أسماء أخرى؟ ناقشوا ذلك.
- هل هناك كتب مقدسة أخرى غير القرآن الكريم؟ ناقشوا ما لديكم من معلومات في هذا الخصوص مع أصدقائكم.

١- تعريف القرآن الكريم وما يُميزه.

القرآن، هو اسم الكتاب المُنزّل وحياً على سيدنا محمد ﷺ. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم على هذا النحو:

﴿... إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (١)

يُعنى بكلمة القرآن في المعجم: الذي يُقرأ بكثرة، والذي يُقرأ مراراً وتكراراً. وجاء في تعريف آخر للقرآن، أنه اسم يُطلق على كلمات من عند الله تعالى تتسم بمميزات خاصة، وفي قراءتها عبادة للحق سبحانه، نزلت وحياً على رسول الله ﷺ، ودُوّنت بعد ذلك في المصاحف، وتناقلها كثير من الأشخاص حتى وصل بها المطاف إلينا.

يمكننا انطلاقاً من هذا التعريف أن نحصي بعضاً من مميزات القرآن الكريم الخاصة على هذا النحو:

١- **القرآن الكريم**: هو كلام من عند الله ﷻ أُنزل على رسول الله ﷺ. تحمل هذه الجملة تأكيداً على أن كلمات القرآن الكريم إنما هي من عند الله ﷻ لا تشوبها أي من كلمات البشر.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢)

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ (٣)

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤)

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ (٦)

---

١ يس، ٦٩.
٢ فُصلت، ٢.
٣ العنكبوت، ٤٧.
٤ البقرة، ٢٣.
٥ البقرة، ٩٩.
٦ الإنسان، ٢٣.

نزل الوحي أول ما نزل على سيدنا محمد ﷺ وهي في الأربعين من عمره، واستمر نزوله مدة ٢٣ عاماً؛ منها ١٣ عاماً في مكة و١٠ أعوام في المدينة.

هل تعلم؟

كان رسول الله ﷺ يتصرف عند نزول آيات القرآن الكريم على النحو التالي:

- يحفظ الآيات المُنَزّلة.
- أن يُبلِّغ الناس بما نزل عليه (التبليغ).
- أن يفسر ويعلق على الآيات التي يصعُب على الناس فهمها (التبيين).
- يُطبق الأحكام الوارد في الآيات في حياته (التمثيل).

٢- **قراءة القرآن عبادة:** ولكون القرآن الكريم عبادة يبذل المسلمون في كل بقاع العالم جهوداً كبيرة لقراءة وتعلم القرآن الكريم. وينبغي هنا ألا ننسى أن ما يُبذل من جهود لا يقتصر على حفظ واستظهار القرآن فحسب، بل وتُبذل جهوداً عظيمةً كذلك في تعلم القرآن الكريم وفهم معانيه. يُضاف إلى ذلك قراءة القرآن الكريم في أثناء القيام في الصلاة هومن الفروض التي لا تصح الصلاة بدونها.

يوضح ذلك الحديث الشريف التالي:

عن ابن مسعودٍ ﵁ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» [١]

كيف نقرأ القرآن؟

- هيّئوا قلوبكم وعقولكم للقرآن الكريم قبل أن تشرعوا في القراءة. فإن لم يكن عقولكم وقلوبكم إحساسكم وفكركم حاضرين مُهيّئِين لكلام الله، فاجعلوا الأولوية لتنظيمها وترتيبها وإعدادها لتلاءم خطاب الوحي الإلهي.
- هيئوا أنفسكم وأنتم تجلسون أمام القرآن بحيث تصبحون وكأنكم في حضور معنوي مع الله سبحانه وتعالى. تصرفوا وفي ذهنكم أن الله ﷻ يتحدث إليكم في تلك اللحظة.

---

١ الترمذي، فضائل القرآن، ١٦/ ٢٩١٠.

- اقرءوا القرآن كما لو كانت آياته قد نزلت عليكم أنتم. طبقوا كل خطاب يرد في القرآن على أنفسكم. ضعوا أنفسك مكان بطل أي قصة من القصص الوارد في القرآن الكريم.
- اجعلوا قبلة قلوبكم وأنتم تقرءون القرآن الكريم موجهةً وباستمرار إلى الله تعالى وادعوا الله ﷻ قولوا (اللّهم افتح قلبي لأقرأ القرآن.. اللهم افتح قلبي لأقرأ القرآن).
- داوموا كل يوم على قراءة جزء من القرآن الكريم وتدبر ما جاء فيه مع أفراد عائلتكم أو أهل بيتكم إن تيسر ذلك. وعرِّفوهم بالوحي.
- حدّثوا أبنائكم عن قصص أبطال القرآن الكريم؛ سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدنا موسى وسيدنا عيسى والسيدة مريم عليهم السلام. واربط بين أبطال القرآن ودُنياهم.
- احفظوا بعض آيات القرآن الكريم من سور مختلفة. اقرءوا في صلاتكم مما تحفظون من آيات تعرفون معناها.**لقرآن؟**

٣- **القرآن الكريم مُدوّنٌ في المصاحف:** لم يُدوّن القرآن الكريم في حياة رسول الله ﷺ. لأن الوحي كان لا يزال ينزل عليه ﷺ. وبعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة قام سيدنا أبوبكر ﵁ أول خليفة بعد رسول الله باقتراح من سيدنا عمر ﵁ بجمع القرآن في كتاب. وأُطلق حينها على الكتاب الذي يضم آيات القرآن الكريم اسم "**المصحف**". أما الأحاديث الشريفة التي هي كلمات رسول الله ﷺ، فلا تُعد قرآناً حتى وإن كانت نتاجاً للوحي.

٤- **القرآن عربي:** لا تُعد تراجم القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى قرآناً. فلا يصح أن تحل أي من تلك التراجم مكان نص القرآن العربي.

وفي ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى كما ورد الآية الكريمة:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[١]

٥- **نُقل القرآن الكريم تَواتُراً:** وصل إلينا القرآن الكريم منذ اليوم الذي نزل فيه على رسول الله ﷺ وحتى يومنا الحاضر تواتراً أي نقلاً من شخص لآخر دون أن يتعرض لأي تحريف. وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم هوكلام الله ﷻ الذي لم تطاله يد التحريف.

---

١ طه، ١١٣.

٦- القرآن الكريم محفوظ من قبل الله سبحانه وتعالى ولا مكان به لأي تحريف: لقد حفظ الله تعالى ملايين النسخ من القرآن التي يقرأ فيها المسلمون في جميع أنحاء العالم على شكلها الأصلي التي نزلت عليه من لدنه سبحانه. لأنه جل شأنه تولى بنفسه مسئولية حفظ القرآن فقال ﷻ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)

ملاحظات

الله تعالى هو الذي يحفظ القرآن الكريم. وهناك أسباب أخرى من اجلها لم تطل يد التحريف القرآن الكريم، فيما يلي بعض من هذه الأسباب:

- تولى مسألة تدوين كل آية من آيات القرآن الكريم مجموعة مختارة من الصحابة. وكان يُطلق على الشخص الذي يُدوّن القرآن اسم " كاتب الوحي " تنفيذاً لتعليمات من رسول الله ﷺ.
- كان كثير من الصحابة يحفظون آيات القرآن الكريم على الفور.
- كان رسول الله ﷺ يقرأ آيات القرآن التي نزلت عليه في شهر رمضان كل عام على جبريل عليه السلام، وهذا ما كان يُطلق عليه " العرض ".
- جُمِع القرآن الكريم بعد وفاة الرسول في كتاب واحد بتعليمات من سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأُطلق عليه اسم " المصحف " حتى لا يُفسح المجال لقراءات مختلفة غير صحيحة.
- يُطلق مُسمى " التواتر " على نقل الكلمة عن أكثر من شخص حتى لا تكون هناك ثمة إمكانية للكذب. وقد جُمع القرآن الكريم تواتراً من جيل إلى جيل. فقد عرف القرآن الكريم وحفظة عدد كبير من الأشخاص، وعنهم نُقِل إلى الآخرين، وبذلك لم يكن هناك أي إمكانية لأحد سيء النية أن يُضيف عليه أي شيء.

٢- الأسماء الأخرى للقرآن الكريم

للقرآن الكريم الكثير من الأسماء. فيما يلي عرض لبعض أسماء القرآن الكريم:

أ) **الكتاب**: ورد هذا الاسم في عدد كبير للغاية من آيات القرآن الكريم، ويستخدم هذا الاسم للدلالة على القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢)

١ الحجر، ٩.

٢ البقرة، ٢.

ب)**الفرقان**: يُقصد بهذا الاسم " الذي يُفرّق بين الحق والباطل، والصواب والخطأ " والسبب في تسمية القرآن الكريم بهذا الاسم الوارد في الآيات لأن القرآن الكريم يُفرّق بين الحق والباطل، الصواب والخطأ، والحلال والحرام. وهذه أحدى الآيات التي ورد فيها اسم القرآن " الفرقان ":

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [1]

ج) **الهُدى**: القرآن، هو المرشد الذي يُوجّه الناسَ إلى طريق الهداية وفق ما جاء به أسس. من اجل هذا يتحدث المولى جل شأنه عن القرآن بقوله ﷻ: ﴿...هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [2]

من اجل هذا أصبحت كلمة " الهدى " التي تعبر من هذه السمة من سمات القرآن، والتي تعني "مرشد الهداية، الذي يصل بالشخص إلى الهداية، الهادي "، أصبحت اسما من أسماء القرآن الكريم.

د) **الذِكر**: يُسدي القرآن الكريم النُصحَ للناس في كثير من الأمور. من أجل ذلك أُستخدمت كلمة " الذكر " في آيات القرآن والتي تعني " النصح " باعتبارها أحد أسماء القرآن. مثال ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [3]

وقد أُستخدمت كلمة " الذكر " هنا في هذه الآية الكريمة باعتبارها أحد أسماء القرآن الكريم.

صندوق المعلومات

فيما يلي عرض لبعض أسماء القرآن الكريم الأخرى:

- **الكلام** (كلام الله ﷻ).
- **النور** (المُنير الذي يجلي الظلمة).
- **الشفاء** (الذي بفضله يشفي المريض).
- **الرحمة** (نبع الرحمة).
- **الحكمة** (علم الحقيقة، الغاية الإلهية).
- **أحسن الحديث** (أجمل الكلام).
- **حبل الله** (حبل الله المتين).
- **الفصل** (الذي يبين الخطأ والصواب).
- **التنزيل** (الذي نزل من لدن الله تعالى).
- **الوحي** (المُرسل من قِبَل الله ﷻ).
- **البيان** (التوضيح).
- **الحق** (الحقيقة التي لا تتغير).
- **التَذكِرة** (النصيحة).
- **العدل** (العدالة)، **الصدق** (القول السليم).
- **البُشرى** (البشارة).
- **العزيز** (الشريف).
- **البشير** (الذي يسوق البشارة للمؤمنين)
- **البلاغ** (الأدبي)...

١ الفرقان، ١.
٢ البقرة، ٢.
٣ الحجر، ٩.

هيا بنا نكتب

أوجدوا أسماء القرآن الكريم الأخرى من خلال قراءتك للآيات التالية، ثم أكتبها مكان النقاط.

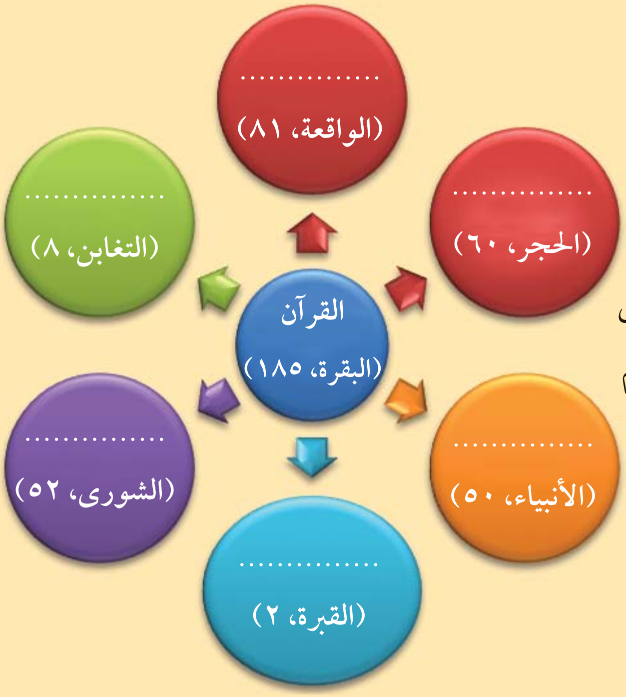

٣-أهداف القرآن الكريم ومواضيعه الرئيسة

٣-١ - أهداف القرآن الكريم:

يهدف القرآن الكريم مثله في ذلك مثل باقي الكتب السماوية الأخرى إلى هداية البشر. والهداية هي خلاص الإنسان من ظلمة الكفر والشرك والانحراف، ودخوله إلى طريق نور الإسلام.

وبذلك يكون هدف القرآن هوتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة للإنسان، والدفع به إلى الطريق الصحيح.

يؤكد المولى جل شأنه في صدر آيات القرآن الكريم على هذا الهدف، فقال ﷻ في الآية الكريمة:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]

١ البقرة، ٢.

هيا بنا نستخلص النتائج

١ – ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران، ١٣٨)

٢ – ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية، ٢٠)

٣ – ﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام، ٩٢)

٤ – ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ (الأنعام، ١٥٧)

٥ – ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل، ١٠٢)

٦ – ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس، ٥٧)

أُكتب فيما يلي أهداف القرآن الكريم كما فهمت من الآيات الكريمة السابقة:

....

....

....

٣–٢– مواضيع القرآن الرئيسية

يمكن القول في هذا الإطار أن أي مجال يُخلّص الإنسان من الشر والعصيان ويصل به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، هوفي الواقع من المجالات الرئيسة التي يتناولها القرآن الكريم .

ويمكننا حصر المواضيع الرئيسة التي يتناولها القرآن الكريم في العناوين الشاملة التالية:

٣–٢–١ – العقيدة

يقف القرآن الكريم على العقيدة السليمة قبل أي شيء. والاعتقاد بوجود الله ﷻ والآخرة هما العنصران الرئيسان لأي عقيدة سليمة. فعلى الرغم من أن الناس في البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم

كانوا يقبلون بوجود الله ﷻ بشكل عام، إلا أنهم كانوا مع هذا لا يؤمنون به باعتباره الواحد الأحد، وأنه المُتفرِّد في كل أفعاله وصفاته. من أجل هذا ركّز القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى أكثر من مسألة وجوده جل شأنه.وتعتبر عقيدة التوحيد هي الأهم بين العقائد الأخرى التي أرسى قواعدها القرآن الكريم. وتقضي عقيدة التوحيد بوجود الله ﷻ وتفرده في صفاته وأفعاله.

وتقضي عقيدة التوحيد في الوقت ذاته بضرورة الاعتقاد بأن ثمة علاقة تربط كل الموجودات في الكون بعضها ببعض، وبين الخالق الذي أو جد كل هذه الموجودات.

فيما يلي عرض لبعض الآيات التي تنظم وتحدد مجال العقيدة في القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [١]

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾ [٢]

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٣]

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٤]

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٥]

خلاصة القول في هذا؛ أن القرآن الكريم يقدم الإجابات الصحيحة على الأسئلة الأساسية في مجال العقيدة مثل " من أين جئتُ؟ من أنا؟ إلى أين أسير؟". ويجيب كذلك على أسئلة أساسية تتعلق بوجود الإنسان مثل " من هوصاحب هذا الكون؟ وما هومعنى الحياة، وما الهدف منها؟ ". ولا تتحقق السعادة الإنسانية إلا بهذه الإجابات السليمة.

---

١ الإخلاص، ١– ٤.

٢ الحشر، ٢٢ – ٢٣.

٣ التوبة، ٣٠.

٤ العنكبوت، ١٧.

٥ البقرة، ٢٨٥.

٣-٢-٢- العبادات

العبادات هي موضوع آخر من المواضيع الرئيسة التي يتناولها القرآن الكريم. والعبادات هي سلوكيات واضحة محددة يؤديها الإنسان بنية إظهار محبته واحترامه وطاعته لله ﷻ، وحتى ينال رحمته ورضاه.وتبين الآيات التالية كيف أن الغاية من خلق الإنسان كانت للعبادة، وفيها تأكيد على ضرورة عبادة الله جل شأنه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [١]

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٢]

وإذا كانت العقيدة هي الجانب الذي يهتم بالوجه الداخلي للدين، فالعبادات تهتم بالوجه الظاهر الخارجي له. فالعقيدة هي الروح، أما العبادات فهي الجسد. والعقيدة هي المعنى، والعبادات هي المادة. العقيدة كذلك هي نواة الفاكهة وجسمها الداخلي، أما العبادات فهي القشرة التي تغلف الفاكهة وتحميها. العقيدة هي ضوء القنديل، أما العبادات فهي الفانوس الذي يحمي هذا الضوء من أن ينطفئ. من هذه الناحية لا يمكن الفصل بين العقيدة والعبادات. فلا يمكن للعقيدة أن تستمر من دون العبادات، ولا يمكن للعبادات أن تُؤدّي بدون وجود للعقيدة. ويمكن لأحدهما أن يخبوبل وينطفئ مع الزمن إذا ظل وحيداً بدون الآخر.

تحمي العبادات وتصون الرباط بين الله ﷻ والإنسان، وتجعل محبة الإنسان واحترامه وتبجيله لربه مستمراً غير منقطع، بعيد عن كل سوء. لهذا السبب جرى الحديث في الآية التالية عن ضرورة أن يؤدي الإنسان العبادات حتى ينال رضا الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [٣]

لقد أعاد القرآن الكريم تنظيم عبادات الإنسان بشكل سليم مواز لإصلاحه عقائد الناس الفاسدة. لأن الناس كانوا يشركون بعبادة الله تعالى عبادة آلهةً كثيرةْ، ونسي بعضاً منهم شكل العبادات، وابتكر البعض الآخر عبادات جديدة من تلقاء أنفسهم. فأصبح المسيحيون يعبدون نموذج عيسى عليه السلام. وأصبحت العبادات عند الكثير من اليهود تستخدم لخدمة المنافع والأهواء الشخصية لرجال الدين. وترك الكثير من الناس عبادة الله تعالى، وانكبوا يعبدون الأصنام والتماثيل والأرواح والنجوم والنار ولم

---

١ الذاريات، ٥٦.

٢ الفاتحة، ٥.

٣ الانعام، ١٦٢ - ١٦٣.

يتبع أي منهم عقيدة تتوافق مع عقيدة التوحيد تلك العقيدة التي جاء بها الدين الإسلامي والتي تقضي بوحدانية الله جل شأنه.

لقد استمر القرآن في دعوته للناس كي يعبدوا الله الواحد الأحد وحتى يتثنى لهم أن يقوموا بهذا اخبرهم بالشكل الصحيح لهذه العبادات السليمة، وبالمبادئ والأسس الرئيسة لها.

هيا بنا نستخلص النتائج

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (١)

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٢)

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٤)

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٥)

أكتب مكان النقاط أنواع العبادات التي جري الحديث عنها في الآيات السابقة:

- مراعاة حق اليتيم.
- ....
- ....
- ....

١ العنكبوت، ٤٥.
٢ الأنبياء، ـ ٧٣.
٣ البقرة، ١١٠.
٤ البقرة، ٢٦٣.
٥ الضحى، ٩.

٣-٢-٣- الأخلاق

الأخلاق الحميدة هي أحد المواضيع التي يتناولها القرآن الكريم. وقد امتدح القرآن الكريم خُلق نبينا ﷺ الذي أصبح مثلاً وقدوةً يحتذي بها سائر المسلمين.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)

لقد عاش رسول الله ﷺ الأخلاق الحميدة وحث المؤمنين عليها.

وورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(٢)

لقد أرسي المسلمون الذين ينظمون حياتهم وفق مبادئ القرآن الكريم، أرسوا القواعد لحضارةٍ أخلاقيةٍ عظيمة ليس في حياتهم الخاصة فحسب بل وفي حياتهم الإجتماعية كذلك.

فيما يلي عرض لجزء من السلوكيات الأخلاقية التي يحث عليها القرآن:

- يحث القرآن الكريم الناسَ على التفكر والعفوويدفع بهم حتى يكونوا أناسا جيدون:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣)

- يحث القرآن الكريم على أداء الأمانة، وعدم المحاباة وتفضيل شخص على آخر بدون حق.

- يحث القرآن الكريم على عدم الخوض في نقائص وعيوب الآخرين وإفشاءها، ويحقر من يقدمون على فعل هذا الأمر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٤)

- يحذر القرآن الكريم الإنسان من الخصال الذميمة مثل الكِبر والغرور والحسد، ويحث الإنسان على السلوكيات التي تجعل منه "إنساناً جميلاً" يحترم حق وحقوق الآخرين وعلى رأسهم أفراد أسرته في جميع مناحي الحياة.

---

١ القلم، ٤.

٢ الترمذي، الزواج، ٣٨٩٥ ؛ أبو داود، السنة، ١٦، ٤٦٨٢.

٣ آل عمران، ١٣٤.

٤ الحجرات، ١٢.

دعونا نستنبط المبادئ والأسس

استخرج من الآيات التالية المبادئ والأسس الأخلاقية:

- ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١)

- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ (٢)

- ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٣)

- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (٤)

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥)

- ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٦)

- العفو من الخصال الحميدة.
- ....
- ....
- ....

---

١ الأعراف، ١٩٩.
٢ فُصلت، ٣٤ - ٣٥.
٣ الشوري، ٤٣.
٤ الإسراء، ٣٧.
٥ الحجرات، ١١.
٦ النور، ٢٨.

٣-٢-٤ الحقوق

الحقوق هي إحدى المواضيع الأساسية التي تحتل مكاناً في القرآن الكريم ويُقصد بها المبادئ والأسس التي تُنظم العلاقات الإجتماعية (المعاملات) بين الناس. تقوم هذه المبادئ بتنظيم علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالمجتمع أو علاقة المجتمعات ببعضها. وقد ورد في القرآن الكريم عدداً كبيراً من الآيات الخاصة بهذا الموضوع. من ذلك قوله سبحانه وتعالى في إحدى هذه الآيات:

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾ (١)

فقد تناول القرآن الكريم مواضيع مثل العلاقات داخل الأسرة والتسوق والإستدانه. فعلى سبيل المثال تنصح الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهي أكبر آية في القرآن الكريم، تنصح الذين آمنوا إذا تداينوا بدين أن يكتبوه.

يُعد تحقيق العدالة في العلاقات بين الناس واحداً من المواضيع الرئيسة التي تناولها القرآن الكريم. يقول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢)

يضاف إلى هذا مطالبة الناس في آيات مختلفة باحترام الحقوق الأساسية والحريات فيما بينهم.

المواضيع والمجالات الرئيسة التي تناولها القرآن الكريم

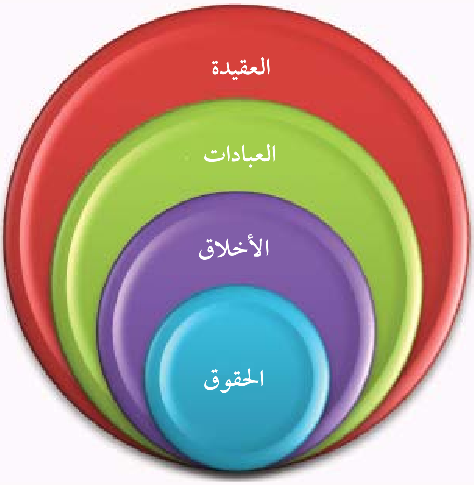

١ الأنعام، ١٥٢.

٢ النساء، ٥٨.

٤- مميزات القرآن الكريم من حيث البلاغة

٤-١- التفوق اللغوي للقرآن الكريم

أيّد الله تعالى جميع أنبيائه ورسله بمعجزات تتعلق بعلم أو فن أو حرفة برعت فيها أمة هذا النبي أو ذاك، فوقف الناس أمام هذه المعجزات عاجزين مشدوهين. أما في عصر النبي فقد انتشر الأدب وبرع الناس فيه. من أجل هذا جاء القرآن على رأس كل المعجزات الأخرى التي أيّد الله ﷻ بها رسوله. فقد خرست بنزول القرآن الكريم ألسنه أشهر الأدباء وأكثرهم براعة في اللغة والأسلوب، واعترفوا بتفوق القرآن الكريم عليهم. والقرآن كتاب عربي وقد أفصح القرآن الكريم عن ذلك في عدد مختلف من الآيات:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾[١]

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]

لقد كان من البديهي أن ينزل القرآن الكريم باللغة العربية. لأن النبي ﷺ كان يخاطب برسالته منطقة شبة الجزيرة العربية وأن القرآن نزل يخاطب الناس في هذه المنطقة في بادئ الأمر. لأنه ما من نبي من الأنبياء إلا وأُعطي كتاباً بلغة قومه. وتوضح الآية الكريمة ذلك على النحو التالي:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[٣]

دعونا نوضح أيضاً أنه لولم تنزل الكتب السماوية على الأنبياء بلغتهم، فإنهم كانوا سيواجهون مشقة لغوية في فهم الرسائل التي جاءت بها الكتب وبذلك ستُضاف مشكلة جديدة إلى المشاكل الموجودة في الأصل بين هؤلاء الأنبياء والقوم الذين نزلت فيهم هذه الكتب السماوية، وبذلك يزداد الأمر صعوبة.

ويستخدم القرآن الكريم من هذه الناحية جميع الخصائص الأدبية للغة العربية بشكل يستحيل على البشر تقليده. فعلى سبيل المثال الآية الكريمة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]

نجد هنا أن القرآن الكريم لا يتقادم مع الزمن وبكثرة تكرار القراءة فيه، كما أن به من عبر وعظات لا تنفذ. لأنه معجزة نزلت من لدن الله سبحانه وتعالى.

---

١ الشورى، ٧.

٢ الزخرف، ٣.

٣ إبراهيم، ٤.

٤ الحجر، ٩.

ففي الوقت الذي تؤكد فيه الآية من ناحية المعنى على أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، فإنها تثبت في الوقت ذاته من الناحية اللغوية أن القرآن الكريم ليس من نتاج البشر. لأن هذه الجملة التي لا تتعدى نصف السطر قد اُستُخدمت لأجل للتأكيد عشر مرات. كما أن تقوية المعنى بعشرة أشكال منفصل كل منها عن الآخر داخل جملة واحدة، هوأمر يتخطى حدود قدرة البشر.

يتميز القرآن الكريم كذلك بأن تعبيراته بعيدة عن التعقيد بحيث يتعسر الفهم. ولأن القرآن الكريم نزل مخاطباً للإنسانية جمعاء يستطيع كل شخص أن يحصل منه على المعلومة مهما كانت قدراته ودرجة تعليمه.

يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان في بعض الأحيان، ويخاطب قلبه في أحيان أخرى، كما يخاطب كذلك إحساسه تارة أخرى. ويلجأ في تفسيره لأي موضوع يريد إزالة الغموض عنه إلى التلقين والتكرار وضرب الأمثلة التوضيحية والتصوير واستعمال عنصر الحكاية والتشخيص إلى غير ذلك من المناهج والأساليب الأخرى.

مثال ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة التالية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

قوموا بالمشاركة مع زملائك بتقييم الآية الكريمة الآتية من ناحية تأكيد المعنى فيها.

١ النحل، ١٢.

٤-٢- الخطاب في القرآن الكريم

يؤثر شكل وأسلوب الحديث بشكل كبير على الطرف الآخر، فيلفت الخطاب انتباه المُخاطب، ويُهيئ ذهنه للكلام. وتختلف أشكال الخطاب التي يستخدمها القرآن وفق المُخاطبين ومرتبة كل منهم:

يا أيها النبي! يا أيها الذين آمنوا! يا أيها الإنسان! يا بُني!

وقد ورد في القرآن الكريم بجانب أسلوب الخطاب السابق أسلوباً آخر خاطب به الملائكة والجن والحيوان والجمادات.

يا أيتها النفس! يا نار! يا سماءُ! يا أيها النمل!

وحمل الخطاب في القرآن الكريم معان مختلفة مثل المدح والذم والنصح.

٤-٣- القَسَمْ في القرآن الكريم

يُقسم الله تعالى أحياناً في بدايات السور وأحياناً أخرى في وسطها بمخلوقاته. فقد أقسم جل شأنه سبع عشرة مرة في بدايات السور في القرآن الكريم. فيما يلي عرض لبعض الآيات التي استخدم المولى جل شأنه فيها أسلوب القسم والغرض من ذلك:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)﴾ [1]

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ...﴾ [2]

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)﴾ [3]

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)﴾ [4]

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [5]

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [6]

---

١ الصافات، ١- ٤.
٢ الزُخرف، ٢- ٣.
٣ الذاريات، ١ - ٥.
٤ التين، ١ - ٥.
٥ العصر، ١ - ٣.
٦ الطارق، ١- ٨.

وللقسم بالموجودات في القرآن الكريم الكثير من الحكم منها:

١. لفت الانتباه إلى الشيء موضوع القسم.

٢. رفع شأن ذلك الشيء.

٣. تقوية المعنى المراد في الآية.

٤. بيان قيمة الأشياء التي أقسم بها الله تعالى بالنسبة للإنسان.

٤-٤ - التكرار في القرآن الكريم

يلجأ القرآن الكريم إلى تكرار بعض الآيات وبعض الكلمات في أماكن مختلفة.

تكرار الكلمات والجمل، هي واحدة من خصوصيات الأدب العربي والغرض منها تأكيد المعنى كما يستخدم التكرار إلى جانب ذلك لإفادة الدهشة والفزع والتحذير وإثارة التصوير.

مثال ذلك، جاء تكرار لفظ " القارعة " (الفاجعة التي تنخلع لها القلوب) ثلاث مرات في " سورة القارعة "، جاء ليُشعر المُخاطب بالأهوال المُفزعة ليوم القيامة.

أما في سورة الرحمن فقد تكررت الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ واحد وثلاثون مرة.

وقد تكررت هذه الجملة بعد كل مرة يُعدِّد الله جل شأنه فيها نعمه على الإنس والجن، كي تُزيح ستار الغفلة عن العباد، وتُذكّرهم أن يعترفوا بنعمه عليهم ويشكروه عليها.

أما في سورة المرسلات فقد وردت الآية الكريمة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ التي تكررت عشر مرات بعد الآيات الأخرى التي جري الحديث فيها عن عدد كبير من الحقائق الإلهية لتُخبر أولئك الذين يُكذبون هذه الحقائق أنهم سوف يكونوا من الخاسرين وسوف يتعرضون لعذاب أليم.

لهذا السبب كان المفسرون يمعنون النظر في المعاني الواردة قبل أي مكان ترد فيه هذه الآية، فإذا كان لهذه الآيات نفس المعنى، قالوا أن الهدف من هذه الآية إنما للتأكيد على المعاني المختلفة الواردة قبل كل واحدة منها. لهذا السبب لم يكن التكرار غير ضروري. فكل آية تتكرر تؤدي وظيفة مختلفة.

يعتبر القصص القرآن الخاص بالأنبياء والأمم السابقة أكثر المواضيع تكراراً في القرآن الكريم ويتناول هذا القصص مواضيع تتعلق بالإيمان والتوحيد والآخرة.

وتكمن مجموعة من الأسباب والحكم وراء تكرار بعض المواضيع والألفاظ في القرآن الكريم والتي يمكن توضيح بعضها كما يلي:

- القرآن، كتاب للدعوة. وكلما كثُرَت الدعوة، كلما كانت أكثر تأثيراً وانتشاراً.
- يوكد التكرار بكثرة المبادئ الأساسية للدين الإسلامي في قلوب البشر ويقنعهم بها كذلك بالدليل العقلي.

فنقطة المياه الواحدة قد تخرق حتى الرخام لواستمر سقوط الواحدة تلوالأخرى في نفس المكان لوقت معين. والمقصود من هذا أن التكرار له تأثير.

من هنا يمكن القول أن التكرار بشكل كبير مستمر أمر له أهميته من ناحية تأثير الكلمة. وفي الوقت الذي يكون فيه التكرار في كلمات البشر باعثاً على الملل، نجد أن الإنسان لا يشعر بأى ملل أو ضجر من التكرار الوارد في القرآن الكريم.

٤-٥- القصص في القرآن الكريم

يعمد القرآن الكريم أحياناً إلى إيصال رسالته للمُخاطب بشكل غير مباشر، فيذكر واقعة حدثت في الماضي أو يضرب مثالاً مستعيناً بموضوع أو حادثة يعرفها المُخاطب. لأن القصة لها تأثير بالغ على القارئ والسامع معاً بغض النظر عن الوضع أو المستوى الثقافي لكل منهما.

فالشخص يجد نفسه في القصة وهويقرأها. فيحصل منها على السعادة والفائدة معاً. ويكتسب التجربة بهذه الأحداث التي تستحوذ على قلبه وفكره معاً.

وتهمس القصة في أذن القارئ في بعض الأحيان بحل للمشاكل التي استعصى عليه حلها ووقف أمامها عاجزاً، حائراً مدة طويلةً من الزمن.

وربما وجد الإنسان بواسطة القصة كذلك طرف الخيط لحل المشاكل التي تقف أمامه مثل الجبل وتعيق تحقيق رغباته في تلك الدنيا. فيجد نماذج للقيم التي فقدها ويضمن بذلك تحقيقها.

وتحتوي القصة في بعض الأحيان على بعض الخصوصيات التي تلهم الإنسان الصبر وتمده بالقوة.

تحتوي القصة على عِبر وعظات لا يفهمها إلا أصحاب العقل والبصيرة الذين يخشون ربهم. وتشير الآية التالية لهذه النقطة في قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [١]

---

١ يوسف، ٧.

الفائدة التي تعود علينا من القصص القرآني

لا شك أن ذكر القصص في القرآن الكريم له بعض الفوائد التي يجب علينا معرفتها. يمكن اختصار هذه الفوائد على النحو التالي:

١. إثبات صحة نبوة رسول الله ﷺ. لأن سيدنا محمد ﷺ كان أُمي لا يعرف القراءة والكتابة. فلم يجلس لمعلم قط. كما لم تسنح له الفرصة ولم يكن لديه من الإمكانيات ليجالس العلماء من أهل الكتاب. وما دام الأمر كذلك فمن أين له بأخبار الأمم السابقة وكيف تمكن من سرد هذه الأخبار بهذه الدقة وهذا التفصيل.

٢. إظهار أن رسالات كل الأنبياء كانت مماثلة لبعضها البعض.

٣. يوطّد القرآن الكريم بالقصص فكر أي أُمة، ويقف في وجه الأشخاص الذين ابتعدوا عن طريق الهداية وانحرفوا عن الحق.

٤. من أهداف القصص القرآني أيضاً؛ بيان أن الدين الذي بلّغه نبينا ﷺ هو نفسه الدين الذي بلّغه الأنبياء عليهم السلام الذين جاؤا قبله.

٥. من أهداف القصص في القرآن الكريم كذلك؛ بيان أن الله جل شأنه يقدم يد العون لأنبيائه عليهم السلام في النهاية، ويُهلك المكذبين.

٦. يُبين القصص القرآني أن ملحمة إبلاغ رسالات الله ﷻ لم تبدأ الآن فحسب، وأنها سوف تستمر إلى الأبد، وأن الله تعالى هو الذي يضمن حدوث ذلك، وفي الوقت الذي يمد فيه القصص القرآني المؤمن بالثقة والصبر والطمأنينة، نجد انه يحمل أيضاً تحذيرات للمنكرين.

هيا بنا نقرأ ونتعلم

تأتي القصص الواردة في القرآن الكريم في بعض الأحيان بحادثة من أعماق التاريخ مثل قصة خلق آدم وحواء. ويحكي في بعض الأحيان عن نبي وقومه، وفي أحيان أخرى عن شخصية ايجابية عاشت في إحدى فترات التاريخ مثل لقمان عليه السلام أو شخصية سلبية مثل قارون.

و هناك خصوصية أخرى في القصص القرآني وهي أنه لا يضع عنصري الزمان والمكان في المرتبة الأولى عند الحديث عن قصة أو حادثة بعينها. ويبين القرآن بهذا القصص للمُخاطَب بعض الأشياء؛ أنت مُعرّض لمثل هذه المواقف في أي زمان ومكان. لا تقلق. فقد كان هناك أناس قبلك تعرضوا لمثل ما تتعرض له. ويمكنك أن تستفيد من هذه النماذج لتعرف ما الذي ينبغي عليك فعله في هذا الموقف.

٤-٦- الحروف المُقَطَّعة

أ. المقصود بالحروف المُقَطَّعة، وعددها

الحروف المُقَطَّعة، هي الحروف غير المترابطة معاً في شكل كلمات. وهي حروف من أحرف الهجاء العربية. أما المعنى الاصطلاحي للحروف المُقَطَّعة، هي اسم يُطلق على الحروف الموجودة في بدايات بعض السور، وقد تأتي في صورة حرف واحد أو تتألف من أكثر من حرف مجتمعة معاً.

عدد الحروف المُقَطَّعة– مع عدم احتساب المكرر منها – أربعة عشرة حرفاً. فيما يلي عرض لبعض هذه الحروف والسور الواردة فيها:

	الحروف المُقَطَّعة	السور المذكورة فيها
١	الم	سور البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم
٢	الر	سورتي هود ويوسف
٣	الَمص	سورة الأعراف
٤	كَهيعص	سورة مريم
٥	طسم	سورتي القصص والشُعراء
٦	يس	سورة يس
٧	عسق	سورة الشُعراء
٨	المر	سورة الرعد
٩	ق	سورة ق
١٠	حم	سور الأحقاف والجاثية والدُخان والزخرف والشُعراء
١١	طه	سورة طه
١٢	ص	سورة ص
١٣	طس	سورة النمل
١٤	ن	سورة القلم

ب. بعض الآراء بخصوص معاني الحروف المُقَطَّعة

لم يفصح القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن أي معلومات بخصوص معنى ومغزى الحروف المُقَطَّعة. وعلي الرغم من هذا فقد تنوعت آراء العلماء بخصوص هذه الحروف. وقد انقسمت آراء العلماء في هذا الشأن إلى مجموعتين رئيستين:

الحروف المُقَطَّعة، من أسرار القرآن الكريم التي لا يعرفها إلا الله تعالى وحده. لهذا السبب فمهما اجتهد الإنسان في التفكير لإدراك معنى هذه الحروف، فلن يصل إلى نتيجة. ولا تتعدي الآراء الخاصة بهذا الموضوع كونها تعبير عن قناعة شخصية لدى بعض الأشخاص.

لا توجد ثمة معلومة واحدة واضحة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بخصوص الحروف المُقَطَّعة. ولكن بإمكان الذين بلغوا درجةً عاليةً من العلم أن يدركوا معاني هذه الحروف.

وقد انقسم العلماء الذين يؤيدون هذا الرأي وتعددت آراءهم في تفسير معنى الحروف المُقَطَّعة. فيما يلي عرض لبعض هذه الآراء:

- يدل كل حرف من هذه الحروف على أسماء أخرى لله ﷻ إلى جانب أسماءه الحسنى وصفاته. فعلى سبيل المثال؛ يُنسب إلى ابن عباس ﵁ قوله "أن حروف (الكاف – هـ– يَ – عَين – صاد) إنما تعبر عن أسماء الله (الكريم، الهادي، الحكيم، الصادق). أما الحروف (أَلِف، لام، ميم) فتعني (أعرف الله جيداً)". وهناك الكثير من الأمثلة المشابهة لذلك.
- يذهب رأى آخر إلى أن " هذه الحروف من دلائل إعجاز القرآن الكريم وأنه من المستحيل أن نأتي بمثلها ".
- يذهب هذا الرأي إلى أن مجيء هذه الحروف كان للتحذير. وأن الغرض من استخدامها هوجذب انتباه المُخاطب.

لقد ظهر عدد كبير للغاية من الآراء بخلاف تلك التي استعرضناها. بيد أن كل هذه الآراء تقريباً لم تجد ركيزةً سليمة تستند إليها.

لقد أجمعت الآراء جميعها على أن الحروف المُقَطَّعة إنما هي من كلام الله ﷻ شانها في ذلك شأن باقي الآيات. بيد أنه لا ينبغي علينا الوقوف والبحث عن معنى هذه الحروف التي صمت عنها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ. والأجدى في هذه الحالة أن نقول " هذه الكلمات من كلام الله تعالى، وهي جزء من القرآن الكريم. أما معانيها فعلمها عند الله ورسوله ".

٥- السمات الشكلية للقرآن الكريم

٥-١- السورة

٥-١-١- تعريف السورة

السورة في المعجم هي الرُتبة، الشرف، المقام، السِمة، العلامة، السُّور، الحصن، البناء العالي أو أجزاء وأدوار البناء. ويُطلق اسم السورة في علم التفسير على أي جزء من أجزاء القرآن الكريم. وقد ورد ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم على هذا النحو:

﴿....قُل فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُم صَادِقِينَ﴾[١]

٥-١-٢ عدد السور وترتيبها وطولها وقِصرها

يتألف القرآن الكريم من ١١٤ سورة.

يُجمع معظم العلماء على أن رسول الله ﷺ هو الذي رتّب سور القرآن تماماً مثلما رتب الآيات.

تم تدوين القرآن الكريم كاملاً وحفظه في عهد النبي ﷺ. ولكنه على الرغم من هذا لم يكن مرتباً بنفس الشكل الموجود حالياً. فقد رتّب الأشخاص الذين جمعوا القرآن وقاموا بتدوينه، رتبوا القرآن الكريم وفقا لما أمرهم به الرسول ﷺ. فلم يكن للصحابة رضي الله عنهم أن يُقدموا على عمل كهذا من تلقاء أنفسهم. فقد بحثوا كيف رتَّب الرسول ﷺ، وقاموا وفقاً لهذا بترتيب سور القرآن الكريم.

لقد نزل القرآن الكريم بهذا الترتيب من اللوح المحفوظ في السماء إلى الدنيا. ثم أخذ يتنزل في شكل أجزاء على النبي ﷺ وفقاً للمواقف المختلفة. في نفس الوقت كان جبريل عليه السلام يُعارض رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم في شهر رمضان من كل سنه. وكان ذلك يتم وفق ترتيب ونظام معين.

وفي ذلك إشارة إلى أن ترتيب الآيات والسور قد استند إلى الوحي الإلهي. فقد رُتِبت الآيات داخل السور ورُتِبت السور داخل القرآن كله في أجمل وأصح شكل. فالقرآن كلام الله عز وجل، والله تعالى هو الذي يختار التناغم بينه سورة وآياته، وهو الذي يرتبه أيضاً.

تتوزع سور القرآن الكريم وفق عدد الآيات فبعضها طويل والبعض الآخر قصير.

أسماء السور: استمدت السور أسماءها من كلمة وردت في فيها أو من المعنى تحتويه. وبعض السور لها أكثر من اسم. مثال ذلك؛ أُطلق على سورة الفاتحة أكثر من عشرين اسم مثل فاتحة الكتاب وفاتحة القرآن وأم الكتاب وأم القرآن. ويُطلق أحيانا اسم واحد مشترك لسورتين أو أكثر. مثال ذلك: يُطلق اسم " الزهراوان " على سورتي البقرة وآل عمران. ويُطلق اسم " المعوذتان " على سورتي الفلق والناس.

---

١ يونس، ٣٨.

وقد سُميت السور التي تتحدث عن الأنبياء السابقين بأسماء هؤلاء الأنبياء مثل سور نوح وهود وإبراهيم ويونس ويوسف ومحمد عليهم السلام. وأخذت السور التي تتحدث عن الأمم المختلفة والموجودات وأصحاب الطبائع المختلفة، أخذت أسماء هؤلاء أيضاً مثل سور الجن والمُنافقون والمُطففين. ومع هذا لا يمكن القول أن كل السور قد سُميت وفق ما تحتويه من موضوعات. فلم يُطلق اسم موسى على سور طه والقصص والأعراف على الرغم من أنها جميعاً تتحدث عن سيدنا موسى عليه السلام.

٥-١-٣- السور التي نزلت في مكة والتي نزلت في المدينة

السور التي نزلت في مكة، هي السور التي نزلت قبل الهجرة. أما السور التي نزلت في المدينة، فهي السور التي نزلت بعد الهجرة.وقد رُعي الفاصل الزمني في هذا التقسيم . فقد استمرت الفترة السابقة للهجرة مدة ١٣ عاماً. وتُسمي السور التي نزلت خلال هذه الفترة بالسور المكية. ويبلغ عدد السور التي نزلت في مكة ٨٦ سورةً. أما ٢٨ سورة المتبقية فقد نزلت في المدينة. ويُطلق عليها اسم السور المدنية.

وكما أن السور التي نزلت في مكة تحتوي على آيات مدنية، فقد احتوت السور التي نزلت في المدينة هي الأخرى على آيات مكية. ويُكتب قبل بداية كل سورة إن كانت هذه السورة مكية أو مدنية.

وتعود على المسلم فوائد مختلفة من معرفة المكان الذي نزلت فيه السور سواء أكان في مكة أو المدينة. فمعرفة المكان الذي نزلت فيه السورة يتيح لنا معرفة مكان وزمان نزول السورة؛ ويضمن كذلك فهم القرآن بشكل أسهل، ومعرفة الحكمة من نزول القرآن الكريم بشكل مُقَطَّع.

ملاحظات

فيما يلي السمات الرئيسة للآيات التي نزلت في مكة:

- الآيات أكثر قصراً وإيجازا.
- الكلمات والتعبيرات أكثر إثارة للمشاعر، وأكثر تأثيراً من ناحية الصوت.
- تركز الآيات المكية على أسس الإيمان وعبادة الله الواحد.
- تبين عقائد المشركين الفاسدة وأفكارهم المنحرفة، وتصور الجنة والنار وتحكي عن يوم القيامة.

السمات الرئيسة للآيات التي نزلت في المدينة:

- الآيات أكثر طولاً مقارنة بالآيات التي نزلت في مكة، والأسلوب أكثر رقةً.
- أرست القواعد والأسس في الدولة الإسلامية مثل مبادئ الحقوق وجزاء الحد والميراث والعلاقة بين الفرد والمجتمع.
- نزل فيها الإذن للمسلمين بالجهاد وفُسرت أحكام الجهاد.
- تحدثت عن وضع المنافقين واليهود والمسيحيين، وأفكارهم الفاسدة، وما ارتكبوه من جرائم وتحريفهم للكتب السماوية.

٥-٢- الآية

٥-٢-١- تعريف الآية

الآية في المعجم، هي العلامة والإشارة والدليل والعبرة.

تُجمع كلمة آية على الشكل آيات أو آي. ويُطلق اسم آية على أي شيء يدل على وجود الله تعالى ووحدانيته. فخلق السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وخلق القمر والشمس والنجوم والأشجار والأزهار.. الخ كلها دلائل على وجود الله جل شأنه، وبالتالي فهي آيات.

تُطلق كلمة آية على المعجزات التي أرسل الله تعالى رسله بها.

وقد اُستخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم في معان مختلفة مثل:

دليل(١) **وعلامة** (٢) **ومعجزة** (٣) **وعِبرة** (٤) **والأمر غير مألوف** (٥) .

أما في مُدوّنات كتب التفسير فالآية، هي وحي نزل وهوعبارة عن جملة أو بضع جمل. ولا يرتبط فصل الآيات عن بعضها البعض بقاعدة ما. وقد بيّن رسول الله ﷺ بدايات الآيات وخواتيمها. من اجل هذا كانت (المص) و(الم) آيتين، في الوقت الذي أصبحت (الر) آية ليست كاملة، فهي جزء من آية أتت بعدها.

يحتوي القرآن الكريم على آيات تتكون الواحدة منها من كلمة واحدة أو اثنتين ولا تُفيد مثل هذه الآيات حكماً وحدها مثل الآيات الأخرى التي تحتوي على عدداً من الأحكام والجمل. مثال ذلك الآية ٢٨٢ من سورة البقرة التي تستحوذ على صفحة كاملة في الوقت الذي تتكون فيه الآية الكريمة **(مُدْهَامَّتَانِ)** الواردة في سورة الرحمن من كلمة واحدة.

يُطلق اسم " الفاصلة " على الكلمة الموجودة في آخر الآية والتي تفصل بين آية وأخري.

٥-٢-٢- عدد الآيات

يظل اختلاف العلماء حول عدد آيات القرآن الكريم اختلافاً نسبيا، فالواقع أنه لا خلاف في هذا. فمن المرجح أن يكون السبب وراء الاختلاف في ترقيم الآيات هوأن أرقام الآيات قد تم وضعها في

---

١ الروم، ٢٢.

٢ البقرة، ٢٤٨.

٣ البقرة، ٢١١.

٤ الحِجر، ٧٧.

٥ المؤمنون، ٥٠.

عصر لاحق. فنتج عن ذلك أن آيات القرآن الكريم زادت ونقصت على الرغم أنها لم تزد أو تنقص في الواقع. فقد اعتبر بعض العلماء أن البسملة والحروف المقطعة الموجودة في بدايات السور آيات مستقلة، في حين فصل البعض الآخر بين الوقفات الموجودة في الآيات وعدوا كل منها آيتين، فجاءت الآيات بأرقام مختلفة.

يحتوي القرآن الكريم وفق أكثر طرق الترقيم شيوعاً في العالم الإسلامي على ٦٢٣٦ أية، ويرتفع هذا الرقم وفق أسلوب آخر للترقيم إلى ٦٦٦٦ آية.

٥-٢-٣- ترتيب الآيات داخل السور

ترتيب الآيات في السور توقيفي بمعنى أن ترتيب الآيات جاء بأمر من رسول الله ﷺ. فكان النبي إذا نزلت آية أرشد كَتَبَة الوحي بالسورة التي تنتمي إليها ومكانها في هذه السورة. وكان جبريل ؑ يشير إلى النبي ﷺ بمكان الآيات ويفعل النبي ﷺ الشيء نفسه مع كَتَبَة الوحي. لذلك لم يختلف أي من العلماء على ترتيب الآيات في السور.

كان النبي ﷺ يقرأ الآيات في الصلاة بترتيب معين. وكان الصحابة ﷺ يحفظون القرآن الكريم ويقرؤونه وفق هذا الترتيب. وقد دُوّن القرآن الكريم في عهد سيدنا أبوبكر ؓ ونُسِخَ في عهد سيدنا عثمان ؓ وفق هذا الترتيب. ولم يطرأ أي تغير في هذا الخصوص.

قطعة للمطالعة

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

أول من جهر بالقرآن من الصحابة

سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، هو واحد أشهر الصحابة الكرام، ومن أوائل الذين اعتنقوا الإسلام.

سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، هو أول صحابي يقرأ القرآن الكريم جهراً في مكة.

جلس الصحابة الكرام رضي الله عنهم ذات يوم يتبادلون أطرف الحديث. فقام واحد من بينهم وقال:

- ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر به قط. فَمَنْ رَجُل يُسْمِعهُمُوهُ؟

قام سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على الفور، وقال:

- أنا أفعل هذا.

- إنا نخشى عليك. إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه.

- دعوني، فإن الله سيحميني.

وفي اليوم التالي، توجه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى مقام إبراهيم عليه السلام. وكان المشركون قد تجمعوا هناك. سمّى سيدنا بن مسعود الله رضي الله عنه وبدا يقرا سورة الرحمن.

قام إليه المشركون جميعهم وضربوه ضرباً شديداً. لم يتبق مكان في وجهة وعينه وكل جسده غلا وجرح. ولكنه استمر يقرأ القرآن الكريم بهدوء وسكينة وكأنه لا يتعرض لأي أذي. توجه بن مسعود إلى الصحابة بعد ما انتهي من قراءة القرآن، فقالوا له:

- هذا الذي خشينا عليك. لا تذهب إليهم مرة أخرى!

- بل أذهب وأعاود القراءة. ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، أنا لا أشعر بألم ما فعلوا بي.

وفي اليوم التالي لذلك توجه من جديد، وعاود القراءة. فعاود المشركون ضربه من جديد حتى أُغشي عليه. ومع هذا استمر في قراءته غير عابئ بما يفعلون به. فشعر المشركون بالعجز ماذا يفعلون تجاهه.

لقد تعرض عبد الله بن مسعود ﵁ لإيذاء وتعذيب مشركي مكة مثل باقي المسلمين الآخرين. وعندما وصل التعذيب والإيذاء إلى حد لم يستطع معه تحمله، استأذن وهاجر إلى الحبشة مرتين. ثم عاد وهاجر إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها، وهناك نزل ضيفاً في البداية في بيت معاذ بن جبل، ثم بني لنفسه بيتاً انتقل إليه بعد ذلك.

كان رسول الله ﷺ يعد عبد الله من مسعود ﵁ على رأس الذين يُدرّسون القرآن الكريم، فقال ﷺ:

"خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ".[١]

فقد سمع من فم النبي المبارك ٧٠ سورة وحفظها عنه. وقد استند إلى آراء بن مسعود سلسلة أئمة القراءات الشهيرين أمثال عاصم وحمزة والكسائي والأعمش.

وكان الرسول الأكرم ﷺ يحب أن يسمع القرآن من غيره.

فقد طلب من بن مسعود ﵁ يوماً ان يقرأ عليه سورة النساء، فرد على النبي ﷺ وقال:

- أَقْرَأُ عليك وعليك أُنْزِل؟

فقال له النبي ﷺ:

- **"إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي".**

فبدأ بن مسعود ﵁ يقرأ حتى وصل إلى الآية الكريمة:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٢]

فإذا عينا رسول الله ﷺ تذرفان الدموع.[٣]

١ البخاري، فضل الصحابة، رقم ٤٩٩٩.
٢ النساء، ٤١.
٣ مسلم، فضائل القرآن، ٢٤٨/ ٨٠٠.

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١. اكتب في نقاط عن سمات القرآن الكريم؟
٢. اذكر خمسة من أسماء القرآن الكريم، ووضح المقصود بكل منها؟
٣. ما هي المواضيع والمجالات الرئيسة التي يتناولها القرآن الكريم؟ تحدث باختصار.
٤. وضح باختصار الحكمة من تكرار بعض المواضيع والألفاظ في القرآن الكريم؟
٥. تحدث في نقاط عن فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم؟
٦. ماذا يُعنى بالحروف المُقَطّعة؟ تحدث باختصار.
٧. تحدث عن عدد السور في القرآن الكريم وترتيبها وتسميتها؟
٨. اكتب السمات الرئيسة الخاصة بالسور التي نزلت في مكة؟
٩. اكتب السمات الرئيسة الخاصة بالسور التي نزلت في المدينة؟
١٠. تحدث عن المصطلح "آية"؟

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي مما يلي ليس من أسماء القرآن الكريم؟

أ- الغفران.
ب- الفرقان.
ج- القرآن.
د- الذكر.
هـ- الهُدى.

٢. أي مما يلي ليس واحداً من سمات القرآن الكريم؟

أ- انه نزل وحياً على رسول الله ﷺ.
ب- أنه دُوِّن في المصاحف.
ج- أن نُقِل تواتراً.
د- أن قراءته عبادة من العبادات.
هـ- أن علماء الإسلام تولوا مسئولية حمايته.

٣. أي مما يلي يعتبر من أسباب إرسال القرآن الكريم؟

أ- إعطاء معلومات.
ب- الهداية.
ج- إثبات تفوق اللغة العربية.
د- يُنبأ بأحداث مستقبلية.
هـ- كي يُقرأ.

٤. **أيٍ مما يلي لا يمكن أن يُعد واحداً من حِكم القسم الوارد في القرآن الكريم؟**

أ- لفت الانتباه إلى الموجودات التي أقسم الله تعالى بها.

ب- رفع شأن الموجودات التي أقسم الله بها.

ج- تقوية المعنى المراد التعبير عنه.

د- التأكيد على قدسية الموجودات التي أقسم الله تعالى بها.

هـ- بيان قيمة الموجودات التي أقسم الله تعالى بها بالنسبة إلى الإنسان.

٥. **واحدة من غايات التكرار في القرآن الكريم هي التأكيد على إحدى خصائص الأدب العربي. أيِ مما يلي ليس أحد هذه الأهداف المراده من التكرار؟**

أ- التأكيد. ب- بث الخوف.

ج- التيسير. د- الدهشة.

هـ- التحذير.

٦. **أيِ مما يلي ليس واحداً من غايات وحكم القصص الوارد في القرآن الكريم؟**

أ- إثبات صدق نبوة رسول الله ﷺ.

ب- إظهار أن كل الأنبياء قد جاؤا برسالة واحدة.

ج- توضيح أن الدين الذي بلغة نبينا والأديان التي بلغها الأنبياء السابقين كانت واحدة جميعاً.

د- توضيح أن الله ﷻ ساعد أنبيائه وأهلك المكذبين.

هـ- جعل القرآن الكريم سهل القراءة.

٧. **الحروف المُقَطَّعة، هي اسم يُطلق على الحروف الموجودة في بدايات بعض السور، وقد تأتي في صورة حرف واحد أوتتألف من أكثر من حرف مجتمعة معاً. أيِ مما يلي هوالمرادف لمصطلح " الحروف المُقَطَّعة"؟**

أ- الحروف المهمة.

ب- الحروف الشريفة.

ج- الحروف الممدودة.

د- حروف الابتداء.

هـ- الحروف المُفردة.

٨. **أيِ مما يلي لا يمكن عده واحداً من سمات السور المكية؟**

أ- تركز تركيزاً شديدا على العبادات.

ب- الآيات أكثر قصراً وإيجازاً.

ج- الكلمات والتعبيرات أكثر إثارة للمشاعر، وأكثر تأثيراً من ناحية الصوت.

د- تركز الآيات المكية على أسس الإيمان وعبادة الله الواحد.

هـ- تصور الجنة والنار وتحكي عن يوم القيامة.

٩. **أي مما يلي لا يمكن عده واحداً من سمات السور المدنية؟**

أ- الآيات أكثر طولاً مقارنة بالآيات التي نزلت في مكة، والأسلوب أكثر رقةً.

ب- أرست القواعد والأسس في الدولة الإسلامية مثل مبادئ الحقوق وجزاء الحد والميراث والعلاقة بين الفرد والمجتمع.

ج- فُسرت فيها أحكام الجهاد.

د- تحدثت عن وضع المنافقين واليهود والمسيحيين، وأفكارهم الفاسدة، وما ارتكبوه من جرائم وتحريفهم للكتب السماوية.

هـ- السور المدنية أكثر سمواً من الناحية الأدبية من السور المكية.

١٠. **أي مما يلي ليس واحداً من معاني مصطلح " آية "؟**

أ- علامة.

ب- دليل.

ج- عبرة.

د- هداية.

هـ- معجزة.

١١. **أي مما يلي لا يمكن عده واحداً من المواضيع الرئيسة التي تناولها القرآن الكريم؟**

أ- عبادات.

ب- التجارة.

ج- العقيدة.

د- الأخلاق.

هـ- الحقوق.

ج – أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هومناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(توقيفي، المعوذتين، المصحف، خُلق، مكية)

١. يطلق اسم .... على شكل الكتاب الذي جُمِع فيه القرآن الكريم.

٢. " وَإِنَّكَ لَعَلَى .... عَظِيم ".

٣. يُطلق اسم .... على سورتي الفلق والناس معاً.

٤. يطلق مسمي السور .... على السور التي نزلت في مكة قبل الهجرة.

٥. ترتيب الآيات .... أي أن ترتيب الآيات جاء بأمر من رسول الله ﷺ.

كلمات متقاطعة

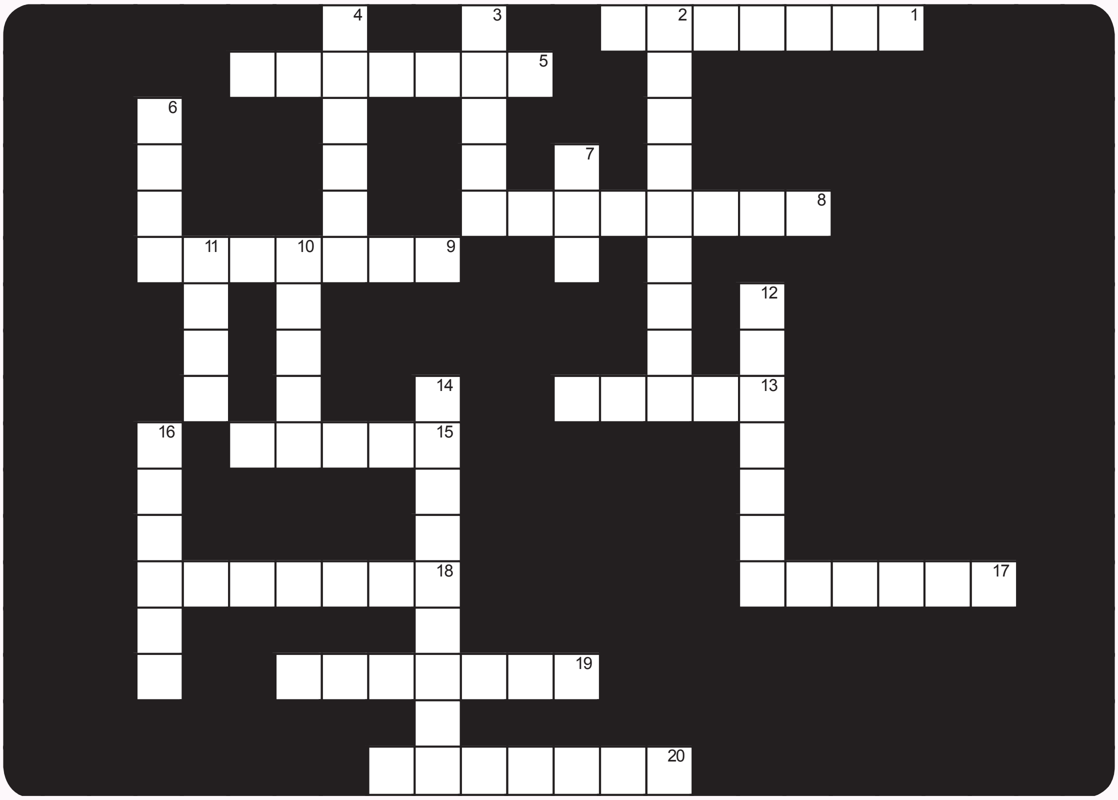

↓

2. اسم يُطلق على سورتي الفلق والناس معاً.
3. هو القرآن، وهو الرسالة الإلهية التي أُنزِلت من قبل الله ﷻ على نبينا ﷺ.
4. الشكل الذي صار إليه كتاب القرآن.
6. اسم يُطلق على السور التي نزلت في مكة قبل الهجرة.
7. هي في القرآن عبارة عن جملة واحدةٍ أو أكثر.
10. اسم من أسماء القرآن الكريم ويعني النصيحة.
11. اسم المغارة التي نزل فيها القرآن على رسول الله ﷺ أول مرة.
12. لفظ يدل عليى " الحروف المُقطّعة ".
14. الصحابي الذي تولى مهمة كتابة القرآن الكريم.
16. الكتاب المُقدس الذي أُنزِل على نبينا ﷺ.

←

1. أحد أسماء القرآن الكريم، ويعني " الذي يفرق بين الحق والباطل، والصدق والخطأ.
5. نشر نبينا ﷺ للرسالة التي حمّله الله ﷻ إياها.
8. كلمة تدل على أن رسول الله ﷺ هو الذي قام بترتيب سور القرآن.
9. أول سورة في القرآن الكريم.
13. السور التي نزلت في المدينة بعد الهجرة.
15. قراءة سيدنا محمد القرآن على جبريل عليه السلام في شهر رمضان كل عام.
17. اسم يُطلق على كل قسم من أقسام القرآن.
18. نقل القرآن عن أكثر من شخص.
19. عقيدة الإسلام التي تقوم على وحدانية الله.
20. الخلاص الإنسان من الكفر والشرك، والدخول إلى نور الإسلام.

القرآن الكريم

الوحدة الثانية

٢

تاريخ القرآن الكريم

موضوعات الوحدة

- نزول القرآن الكريم.
- الحفاظ على القرآن الكريم بالكتابة.

الأنشطة التحضيرية

- ابحثوا في معاجمكم الخاصة عن معنى مصطلح " الوحي ".
- تحتوي الأجزاء التوضيحية في بدايات سور القرآن الكريم على معلومات عن المكان الذي نزلت فيه السورة وهل كان ذلك المكان في مكة أم في المدينة. انظروا إلى هذه الأجزاء، وابحثوا عن ثلاثة سور نزلت في مكة وأخرى نزلت في المدينة واكتبوا أسماء هذه السور في دفاتركم.
- لماذا استمر نزول القرآن الكريم مدة ٢٣ عاماً؟ فكروا في الحكمة من وراء ذلك.
- فكروا في الأسباب التي من أجلها لم تتعرض أية من آيات القرآن الكريم للتحريف على الرغم من مرور سنوات طويلة منذ نزوله؟

١- نزول القرآن الكريم

١-١- تعريف الوحي

وصل القرآن الكريم إلى النبي ﷺ عن طريق الوحي. ولكلمة وحي في المعجم معان مختلفة مثل :الكلام الخفي، والهمس، والإلهام، والأمر، والإشارة، والنداء والتسرع ، وكل ما ألقيته إلى غيرك.[١]

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢]

الوحي هنا يوضح الإيماءة والإشارة التي فعلها سيدنا زكريا عليه السلام لقومه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾[٣]

أتت كلمة الوحي هنا بمعنى **الإلهام**.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٤]

أفادت كلمة الوحي الواردة في هذه الآية معنى **الغريزة** التي أعطاها الله تعالى للنحل.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ...﴾[٥]

أتت كلمة الوحي هنا بمعنى **الأمر** الذي أعطاه الله تعالى للملائكة.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا...﴾[٦]

جاءت كلمة الوحي هنا بمعنى الوسوسة التي تفعلها شياطين الإنس والجن.

رأينا في الآيات كيف أن كلمة الوحي قد اُستخدمت بمعان مختلفة. بيد أن معنى كلمة الوحي باعتبارها اصطلاحا دينياً هي **إخبار الله تعالى أوامره ونواهيه لأنبيائه.**

---

١ ابن منظور، لسان العرب، ١٥، ٣٧٩-٣٨١

٢ مريم، ١١.

٣ القصص، ٧.

٤ النحل، ٦٨.

٥ الأنفال، ١٢.

٦ الأنعام، ١١٢.

لاحظوا المعاني المختلفة لكلمة وحي في المعجم:

الإيماء والإشارة + الإلهام + الغريزة + الوسوسة + الأمر = الوحي

١-٢- الوحي وأشكال مجيئه

يتحدث الحق سبحانه وتعالى مع البشر وفق ما أخبرنا به القرآن الكريم بثلاثة أشكال:

١. أن يُلقي الله ﷻ كلماته في قلب العبد.

٢. أن يكلم العبد من وراء حجاب.

٣. أن يكلمه بواسطة ملك.

و قد فسّرت الآية الكريمة هذه النقطة على النحو التالي :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾[1]

إذن فالأشكال الموضحة في الآية الكريمة هي الصور التي يأتي عليها الوحي للأنبياء. دعونا نتعرض لهذه الصور بشكل أكثر تفصيلاً كما يلي :

١. جاء الوحي أول مرة في شكل **رؤية صادقة**.

٢. **ألهم المَلَكُ** قلب الرسول ﷺ بكلمات الله دون أن يتراءى له، وكان ذلك أصعب صور الوحي على النبي ﷺ. فقد كان يسمع صوتاً يشبه أزيز الجرس وبمجرد أن ينقطع هذا الصوت يكون الرسول ﷺ قد أدرك الكلمات التي أُوحي إليه بها، وغالباً ما كانت آيات التوحيد والتحذير تأتي على هذا الشكل.

٣. **ظهور جبريل** عليه السلام **بصورته الحقيقية** : ظهر جبريل عليه السلام بصورته الحقيقية مرتان. كان أولها في بداية النبوة في غار حِراء؛ أما الثانية فكانت عند سدرة المُنتهى ليلة المعراج.

٤. ظهور جبريل في صورة إنسان: كثيراً ما كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة الصحابي دِحية .

٥. إلقاء الوحي في قلب النبي ﷺ وهو مستيقظ ودون أن يظهر له المَلَك.

٦. سماع النبي ﷺ كلام الله ﷻ بشكل مباشر وهو مستيقظ، وقد حدث ذلك في ليلة الإسراء والمعراج، وقد جاء فرض الصلاة بهذا الشكل.

٧. مجيء المَلَك بالوحي والرسول ﷺ نائمٌ.

---

١ الشعراء، ٥١.

أكمل مكان النقاط

اكتبوا مكان النقاط الصور التي كان الوحي يأتي عليها.

١-٣- حال الرسول ﷺ عند تلقي الوحي

ليس بالأمر الهين على الإنسان أن يقف بشكل مباشر مطمئناً أمام خطاب من الله جل شأنه. ولكن يبدو الأمر أقل صعوبة عندما يأخذ النبي ﷺ الوحي عن ملك يحمل صفات البشر. من أجل هذا كان النبي ﷺ يمر في بعض الأحيان بلحظات عصيبة أثناء تلقيه الوحي، وكان يتصبب عرقاً حتى في أكثر الأيام برودةً، وكان يُسمع له أصوات مثل الأزيز والغطيط وهو يتنفس، وكان الرسول ﷺ يشعر بمشقة كبيرة وخاصة عندما يأتي الوحي بصوت يشبه صلصلة الجرس.

كان الثقل المعنوي للوحي كبير فلم تكن الناقة لتتحمل ذلك إذا جاء الوحي إلى النبي ﷺ وهو راكب ناقته، فكانت تبرُك على الأرض من الثقل المعنوي للوحي، وكان النبي ﷺ ينزل عنها أيضاً. حتى أنه في إحدى المرات نزل الوحي على رسول الله ﷺ وركبته الشريفة تلامس ركبة زيد بن ثابت رضي الله عنه، فأحس زيد بثقل عظيم من هذا كأنها جبل.[1]

---

١ أبو داود، السُنن، ٢، ١١

كان كل من حول النبي ﷺ يشعرون بمجيء الوحي أيضاً، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، وتربد له وجهه. وكان يُسمع عند وجهه صوت كدوي النحل فيسرع كل من عنده ويغطونه. وكانت تُعرف شدة الآية التي نزلت أو خفتها من حاله عندما يُسرى عنه.

١-٤- أول الآيات التي نزلت على الرسول ﷺ

كان رسول الله ﷺ في الوقت الذي جاءه فيه الوحي قد أدرك سن الأربعين، وقد بدأ الاعتكاف. وكثيراً ما كان يذهب إلى غار حِراء ويتعبد إلى الله ﷻ. وكانت النهاية عندما بدأ نزول الوحي في إحدى الليالي بينما هو في الغار. وقد جاء في القرآن الكريم أن أول نزول الآيات كان في ليلة القدر في شهر رمضان . فقد جاء الملك إلى رسول الله ﷺ وقال له:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾[١]

و هذه هي أولى الآيات التي نزلت على الرسول ﷺ وبها بُلّغ النبوة، ولكنه لم يكن قد أُمِر بعد بتبليغ الرسالة، انقطع الوحي بعد هذه الآيات فترة من الزمن، ويُطلق على هذه الفترة التي انقطع فيها نزول الوحي اسم «**فترة الوحي**». استأنف الوحي نزوله بعد الوحي بنزول الآيات الكريمة التالية:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾[٢]

بذلك تكون رسالة النبي ﷺ قد بدأت بالخمس الآيات الأولى من سورة العلق والسبع آيات الأخرى من سورة المدثر التي نزلت بعد فترة الوحي.

١-٥- آخر آيات القرآن الكريم نزولاً

ثبت في المصادر أن الآيات التالية هي آخر آيات القرآن الكريم نزولاً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]

١ العلق، ١- ٥.
٢ المُدثر، ١- ٧.
٣ البقرة، ٢٧٨.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1]

﴿...اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾[2]

١-٦- أسباب النزول وأهميتها

ذكرنا فيما سبق أن القرآن الكريم ما أُرسل إلا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكي يوجه الناس إلى الطريق القويم. يضاف إلى هذا أن هناك من الآيات والسور ما نزل بخصوص قضية أو مسألة من المسائل. وهذا ما يُطلق عليه اسم «**سبب النزول**»، وجمعها «**أسباب النزول**».

و معرفة أسباب النزول له أهمية كبيرة للغاية في تفسير الآيات. ويمكن القول أن:

- معرفة أسباب النزول تجعل من إدراك الأوامر والنواهي الواردة في الآيات أمراً سهلاً وأكثر وضوحاً.
- معرفة أسباب النزول تزيل الشبهات، وتمنع الوقوع في الأخطاء.

وسوف نتعرض لهذا الموضوع بشكل مفصل فيما بعد.

صندوق المعلومات

تتعرض الأجزاء الخاصة بالتفسير في كتب الحديث لأسباب نزول عددٍ كبير من الآيات. وتزخر مقدمات كتب التفسير والكتب المتعلقة بأصول التفسير بكثير من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، هذا بالإضافة إلى عددٍ وفير من الكتب المستقلة التي كُتِبت في هذا الموضوع كذلك. من أشهر هذه الكتب: كتاب «أسبَاب النزول» للواحدي (٤٦٨/ ١٠٧٥)، وكتاب «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي (٩١١/ ١٥٠٥)

١-٧- الحكمة من نزول القرآن الكريم بشكل تدريجي

عمل القرآن الكريم على إقناع الناس بالمبادئ والأسس الإلهية التي جاء بها بشكل تدريجي. فانتهج في ذلك مسلكاً متدرجاً في تحريم العادات السيئة، ووضع الأسس الواجب إتباعها وفق مبادئ التوحيد. وأبدى مع هذا اهتماماً بأن يصل المسلمون إلى النضج الذي يمكنهم من خلاله حمل هذه المسئولية. لأن القرآن الكريم له من الكمال ما يجعله يحيط علماً بأدق جوانب البنية الإنسانية.

---

١ البقرة، ٢٨١.
٢ المائدة، ٣.

فلو هجر الناس فجأةً الشرور التي اعتادوا عليها في عصر الجاهلية لجاء ذلك مخالفاً تماماً للطبيعة البشرية، بل يكون ذلك من خلال مسيرة تكاملية وبشكل تدريجي لطيف. من أجل ذلك لم ينزل القرآن الكريم دُفعةً واحدةً واستمر نزوله آية تلو آية، وسورة بعد سورة في مدة امتدت حتى ٢٣ عاماً.

و قد أوضحت الآية الكريمة الآتية الحكمة من نزول القرآن الكريم بشكل تدريجي على النحو التالي:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [١]

لقد أوضحت هذه الآية وغيرها من الآيات المشابهة بوضوح السبب وراء نزول القرآن الكريم بشكل تدريجي وعلى فترات زمنية متقطعة. فقد كان الصحابة كلما نزلت آيات حفظوها وتدبروا معناها. كما كانوا يطبقون في الوقت نفسه أحكام هذه الآيات. ولو كان القرآن قد نزل كاملاً في نفس الوقت لازداد الأمر صعوبة في فهمه وتطبيق ما جاء به من أحكام. ولكن جاء نزوله بشكل تدريجي وعلى فترات زمنية متقطعة ليحقق سهولةً كبيرةً في كلا الجانبين.

و قد ورد هذا الموضوع في حديث السيدة عائشة ﵅ على النحو التالي:

«إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ...» [٢]

يُضاف إلى هذا أيضاً أن الرسول ﷺ ومعه الصحابة ﵃ كانوا يشعرون بسعادة ونشوة بالغة كلما نزل الوحي بعد انقطاعه فترة من الزمن. فكانوا يجدون فيه عزاءً ووسيلةً يسْتَقوون بها أمام ما يعانونه من حقد وضغط من جانب الأعداء. كما وُلِدت عندهم بهذه الآيات القدرة على إيجاد إجابات عن أي سؤال جديد يسأله الأعداء والمسلمون الآخرون على حدٍ سواء.

ملاحظات

اكتب مكان النقاط أسباب نزول القرآن الكريم بشكلٍ تدريجي:

- حتى يتمكن الناس من التخلي عن عاداتهم السيئة.
- ....
- ....
- ....

١ الفرقان، ٣٢.

٢ البخاري، ٦، ١٨٥/ ٤٩٩٣.

١-٨- البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم

هناك علاقة قوية تربط بين المجتمع الذي تربي فيه النبي ﷺ وما ساد هذه الفترة من عادات وتقاليد وعقائد وأفكار، وبين إرسال النبي ﷺ بالرسالة. فالنبي ﷺ هو أحد أفراد ذلك المجتمع وبالتالي يعرف كل شيء عنه.

لقد انغمس معظم العرب في فترة ما قبل الإسلام في ضلال كبير، فكانوا يعبدون من دون الله ﷻ تماثيلاً صنعوها من الأحجار والأشجار والمعادن مثل البرونز ونحوه. فابتعدوا بذلك عن الحق والعدالة والخير وما شابهها من سلوكيات سليمة أخرى. فجاء القرآن الكريم ووقف على هذه العقائد الفاسدة.

من أمثلة هذه السلوكيات الخاطئة التي نهى الإسلام عنها أن الناس كانوا يعتقدون أن دخولهم إلى منازلهم من ناحية الخلف[١] خلال أشهر الحج عمل يجلب لهم الخير، وكان النبي ﷺ يعيش في مجتمع كهذا وبالتأكيد كان لا يوافق عليه.

لقد عاش في مكة وما يجاورها من مناطق في فترة ما قبل نزول القرآن الكريم أناساً مختلفين في العقائد فكان منهم:

- المشركون الذين يعبدون الأصنام.
- اليهود والمسيحيون الذين يطلق عليهم اسم «أهل الكتاب».
- الصابئين عبدة النجوم.
- المجوس عبدة النار.

وقد صوّر القرآن الكريم هذا الوضع في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٢]

لقد فُقِدت النسخ الأصلية غير المُحرفة من بين يدي اليهود والمسيحيين كما أخبرنا القرآن الكريم. مثال ذلك ما ذكرته إحدى الآيات التي تتحدث عن اليهود والمسيحيين من أنهم – أي اليهود والمسيحيين- قد أقدموا على سلوك تعرضوا فيه لوحدانية الله ﷻ المطلقة بإدعاء اليهود أن عُزير بن الله، وقول المسيحيين أن عيسى بن مريم ابن الله. يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٣]

---

١ البقرة، ١٨٩.
٢ الحج، ١٧.
٣ التوبة، ٣٠

نفهم من الآية السابقة أن اليهودية والمسيحية قد فقدتا النسخ الأصلية من الكتب التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام وأن كلاً منهما قد أصبح ديانةً مُحرّفةً.

و تُعتبر **الحنيفية** التي هي دين سيدنا إبراهيم عليه السلام هي الديانة التي ظلت بمنأىً عن الشرك والكفر سواء في مكة أو المدينة منذ أول الأنبياء وحتى مجيء نبينا وإن كانت قليلة الانتشار آنذاك.

و كان من الطبيعي أن يُقابل القرآن الذي نزل في بيئة مثل هذه بردود أفعال مختلفة. وظهرت لردود الأفعال تلك صدىً عند القرآن الكريم نفسه. فنجده يشرح حال أولئك الذين يعارضونه على النحو التالي:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عليهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (١)

و استمر هذا الهجوم في فترة الإقامة في مكة والمدينة كذلك. ومن الآيات التي تعود لفترة المدينة كذلك، قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عليهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (٢)

١-٩- الكتب السماوية التي نزل بها الوحي قبل القرآن

أنزل الله تعالى أربعة كُتب: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم ويُطلق على هذه الكتب الأربعة اسم «**الكتب الإلهية**». ولكن لم تحتفظ الكتب الثلاثة الأولى بنصوصها الأصلية، وتعرضت مع الزمن للتحريف. من أجل هذا أُطلق على هذه الكتب الثلاثة اسم «**الكتب المُحرفة**».

و الآن دعونا نتفقد هذه الكتب وخصائص كل منها بالترتيب.

١-٩-١- التوراة

التوراة هو أول الكتب الأربعة العظيمة التي جاءت من لدن الله جل شأنه. يُطلق على التوراة أيضا اسم تورا. وتعني كلمة تورا الشريعة، والحق، والقانون، والدستور. نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام. والتوراة عند اليهود هي اسم لمجموع الكتب التي تُسمى اليوم بالعهد القديم (العتيق).

و التوراة في نظر اليهود هي كلام الله عز وجل المُنزَّل، وهي تحتل مكانا مهماً في العبادات عندهم. ويُحتفظ اليهود بنسخ التوراة داخل المعابد في دولاب موضوع في جزء داخلي يسمي بالمحراب، وهي نسخٍ مخطوطة من التوراة ملفوفة بغطاء حريري مجدول بخيوط من الذهب والفضة.

---

١ الفرقان، ٥

٢ البقرة، ١٧٠

و يقف أي يهودي يذهب إلى المعبد ليتأمل في هذا الدولاب أو الصندوق المحفوظ به لفافة التوراة، ثم يمسح بيده عليها إذا تيسر له ذلك، ثم يقبل يده من بعد ذلك. ويحمل هذا التصرف قيمة رمزية عند اليهود.

و لا يجوز وفق العقيدة اليهودية أن يقرأ أحد التوراة في أي مكان دون أن يغطي رأسه، كما لا يجوز الدخول إلى المعبد وقراءة التوراة دون غطاء للرأس. كما يلزم بالإضافة إلى هذا أن يتوضأ الشخص ويكون طاهراً.

فيما يلي عرض للكتب الخمسة الأولى في العهد القديم التي يتكون منها كتاب التوراة:

- **التكوين**: يتناول هذا الكتاب خلق الدنيا، والتاريخ الأول لنسل الإنسان، والمعصية التي أقدم عليها سيدنا آدم و حواء عليهما السلام،وقابيل وهابيل ،ونوح عليه السلام والطوفان، برج بابل.
- **الخروج**: يتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر.
- **اللاويين**: يحتوي على الأحكام الخاصة بالعبادات والطقوس الدينية. وتمثل قدسية الله عز وجل وطرق عبادته الفكرة الأساسية في هذا الكتاب.
- **العدد**: يتحدث عما وقع من أحداث في فترة ٤٠ عام تقريباً حتى دخل اليهود الذين تركوا جبل سيناء إلى ديار كنعان (فلسطين).
- **التثنية**: الفكرة الرئيسة في هذا الكتاب تذكر بني إسرائيل بنعم الله عز وجل عليهم الذي خلّصهم من العبودية والذلة وضرورة أن يحبوا الله عز وجل ويطيعوه.

١-٩-٢- الزبور

الزبور هو ثاني الكتب الإلهية أنزله الله تعالى على سيدنا داود عليه السلام. يُعرف الزبور بالمزامير. والمَزْمور في المعجم هو «الترانيم والأناشيد الدينية التي تُقال مع المزمار، وهو الكتاب المُدوّن»، ويدل اسم المزمور على «كل واحدة من سور الزبور التي نزلت على سيدنا داود عليه السلام».

يضم الزبور بصفة عامة ابتهالات وتضرع سيدنا داود لله جل شأنه. والزبور هو أحد أوائل الكتب الإلهية التي تنتمي لعصر الأديان التي تقوم على عقيدة وحدانية الله تعالى، وقد نزل الزبور كي يرشد اليهود إلى طريق الله عز وجل وهم الذين انحرفوا عن الصواب، ولم يعرفوا القواعد الأخلاقية، وسبحوا في بحر السوء والإثم.

لا يمكن الجزم بوجود نسخة أصلية من الزبور في يومنا الحاضر. وعلى الرغم من عدم وجود أي أمة أو جماعة على وجه الأرض تتبع الزبور اليوم، إلا أن اليهود والمسيحيين ما زالوا يقرؤون في عباداتهم وطقوسهم الدينية أجزاءً من الزبور بغرض الدعاء.

يُلزم مبدأ الإيمان بالكتب السماوية الذي هو من شروط الإيمان أي مسلم بالإيمان بالزبور إلى جانب الكتب الإلهية الأخرى. ولكن الزبور الموجود الآن هو كتاب قد أصابه التحريف أيضاً كما بين لنا الإسلام.

١-٩-٣- الإنجيل:

هو الكتاب الإلهي الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام. والإنجيل هو أحد أربع كتب إلهية عظيمة. وهو باليونانية «Evangelion» وتعني الخبر الحسن والبشارة. يُطلق على الإنجيل اسم «العهد الجديد».

لم يُدوّن الإنجيل في شكل كتاب في حياة سيدنا عيسى كما حدث مع الأنبياء السابقين؛ لأن فترة تبليغ عيسى عليه السلام الرسالة كانت قصيرة، كما لم تسعفه ظروف العصر الذي عاش فيه ليقوم بذلك. ولم يُدَوّن أقدم إنجيل إلا بعد عيسى عليه السلام بسبعين عاماً.

لهذا السبب لم يكن هناك ثمة إمكانية لتسجيل الحقائق التي دعا إليها عيسى عليه السلام بشكل فوري، فاختلطت الأناجيل المكتوبة بعد ذلك بكلام البشر وبذلك تعرض الكتاب الأصلي للتحريف.

لقد قبلت الكنيسة بأربعة أناجيل رسمية هي :

- متَّى.
- مرقس.
- لوقا.
- ويوحنا.

و تنظر العقيدة المسيحية لهذه الأناجيل أنها حمت خصوصيتها، وأنها كُتِبت بتدبير الرب بشكل سليم بلا أخطاء من قبل من تولوا كتابتها، وأن الحواريين وكَتَبة الوحي كانوا في حديثهم وكتابتهم يتحدثون ويكتبون بإرادة الرب.

تذكر المصادر الإسلامية أنه في الوقت الذي أُرسلت فيه الكتب إلى الأنبياء الآخرين عن طريق الوحي، نجد أن الإنجيل قد نزل على سيدنا عيسى وحياً في الفترة التي وجد فيها في الدنيا. وسيدنا عيسى في العقيدة الإسلامية نبي، والإنجيل هو اسم الكتاب الذي نزل عليه وحياً. كما أن الإنجيل كتاب واحد بلّغه سيدنا عيسى للناس طوال فترة وجوده في الدنيا.

٢- الحفاظ على القرآن الكريم بالتدوين

٢- ١- نزول القرآن الكريم، وحفظه شفاهةً وكتابةً

نزل القرآن الكريم في ليلة القدر في شهر رمضان عام ٦١٠ ميلادية أثناء اعتكافه في غار حِراء. وكانت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول آيات تنزل على رسول الله ﷺ.

نزل القرآن الكريم تِباعاً خلال ٢٣ عاما. وقد عمل هذا الوضع على تيسير تطبيق الآيات التي تنزل من ناحية، ومد المسلمين بالقوة أمام ما يواجههم من أحداث من ناحية أخرى.

لقد تم تأمين القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ بالحفظ والتدوين، فصار بذلك في مأمن.

كان رسول الله ﷺ يسارع بحفظ الآيات التي يتلقاها من الوحي بشكلها الذي نزلت عليه من لدن الله جل شأنه، وبذلك كان النبي ﷺ أول من حفظ القرآن الكريم.

أسند الرسول ﷺ منذ أيام الإسلام الأولى وظيفة **كاتب الوحي** إلى بعض الصحابة، وأملى عليهم الوحي ليكتبوه وفق الإمكانات المتاحة في ذلك الوقت على قطع من الجلد، والقماش، وألواح الخشب، وعظام كتف الجمال، والأحجار البيضاء الرقيقة الناعمة وفوق أغصان النخيل العريضة وقشورها.

كان رسول الله ﷺ ينادي أحد كُتَّاب الوحي بعد نزول آية، ويُملي عليه الوحي، ويرشده إلى المكان الذي ستوضع هذه الآية فيه حتى ذلك الوقت.

تذكر الروايات صراحةً أن رسول الله ﷺ كان يأمر كَتَبَة الوحي بعد أن ينتهوا من كتابة الآيات، كان يأمرهم بقراءة ما كتبوه حتى يَصحح الأخطاء التي قد تحدث أثناء الكتابة، وكان يُبلغ النساء بما نزل من وحي بعد أن يُبلغ به الرجال.

كان رسول الله ﷺ يقرأ ما نزل عليه من آيات القرآن الكريم في الصلاة وخارجها، ويُعلِّم الناس ما ورد بها من أحكام وحِكم. كما كان جبريل عليه السلام يعرض القرآن على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام ما نزل من آيات حتى ذلك الوقت، وهو ما كان يُطلق عليه اسم **العرض**. وقد ورد أن جبريل عرض على النبي ﷺ القرآن الكريم مرتين في العام الذي قُبِضَ فيه.

أولى الصحابة اهتماما كبيراً لتعلم القرآن وقراءته وحفظه. وكانوا يقيسون تفوق أحدهم وفق مقدار ما لديه من علوم القرآن الكريم. وقد حفظ معظم الصحابة في حياة النبي ﷺ القرآن الكريم كاملاً أو أجزاءً منه.

من المعروف أن هناك عددٌ كبيرٌ من الصحابة كانوا يحفظون القرآن الكريم. فتذكر المصادر أن ٧٠ ممن يحفظون القرآن الكريم قد أُستشهدوا في حادثة بئر معونة، وأُستُشهد القدر نفسه في معركة اليمامة. ويشير هذا الموقف إلى أن هناك أعداد كبيرة للغاية من الصحابة سواءً في عهد الرسول ﷺ أو بعد وفاته كانوا يحفظون القرآن الكريم.

ملاحظة

بلغ عدد كَتَبَة الوحي أربعين، جاء على رأسهم الصحابة مثل:زيد بن ثابت، وأُبَي بن كعب، وعبد الله بن سعد، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن الأرقم ﷺ .

هل تعلم؟

يمكننا أن نذكر بجانب الخلفاء الأربعة عدداً آخر من كبار الصحابة الذين حفظوا القرآن الكريم وهم : زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأُبَي بن كعب، وسالم معتوق أبو حذيفة، وأبو زيد الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري ﷺ.

٢-٢- جمع القرآن الكريم في شكل المُصحف

على الرغم من أن عملية حفظ وتأمين القرآن الكريم كاملاً سليماً قد تمت في حياة رسول الله ﷺ عن طريق الحفظ شفاهة أو بالتدوين، إلا أن كل الآيات والسور لم تُجمع في شكل كتاب. فلم يُقدم رسول الله ﷺ على خطوة كهذه نظراً لقصر الفترة الزمنية بين نزول الوحي واكتمال نزول الآيات من جهة والمرحلة الزمنية التي سبقت وفاته من جهة أخرى، كما لم يشعر أحد بالحاجة إلى هذا الأمر في ذلك الوقت والرسول بينهم.

و بعد وفاة النبي ﷺ تم اختيار أبي بكر ﷺ على رأس الخلافة الإسلامية. وفي تلك الفترة ظهر عدد من الأشخاص الذين ادعوا كذباً النبوة مما أدى إلى اشتعال حركات الفتنة والردّة (ترك الإسلام) بين المسلمين.

قام الخليفة أبو بكر ﷺ من أجل التصدي لهذه الفتن بإرسال جنود لمحاربة هؤلاء. والتقى جيش المسلمين مع جيش مسيلمة الكذاب،واُستُشهد في تلك المعركة عددٌ كبيرٌ من حفظة القرآن الكريم.

أقلق هذا الوضع سيدنا عمر، وفكر أن تناقص عدد الذين يحفظون القرآن عند الدخول في معارك أخرى قد تسفر عن نتيجة مماثلة لهذه المعركة، هو أمر قد يُضر بالقرآن، ومن ثمّ توجه إلى الخليفة واقترح عليه أن يُجمع القرآن في كتاب واحد. فكوَّن سيدنا أبو بكر ﷺ لجنةً برئاسة زيد بن ثابت الذي كان كبير كَتَبَة الوحي في عهد رسول الله ﷺ، وأمرهم بجمع القرآن الكريم في كتاب واحد.

وخرج من يُنادي في الناس أن يُحضر كل منهم النسخ التي يملكها. ووُضعت شروط ثلاثة لقبول الآيات والسور التي يأتون بها:

١. أن الذي يأتي بآيات وسور يكون حافظاً لها.
٢. أن تكون هذه الآيات قد كُتِبت في حضور الرسول ﷺ.
٣. أن يأتي كل منهم بشاهدين على الأقل لإثبات هذا.

اكتملت عملية جمع القرآن الكريم بعد عام من العمل الجاد، وأُطلق اسم **المصحف** على النسخة التي جُمِعَ فيها القرآن.

نفهم من الشروط الواردة أعلاه أن هذا العمل كان عبارة عن جمع لآيات القرآن الكريم التي كُتِبت في حضور الرسول ﷺ، وبعد ذلك تم تسليم هذا المصحف إلى الخليفة أبي بكر بعد مُصادقة الصحابة على ذلك. وانتقل المصحف بعد وفاة أبي بكر إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه- ثاني الخلفاء الراشدين-، وانتقل بعد وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه تنفيذاً لوصيته إلى ابنته وزوجة رسول الله ﷺ السيدة حفصة رضي الله عنها.

٢- ٣- نسخ المصحف (كتابة نسخ أخرى منه)

انتشر الإسلام في بلدان جديدة مع الفتوحات التي حققها المسلمون في فترة حكم سيدنا عمر وسيدنا عثمان رضي الله عنهما، واعتنق الإسلام شعوب لها ثقافتها المختلفة. ومع ازدياد عدد المسلمين لوحظ وجود بعض الاختلافات في قراءة القرآن الكريم بين أبناء هذه الأمم، الأمر الذي صار مجالاً للشكوى.

جاء حذيفة بن اليمان وهو القائد الذي شهد هذه الأمور في جيشه والتقى بسيدنا عثمان رضي الله عنه، وطلب منه أن يتخذ التدابير اللازمة لمنع اختلاف الناس في هذا الموضوع وإزالة أسباب شكواهم.

قام سيدنا عثمان رضي الله عنه – بعد أن شاور في الأمر – بانتخاب لجنة برئاسة زيد بن ثابت مرة أخرى. وطلب منهم أن يقوموا بنسخ مصاحف جديدة مسترشدين بالمصحف الذي تم جمعه في عهد سيدنا أبو بكر رضي الله عنه والموجود لدى السيدة حفصة.

أتمت اللجنة العمل المنوط بها بعد فترة من العمل الجاد. وتم إعادة النسخة الأصلية بعد ذلك إلى السيدة حفصة رضي الله عنها مرة أخرى. وتُركت إحدى النُسخ المكتوبة في المدينة وأُطلق عليها اسم «**المصحف الإمام**». وأُرسلت النسخ الأخرى إلى مكة، والكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين.

أُرسل مع كل نسخة من نسخ القرآن الكريم معلم للقرآن. فقام المسلمون بتصحيح نسخ القرآن الموجودة بين أيديهم وفقا لهذه المصاحف الجديدة، وكانوا يتخلصون تماماً من النسخ التي لا يمكنهم تصحيحها. وتم كتابة نسخ كثيرة من القرآن الكريم استرشاداً بهذه المصاحف. وبذلك حُفِظَ القرآن الكريم بشكله الأصلي الذي كان عليه في عهد النبي ﷺ.

اكتبوا

هل تتذكرون المدن الإسلامية المهمة التي أُرسلت إليها نسخ المصاحف المكتوبة؟

....

....

....

....

قطعة للمطالعة

أُبَي بن كعب ﷺ: الصحابي الذي أُشتهر بقراءته

سأل النبي ﷺ ذات يوم أُبَيّ بن كعب أبا المنذر ﷺ ـ وهو أحد صحابة نبينا الحبيب ﷺ ـ وقال:

«يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»

فرد عليه أُبَيّ ﷺ وقال: الله ورسوله أعلم.

فأعاد السؤال عليه قائلاً:

«يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»

قال أُبَيّ بن كعب ﷺ: أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي.

فضرب النبي ﷺ صدره بيده، ودعا له بخير، وقال:

«والله ليهنك العلم أبا المنذر» (أي هنيئًا لك العلم).[١]

خذوا القرآن من أربع

قال رسول الله ﷺ ذات يوم:

«خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم، مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، **وأبي بن كعب**»[٢] فأُبيّ بن كعب من بين هؤلاء الأربعة ذوي العلم.

آلله سمَّاني لك؟

قدم أُبيّ بن كعب خدمات جليلة للقرآن الكريم في جمعه وقراءته على أفضل ما يكون. وقال عنه رسول الله ﷺ:

«...وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب...» [٣]

---

١ مسلم، فضل أية الكرسي، ٢٥٨/ ٨١٠.

٢ البخاري، فضل الصحابة، جـ٥، ٣٦/ ٣٨٠٨.

٣ النسائي، السنن الكبرى، جـ٧، ٣٤٥/ ٨١٨٥.

و قال له ذات يوم:

«إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ....﴾ [البينة: ١]

فقال أبي بن كعب ﵁: وَسَمَّانِي؟

قال ﷺ: **نعم**.

فجعل أبيّ بن كعب ﵁ يبكي من شدة الفرح.[١]

شارك أُبيّ بن كعب الرسول ﷺ في كل الغزوات. وكان من بين الذين جُرِحوا في أُحد فأرسل له نبينا الحبيب ﷺ طبيباً، فكوى له الطبيب جرحه فشفي على إثر ذلك.

أطلق عليه رسول الله ﷺ إضافةً لاسمه كُنية **أبو مُنذر**، وأطلق عليه كذلك لقب **سيد الأنصار**.

كان من بين أندر المسلمين الذين علَّموا القرآن الكريم في حياة رسول الله ﷺ. قدّم خدمة عظيمة في كل علوم الدين مثل: الحديث، والفقه، والتفسير.

من أقوال سيدنا أبيّ بن كعب ﵁ الذي قضي حياته كلها في خدمة القرآن الكريم:

«المؤمن بين أربع: إن اُبتُلِي صبر، وإن أُعْطِيَ شكر، وإن حكم عَدَلَ، وَإِنْ قَالَ صَدَقَ، فهو يتقلب في خمسة من النور، وهو الذي يقول: الله نُورٌ عَلَى نُورٍ، كلامه نور، وعلمه نور، ومَدخله في نور، ومخرجه من نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة».

و قد أمر سيدنا عمر ﵁ سيدنا أبيّ بن كعب ﵁ أن يصلي بالناس صلاة التراويح أول مرة.

لُقِّب سينا أبيّ بن كعب ﵁ بعدة ألقاب هي:

سيد القُرّاء، وسيد الأنصار، وسيد المسلمين. وتدل هذه الألقاب الشريفة السامية على مكانته بين المسلمين. وينسب أبيّ بن كعب إلى بني النجّار وهو من قبيلة الخزرج.

---

١ البخاري، مناقب أبي بن كعب، جـ ٥، ٣٦/ ٣٨٠٩.

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١- اكتب المعنى المعجمي والاصطلاحي لكلمة وحي؟

٢- تحدث عن حال رسول الله ﷺ وقت نزول الوحي ؟

٣- ما هي فوائد معرفة سبب النزول من ناحية علم التفسير؟ اكتب في هذا.

٤- ما هو السبب والحكمة من وراء عدم نزول القرآن الكريم دُفعة واحدة؟

٥- تحدث باختصار عن وتيرة نزول القرآن الكريم؟

٦- تحدث باختصار عن حفظ القرآن الكريم شفاهة وكتابةً؟

٧- اكتب عن كتابة نسخ عديدة من القرآن الكريم؟

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي مما يلي ليس من معاني كلمة وحي في المعجم؟

أ- الهمس.

ب- الإلهام.

ج- إعطاء معلومة.

د- النداء.

هـ- كل ما ألقيته إلى غيرك.

٢. وردت كلمة وحي في معان مختلفة في الآيات. أي مما يلي ليس واحداً من هذه المعاني؟

أ- وخيم.

ب- الإيماء والإشارة.

ج- الغريزة.

د- الإلهام.

هـ- الأمر.

٣. أي مما يلي لا يمكن عده من الصور التي كان الوحي يأتي عليها؟

أ- يأتي من الله تعالى مباشرةً.

ب- من وراء حجاب.

ج- بواسطة مَلَك.

د- يُملى على كَتَبَة الوحي.

هـ- عن طريق الرؤية الصادقة.

٤. في أي سورة توجد أول آيات القرآن الكريم نزولاً؟

أ- الفاتحة.

ب- يس.

ج- العاديات.

د- العلق.

هـ- الإخلاص.

٥. نزلت بعض آيات و سور القرآن الكريم في قضية أو مسألة معينة. ماذا يُطلق على هذه القضايا في علم التفسير؟

أ- قصص القرآن.

ب- فترة الوحي.

ج- مسائل القرآن.

د- سبب الورود.

هـ- سبب النزول.

٦. ما الذي كان يُطلق على عقائد أولئك الذين لم يعبدوا الأصنام في مكة في فترة نزول القرآن الكريم و لم تلوثهم الشرور وحاولوا أن يعيشوا على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام؟

أ- الصابئة.

ب- المسيحية.

ج- عَبادة الأصنام.

د- الحنيفية.

هـ- اليهودية.

٧. أي مما يلي خطأ من ناحية الكتب الإلهية والأنبياء الذين نزلت عليهم هذه الكتب؟

أ- التوراة – سيدنا موسى عليه السلام.

ب- الزبور – سيدنا سليمان عليه السلام.

ج- الإنجيل – سيدنا عيسى عليه السلام.

د- القرآن – سيدنا محمد عليه السلام.

هـ- الزبور – سيدنا داود عليه السلام.

٨. أي مما يلي ليس من بين الأناجيل الأربعة التي قبل بها المسيحيون؟

أ- مرقس.

ب- متَّي.

ج- برنابا.

د- لوقا .

هـ- يوحنا.

٩. عقد الخليفة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه لجنةً، و أمر بجمع القرآن الكريم في كتابٍ واحد. أي من التالية أسماؤهم الصحابيٍ الذي ترأس هذه اللجنة؟

أ- زيد بن ثابت رضي الله عنه.
ب- زيد بن حارثة رضي الله عنه.
ج- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
د- عبد الله بن عباس رضي الله عنه.
هـ- أسامة بن زيد رضي الله عنه.

١٠. تُركت إحدى النسخ المكتوبة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه في المدينة. ووُزِعت النسخ الأخرى على المدن المختلفة.
أي مما يلي ليس من هذه المدن التي أُرسلت إليها النسخ الأخرى؟

أ- الكوفة.
ب- البصرة.
ج- الشام.
د- بغداد .
هـ- البحرين.

ج - أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هومناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(كتبة وحي، العرض، نبوة، المصحف، فترة الوحي، الرسالة)

١. يُطلق اسم .... على الفترة التي انقطع فيها الوحي.
٢. بدأت .... النبي ﷺ بالخمس آيات الأولى من سورة العلق والسبع آيات الأخرى من سورة المدثر التي نزلت بعد ....
٣. عيّن الرسول ﷺ بعض الصحابة .... ليقوموا بمهمة كتابة آيات القرآن الكريم.
٤. كان رسول الله ﷺ يقرأ على جبريل عليه السلام الآيات التي نزلت حتى ذلك الوقت في شهر رمضان من كل عام. وهذا ما كان يُطلق عليه اسم ....
٥. أُطلق اسم .... على شكل القرآن عند جُمِع في كتاب واحد.

كلمات متقاطعة

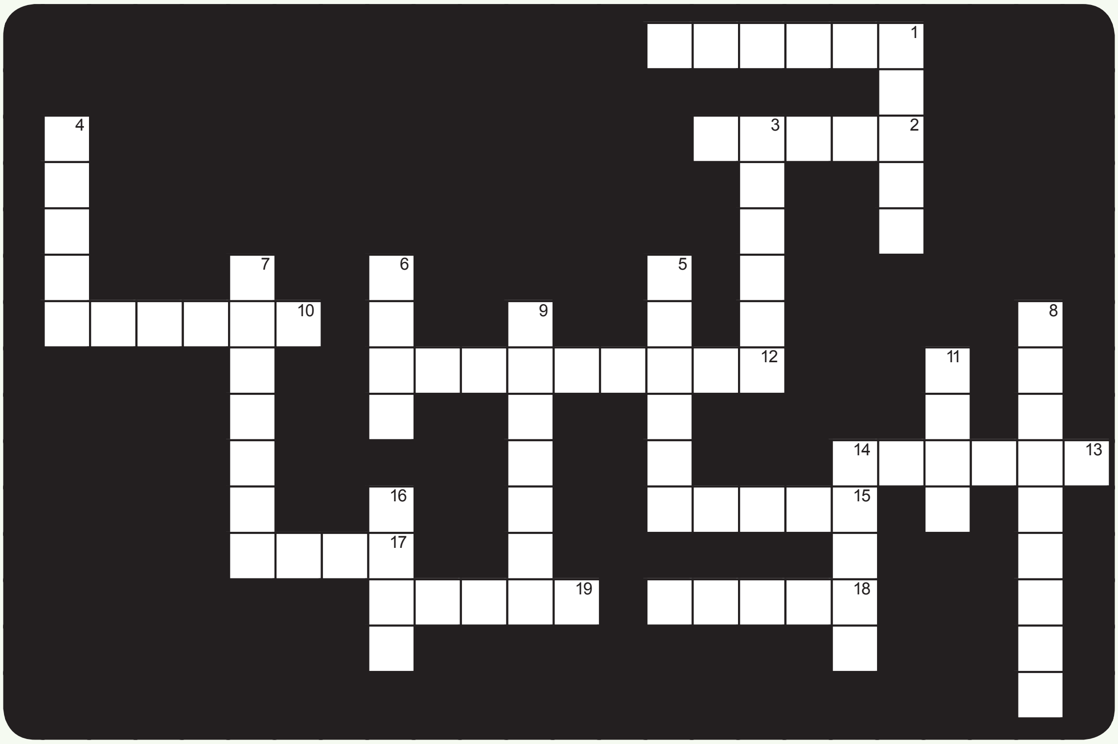

1. السورة التي يوجد بها أول الآيات نزولاً على رسول الله.
3. شكل القرآن عندما جُمع في كتاب واحد.
4. اسم الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم.
5. نزول القرآن على مراحل.
6. الإسم الذي أُطلق على الأشخاص الذين كانوا على دين سيدنا إبراهيم ﷺ وقت نزول القرآن الكريم.
7. الكتاب الإلهي الذي نزل على موسى ﷺ.
8. الصحابي الذي حفظ القرآن وترأس اللجنة التي جمعت القرآن الكريم في كتاب واحد.
9. الكتاب الإلهي الذي نزل على عيسى ﷺ.
11. الشخص الذي يعبد النجوم.
14. اسم الشهر المبارك الذي أُنزِل فيه القرآن الكريم.
16. الصحابي الذي كان جبريل يأتي في صورته عندما يجيء بالوحي.

1. كلمة يُقصد بها سبب نزول الآيات.
2. الخليفة الذي أصدر الأمر بكتابة نسخ عديدة من القرآن الكريم ، و قام بإرسال النسخ المكتوبة إلى المدن الإسلامية المهمة.
10. الكتاب الإلهي الذي نزل على داود ﷺ.
12. اسم الفترة التي انقطع فيها نزول الوحي.
13. الخليفة الذي جمع آيات القرآن في كتاب واحد.
15. الشخص الذي يعبد النار.
17. زوجة رسول الله التي احتفظت بالنسخة الأولى من القرآن بعد وفاة الخليفة عمر رضي الله عنه.
18. قراءة جبريل وسيدنا محمد القرآن الكريم كل للآخر في شهر رمضان من كل عام.
19. كلمة لها معان مختلفة مثل الكلام الخفي، والهمس، و الإلهام.

الوحدة الثالثة

٣

عرض القرآن الكريم- التفسير

موضوعات الوحدة

- علم التفسير، تعريفة، مواضيعه وغاياته .
- أنماط التفسير وخصائصه .
- المفاهيم الأساسية لعلم التفسير .

الأنشطة التحضيرية

- اذكروا ما تعرفونه عن ضرورة تفسير القرآن الكريم.
- هل سبق لكم أن قرأتم أحد كتب التفسير؟ إن كانت الإجابة بنعم، ناقشوا وجهة نظركم الخاصة بهذا الكتاب مع زملائكم.
- قوموا بعمل دراسة عن التفاسير المكتوبة في العصور الأخيرة، وناقشوا في الفصل مع زملائكم أسماء هذه الكتب ومؤلفيها.
- هل سبق لكم أن جلستم في جِلسة لتفسير القرآن الكريم؟ ناقشوا ما لديكم من أفكار مع زملائكم في الفصل.
- أحضروا أحد كتب التفسير معكم إلى الفصل، وقوموا بمطالعته مع زملائكم.

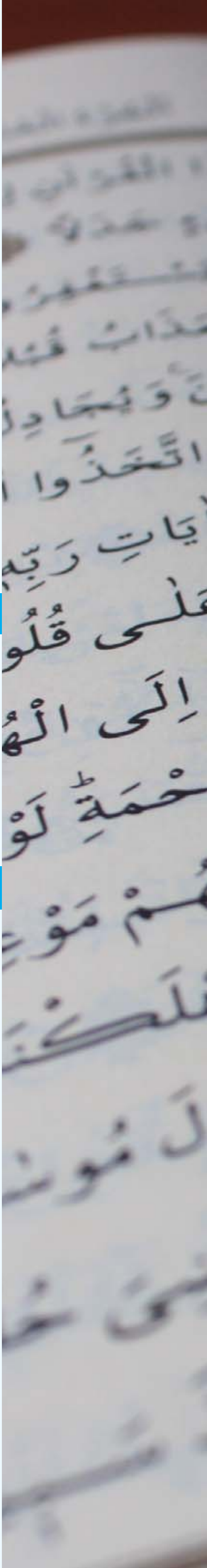

١ - علم التفسير (تعريفة، مواضيعه وغاياته)

١ - ١ - تعريف التفسير

المعنى المعجمي لكلمة التفسير: تحديد معنى الشيء ومن ثم تبيينه وإظهاره وإزاحة الغموض عنه.

و التفسير اصطلاحا: إيضاح وفهم معاني آيات القرآن الكريم وفق أسس وقواعد محددة تواضع عليها العلماء.

أما علم التفسير فهو العلم الذي يهتم بشرح آيات القرآن الكريم بشكل يمكن للناس معه فهمها، ويزيل الغموض عن بعض الألفاظ الواردة فيها.

١-٢- موضوع التفسير

يهتم هذا العلم بتفسير القرآن الكريم، من أجل هذا كان القرآن الكريم بجميع سوره وآياته مادة دراسة هذا العلم. يتناول علم التفسير القرآن الكريم بأكمله آية بعد آية، ويتناول آياته كلمة بعد كلمة يبحث في معانيها وفق أسس وقواعد محددة. وبذلك يفسر بشكل واسع المعاني التي تحويها الآيات الكريمة. ويقوم علم التفسير التوائم بين المعلومات الواردة في هذه الدراسات، وتأويل الآيات وبين المعاني التي تحتويها الآيات، يتخذ منها أساساً له. لهذا السبب يُراعى عند تفسير الآيات النظر في القرآن الكريم كله، وما مر بالرسول من أحداث تخص هذا الموضوع، وحديث الصحابة في الشأن نفسه. فتصبح الأحداث من هذه الناحية عنصراً مساعداً في موضوع علم التفسير.

هيا بنا نتناقش

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص، ٢٩)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد، ٢٤)

ناقشوا مع زملائكم أهمية دراسة علم التفسير في ضوء قراءتكم لتفسير الآيات الواردة أعلاه.

١ - ٣- الغاية من التفسير

هدف علم التفسير- الذي هو من علوم الدين - هو الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة. وفهم تفسير القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ بشكل يتلاءم ومقصد الله ﷻ، وإكساب القدرة على استنباط الأحكام منه.

يحتوي القرآن الكريم ـ وهو كتابنا المقدس ـ على كل الأحكام الدنيوية والأخروية التي تحتاج إليها الإنسانية كلها. ويستطيع كل فرد وكل مجتمع أن يستفيد من هذا المصدر المُتبحّر حسب قدراته وإمكاناته وبما يلبي حاجاته. ولأن القرآن الكريم كتاب إلهي فيه حل لكل مشكلة، وشفاء لكل داء، كان من الضروري أن نتعرف عليه ونفهم ما جاء به. وهذا هو الهدف من علم التفسير.

٢- أنماط التفسير وخصائصه

لم يكن هناك وجود لآثار مكتوبة في علم التفسير في عهد الرسول ﷺ، وسبب ذلك أن هذا العلم لم يكن قد ظهر بشكل مُنظّم بعد. فقد كان نبينا ﷺ يفسر للصحابة معاني الآيات التي ينزل بها الوحي. ويعلمهم بشكل مفصل الخصوصيات غير الواضحة في الآيات، وكان الصحابة يسألون رسول الله في الأمور التي لم يتطرق إليها، فيقدم لهم الشرح الوافي لتلك الأمور.

قام بعض الصحابة في عصر الصحابة بتفسير آيات مختلفة من القرآن الكريم. وعمد علماء الإسلام ابتداءً من القرن الثاني الهجري إلى تحديد أسباب نزول الآيات والسور وبدؤوا في تفسير القرآن الكريم واضعين نصب أعينهم أحاديث رسول الله وكلمات الصحابة. وأخذت هذه الدراسات تتقدم وتتسع أكثر في العصور التالية ، وبدأت مرحلة كتابة كتب التفسير التي تشرح آيات القرآن الكريم بالتفصيل.

ينقسم التفسير إلى قسمين هما تفسير الرواية (تفسير بالمأثور) وتفسير الدراية (تفسير بالرأي).

٢-١- تفسير الرواية (تفسير بالمأثور)

يُطلق **تفسير الرواية** على تفسير آيات القرآن بآيات أخرى وردت في القرآن الكريم ، وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بما روي عن الصحابة ﷺ.

يعتبر تفسير الرواية أدق أنواع التفسير وأكثرها صحةً لأنه يستند في الأساس على القرآن والسنة، من أجل هذا لا يوجد فيها أثر لآراء مؤلفي هذه التفاسير أو الأشخاص الذين يقومون عليها.

فيما يلي عرض لبعض تفاسير الرواية وأكثرها شهرة:

- محمد بن جرير الطبري : **جامع البيان عن تأويل القرآن.**
- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.**
- جلال الدين السيوطي : **الدر المنثور في تفسير المأثور.**
- أبو الليث السمرقندي : **بحر العلوم.**
- أبو محمد الحسين البغوي : **معالم التنزيل.**

هيا بنا نقرأ ونتعلم

الدر المنثور

"**الدر المنثور**" للسيوطي (١١٩/ ٥٠٥١) هو نموذج على تفاسير الرواية.

اسم الكتاب كاملاً " **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ". لا يضم هذا الكتاب أي تفسير أو شرح غير الروايات المتعلقة بتفسير الآيات. ينظر البعض إلى هذا الأثر باعتباره الكتاب الأكثر شهرةً وتفصيلاً في موضوع تفسير الرواية. وفي الوقت الذي يحتوي تفسير الطبري ـ وهو من كتب تفسير الرواية أيضاًـ على عدد لا يحصى من عناصر الدراية، نجد أن القسم المتبقي خارج الروايات في هذا الأثر هو عبارة عن مقدمة تتألف من بضعة أسطر.

قام المؤلف كما وضح ذلك في مقدمة التفسير القصيرة بجمع روايات التفسير المنسوبة إلى النبي ﷺ في المقام الأول والصحابة ﵃ بعد ذلك بمصادرها وسندها في كتابة المسمى "**ترجمان القرآن**". وقام بعد ذلك باستخراج الإسناد والطرق المختلفة لأنه أصبح كبيراً جدا في الحجم، ليتحول إلى شكله "**الدر المنثور**". واكتفى في هذا الأثر الجديد بذكر الآثار المرجعية التي أُخذت عنها الروايات وبما قاله الرواة الأوائل من الصحابة أو التابعين.

استخدم في هذا الأثرـ باستثناء كتب الحديث المشهورة ـ كم من المراجع لمؤلفين تخطى عددهم المائة. لم يصل إلينا – في يومنا الحاضر – جزءٌ مهمٌ من هذه الآثار التي استخدمت بشكل أساسي في هذا الكتاب. وبذلك يكون قد نقل إلى الأجيال القادمة الروايات الموجودة في الكتاب والتي لم تصل إلينا، وهو الأمر الذي زاد من أهمية الدر المنثور.

أراد السيوطي من هذه الدراسة جمع الروايات المتعلقة بالتفسير فقط. من أجل هذا لم يعطِ أي اهتمام إلى الروايات المنقولة من المصادر غير الموثوقة. من أجل هذا أيضاً تعرض للنقد الشديد من جانب بعض العلماء. وعلى الرغم من هذا فقد لقيَ الإعجاب منذ العصر الذي كُتِبَ فيه، ولجأ إليه كثير من المفسرين في موضوع تفسير الرواية.

(موسوعة وقف الديانة التركي الإسلامية، المجلد العاشر، ص ٩٣)

ينبغي الانتباه في التفاسير إلى صحة الروايات المشار إليها وأنها أُخذت عن نبينا ﷺ أو أي من الصحابة ﵃؛ لأن هناك عدد من تفاسير الرواية التي لم تتحرَ الدقة المطلوبة في هذا الموضوع، من أجل هذا نُصادف عدداً وإن كان قليلاً من الأخبار المُلفقة أو التي لا أصل لها المعروفة بالإسرائيليات.

صندوق المعلومات

ما المقصود بالإسرائيليات؟

الإسرائيليات: هي الروايات العارية عن الصحة والموجودة في بعض التفاسير، و قد دخلت هذه الروايات إلى الثقافة الإسلامية من ثقافات أخرى مثل الثقافة اليهودية و المسيحية. مثال ذلك الروايات الخاصة بنوع الفاكهة المحرمة التي أكل منها سيدنا آدم ﵇ والسيدة حواء في الجنة، كل واحدة من هذه الروايات من الإسرائيليات.

٢-٢- خصائص تفسير الرواية

أ- تفسير القرآن بالقرآن:

تفسير بعض آيات القرآن الكريم بآيات أخرى. وهو ما يُعرف بتفسير القرآن بالقرآن وتتبع هذه الطريقة أسلم وأكثر الطرق دقة في تفسير القرآن الكريم.

يحتوي القرآن الكريم في مواضع كثيرة على آيات يفسر بعضها الآخر. مثال ذلك؛ الآية رقم ٦ في سورة الفاتحة ﴿**اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ تُفسرها الآية التالية لها على النحو التالي ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عليهِمْ...**﴾

تتحدث الآية رقم ٦٩ من سورة النساء عن الأشخاص الذين يشملهم لطف وكرم الله تعالى:

﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا**﴾[١]

يفسر القرآن الكريم معنى الصراط المستقيم هنا بأنه «طريق الذين أنعم الله ﷻ عليهم» ، ويوضح أن أولئك الذين أنعم عليهم هم «النبيين والصديقين والشهداء والصالحين». وكما رأينا في هذا المثال فبعض آيات القرآن الكريم تفسر بعض الآيات الأخرى.

١ النساء، ٦٩.

ب- تفسير القرآن الكريم بالسُنة الشريفة:

لا شك أن رسول الله ﷺ هو أكثر الناس فهماً للقرآن الكريم. فقد بلّغ الناس وعلّمهم وشرح لهم كلام الله تعالى ماشياً مع مهمة النبوة التي كُلّف بها، وطبّق الأحكام الإلهية الواردة فيه في حياته الخاصة؛ من أجل هذا تعتبر الأحاديث الشريفة المصدر الثاني في تفسير القرآن الكريم.

ومن أمثلة تفسير القرآن الكريم بالسنة، قول الله تعالى في الآية ٢٣٨ من سورة البقرة:

﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى...﴾ فنجد أن الحديث الشريف يفسر المقصود بالصلاة الوسطى الواردة في الآية بأنها صلاة العصر.[١]

وتؤكد الآية الأخيرة من سورة الفاتحة على ضرورة أن يلجأ المسلمون إلى الله تعالى وليس إلى الذين غضب الله عليهم أو إلى الضالين، وذلك في قوله ﷻ:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عليهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عليهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ .

يفسر نبينا ﷺ كلمة **المَغْضُوبِ عليهِمْ** الواردة في الآية الكريمة بأنهم «اليهود»، وأن **الضَّالِّينَ** هم «النصارى».[٢]

ج- تفسير القرآن بكلمات الصحابة:

بذل الصحابة ﷺ جهوداً عظيمة لتعلم القرآن الكريم وفهم ما جاء به على أفضل وجه، وأخذوا معلوماتهم في هذا الموضوع عن النبي ﷺ ، وأثمرت جهودهم تلك أنهم تعلموا القرآن بشكلٍ جيد صحيح، وأسهمت جهود الصحابة العظيمة في فهم القرآن الكريم ونشره. وفرضت كلماتهم في تفسير القرآن الكريم لنفسها مكاناً في الآثار الخاصة بتفسير هذا الكلام الإلهي.

ومن أمثلة تفسير القرآن الكريم بكلمات الصحابة: قول الله تعالى في الآيتين ٢٨ و٢٩ من سورة إبراهيم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)﴾

و تفسير عبد الله بن مسعود ﷺ لهذه الآية على النحو التالي :

« كفار قريش هم الذين جحدوا نعمة الله جل شأنه، وأن محمداً ﷺ هو النعمة التي استقبلها الكفار بالجحود والإنكار. والمقصود بدار البوار والهلاك هنا يوم بدر؛ لأن عدداً كبيراً منهم قُتِل في هذه المعركة وسيقوا إلى جهنم».[٣]

---

١ الترمذي، باب الصلاة، ١٩؛ مسند أحمد بن حنبل، ٥، ١٢، ١٣، ٢٢.
٢ الترمذي، باب تفسير القرآن، ٣١٢٩.
٣ البخاري، كتاب المغازي، ٧.

٢-٣- تفسير الدراية وخصائصه

كلمة الدراية في المعجم هي الفهم، والإدراك، والمعرفة بالشيء. ويطلق تفسير الدراية على التفسير الذي لا يكتفي المُفسّر فيه بشرح الآيات بالأحاديث الشريفة وما ورد عن الصحابة بل يستند بالإضافة لذلك إلى اللغة ، والأدب، والمعلومات الأخرى المختلفة.

يستخدم العلماء الذين يستخدمون أسلوب الدراية في تفاسيرهم علوم أخرى، مثل : اللغة وقواعدها، والأدب، والحديث، والفقه، والفلسفة. أي أنهم يجتهدون في تفسيرهم. ويطلق على هذا النوع من التفسير أيضاً مسمى التفسير بالرأي.

إن أهم ما يميز تفسير الدراية هو أن المُفسِّر إذا لم يجد إمكانية لتفسير القرآن الكريم بالقرآن أو السُنّة أو قول الصحابة فإنه يلجأ إلى اجتهاده الشخصي معتمداً على قدراته العقلية والعلمية أي أنه يفسره برأيه.

يحاول المفسر في تفسير الدراية كما هو الحال في تفسير الرواية أن يفسر أي آية في القرآن بالاستعانة بالقرآن فالسنة فأقوال الصحابة على الترتيب. فإن تعذر عليه ذلك استعان في تفسير وإيضاح الآية برأيه الشخصي. بيد أن أي يشخص يلجأ إلى التفسير بالدراية لا بد له وأن يكون على علم كبير للغاية بتفسير الدراية، وأن تأتي آراؤه في تفسير الآيات متوافقة للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ولأن القرآن الكريم هو كلام الله جل شأنه ، ولأنه يضم الأحكام الخاصة بأمور الدنيا والآخرة الخاصة بالإنسانية كلها، لذا وجب عليه تحري أقصى درجات الدقة في ترجمة وتفسير هذا الكلام الإلهي. وينبغي على كل من يقدم على تفسير معاني الآيات وما تحويه من أحكام أن يكون منتبهاً لكل آيات القرآن الكريم، فيفسر الآية في البداية بآيات أخرى، ثم يعطي المجال بعد ذلك للأحاديث الشريفة وأقوال الصحابة الخاصة بذلك الموضوع، ولو شعر المُفَسِّر بحاجة لأن يضع رأيه واجتهاده الشخصي فليعمل ألا يأتي هذا الرأي مخالفاً لما جاء في القرآن الكريم والسُنّة المُطهّرة.

و من أهم تفاسير الدراية وأكثرها شهرة:

- ❖ الزمخشري : **الكشّاف عن حقائق التنزيل.**
- ❖ القاضي البيضاوي : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.**
- ❖ النسفي : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**
- ❖ فخر الدين الرازي : **مفاتيح الغيب.**

هيا بنا نقرأ ونفكر

قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**» (أبو داود، كتاب العلم، رقم ٣٦٥٢)

قال علماء الإسلام في توضيح المقصود من قول الرسول ﷺ في هذا الحديث لا ينبغي على شخص أن يفسر القرآن الكريم وفق هواه ورأيه الشخصي فقط دون الإلمام بالقرآن الكريم والسنة. لهذا السبب لا ينبغي على أي شخص أن يفسر القرآن الكريم باجتهاده الشخصي، بل يجب عليه أن يتخذ من القرآن الكريم والسنة و قول الصحابة أساساً له في هذا العمل.

٣- المفاهيم الأساسية لعلم التفسير

"**التفسير، التأويل، المآل**" من المفاهيم الأساسية لعلم التفسير.

تناولنا فيما سبق مفهوم كلمة التفسير. ونعرض الآن بإيجاز للمعاني الثلاثة الأخرى لهذا المفهوم.

التأويل في المعجم: «ترجيع الشيء إلى الغاية المُرادة منه ، من الأول». ويفيد أيضاً معنى الشرح.

أما المعنى الاصطلاحي للكلمة: «صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله».[١] ويُطلق اسم **مُفَسِّر** على كل من يشتغل بهذا الأمر.

و المُفسر يتخير وهو يقوم بتأويل معنى الآية أحد المعاني المحتملة. ويلتزم المفسر في عمله هذا بالأصول والقواعد المحددة للوصول إلى المعنى الأصلي ، ولكنه يعتمد على رأيه الشخصي لترجيح واحد من التأويلات المتعلقة بالآية. وفي الوقت الذي استخدم فيه التفسير والتأويل بمعنى واحد في البداية، فقد تحول كل منهما مع الزمن إلى معنيين مختلف كل منهما عن الآخر.[٢]

هل هناك فرق بين مفهوم التفسير ومفهوم التأويل؟

في الوقت الذي ينظر فيه فريق من العلماء إلى هاتين الكلمتين باعتبار أن كل منهما مرادف للآخر، نجد أن هناك فريق آخر مقابل له يُعرِّف كل منهما تعريفاً مختلفاً عن الآخر. يرى الماتُريدي أن التفسير من شأنه أن يحدد بشكل قطعي المراد من كلام الله تعالى، والتفسير في رأيه يتحدث باسم الله جل شأنه قائلاً : «هذا ما أراده وقصده الله ﷻ». أما التأويل فيرجح أحد المعاني المحتملة لكلام الله تعالى دون أن يكون هذا التأويل قطعي.

١ ابن منظور، لسان العرب، ١١، ص ٣٢-٣٣.
٢ إسماعيل جراح أوغلو، أصول التفسير، ص ٢١٤-٢١٥.

يمكن تناول الاختلافات الشائعة بين كلمتي التفسير والتأويل من ناحية المعنى المعجمي والاصطلاحي كما وردت في الكتب على النحو التالي:

التفسير هو توضيح وشرح للقرآن الكريم ويكون باللغة العربية أو بأي لغة أخرى .

أما **التأويل** فهو فهم للكلمة استناداً إلى سبب أو حجة مقبولة، ووضعها في معنى آخر غامض نسبياً أو في معنى ثانوي بدلاً من المعنى الأول الواضح المفهوم من تلك الكلمة.

الترجمة: يُعنى بكلمة الترجمة في المعجم «تحويل ونقل الكلمة من لغة إلى لغة أخرى». ويُطلق على الشخص الذي يقوم بالترجمة اسم «مترجم».

و الترجمة اصطلاحاً: هي إيجاد المقابل لكلمة ما في لغة أخرى، ونقل معناها إلى تلك اللغة .

ويقصد بترجمة القرآن: التعبير عن معاني القرآن الكريم بلغة أخرى.

وللترجمة منهجين:

الترجمة اللفظية (الحرفية): هي نقل النص بكافة خواصه ومعانيه إلى لغة أخرى؛ أي كتابة مقابل لكل كلمة في اللغة الأخرى.

الترجمة المعنوية (التفسيرية): هي نقل معنى النص الأصلي فقط إلى اللغة الأخرى؛ أي التعبير عن معاني الكلمات بلغة أخرى دون التقيد بالألفاظ وموقعها من الجمل. والغاية الأساسية من هذا هي التعبير عن المعنى بشكل جميل ؛ لهذا كان تطبيقها أمراً سهلاً.

فعلى سبيل المثال لو أننا أردنا أن نترجم الآية الكريمة ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[١] ترجمةً حرفيةً فإننا سنضع حينئذٍ اللفظ المقابل لكل كلمة وردت في الآية وبنفس الترتيب، أمّا إذا أردنا أن نترجم الآية نفسها ترجمة معنوية فإننا ننقل حينئذٍ المعنى الوارد في الآية بشكل كلي دون التقيد بترتيب الكلمات الواردة في الآية الكريمة.

هل من الممكن ترجمة القرآن الكريم؟

اختلف العلماء في هذا الموضوع وتباينت آراؤهم ، وعلى الرغم من هذا فقد جاء إجماعهم على استحالة ترجمة القرآن الكريم ترجمةً حرفيةً، وأجازوا في المقابل الترجمة التفسيرية؛لأن هذه الترجمة تعبر عن معنى اللفظ بأقصى اتساع ممكن. ومع هذا لا يمكن اعتبار هذه الترجمة قرآناً ولا تحل محل القرآن الكريم.[٢]

١ الزخرف، ٣.

٢ إسماعيل جراح أوغلو، أصول التفسير، ٢١٧ - ٢١٨؛ علي تورغوت ، أصول التفسير ومصادره.

المآل: يقصد به الهدف من الشيء والنتيجة المرجوة منه. وهو إعطاء معنى تقريبي للكلمة. والمآل كمصطلح هو نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى مصحوباً بشرح مقتضب .

لا يستطيع أحد ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى بكل دقائقه ومعانيه؛ لهذا السبب ينبغي أن تكون ترجمة القرآن الكريم مدعومة بالشرح ؛ وهذا هو السبب وراء إطلاق كلمة «مآل» وليس «ترجمة» على عملية نقل القرآن الكريم للغة أخرى .

يتعذر على كل مسلم فهم آيات القرآن الكريم باللغة التي نزل بها ، أو قد يفتقر للإمكانيات كي يبحث ويتعمق في التفاسير؛ من أجل هذا كانت قراءة المآل بمثابة خطوة نحو فهم القرآن .

يتوقف المآل على مقدار فهم المترجم لآيات القرآن وليس على القرآن نفسه ؛ لهذا السبب من الوارد أن ترى بعض الاختلافات من مآل لآخر. ولا تُعد هذه الاختلافات تضارباً، بل هي اختلاف في تأويل أصل القرآن الكريم.

هيا بنا نقرأ ونفكر

ينبغي عند قراءة مآل القرآن الكريم الانتباه إلى بعض الخصوصيات:

- ينبغي علينا قبل أي شيء أن نعي دلالة و أهمية قراءة المآل ؛لأن العمل على مخاطبة كلام الله ﷻ وتفسيره أمر مهم للغاية .
- فهم الهدف والغاية من بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم أمر يقتضي التخصص؛ لهذا السبب ينبغي على القارئ وهو يحاول تفسير هذا النوع من الآيات أن يلجأ إلى المتخصصين في هذا الموضوع .
- ينفرد القرآن الكريم بأسلوب خاص في سرد الأفكار، فلا يأتي بالآيات التي تتناول موضوعاً بعينه في مكان واحد مع بعضها البعض؛ لهذا السبب ينبغي على القارئ أن يدون ملاحظاته الخاصة بالآيات، وأن يقارن بينها، ويقيّم الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في إطار كلي.

قطعة للمطالعة

قارون

كان قارون من أمة سيدنا موسى عليه السلام وقد منحه الله تعالى أموالاً كثيرة وجعله ثرياً ، ولكنه للأسف اغتر بما آتاه الله وأخذته الخيلاء فصار في قومه متباهيا مفتخراً، فأصبح رجلاً ظالماً لا يخاف الله جل شأنه.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عليهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (١)

و بدلاً من أن يرجع عن أفعاله ويستمع لهذه النصائح، قال مخاطباً قومه :

«أنتم لا تريدونني أن أنفق مالي كما يحلو لي».

فردوا عليه قائلين:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢)

غضب قارون أشد الغضب على الذين يطلبون منه أن يعمل الخير ويساعد الفقراء والمرضى، وأخبرهم أنه لا حق لأحد أن يحاسبه ، وتمادى قائلاً:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣)

فرأى القوم الصالحون أنه لا يستجيب لنصحهم فتركوه وانصرفوا.

ارتدى قارون أجمل ثيابه المطرزة بالذهب والمجوهرات ، واستقل عربته الفاخرة التي تجرها الخيول الضخمة ، وخرج بين قومه متفاخراً متباهياً ، وكان من بين الناس الذين شاهدوه من كان يغبطه على ما

---

١ القصص، ٧٦.

٢ القصص، ٧٧.

٣ القصص، ٧٨.

هو فيه من النعم. ويحدثنا القرآن الكريم عن هذا الموقف في قوله تعالى :

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[1]

أهلك قارون ميله الشديد إلى الدنيا وحسده للآخرين، فعاقبة الحاسدين لا تكون غير الخسران المبين ولا شيء غيره.

و عندما رأى القوم قارون وقد خسف الله ﷻ به وبكنوزه الأرض تراجعوا وندموا على تمنيهم، وحمدوا الله ﷻ أنهم ليسوا مثله:

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[2]

---

١ القصص، ٧٩ – ٨١.

٢ القصص، ٨٢.

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١. ما المقصود بعلم التفسير؟
٢. ما هو موضوع التفسير و الغاية منه؟ وضحوا ذلك.
٣. ما هي أنواع التفسير؟ وضحوا باختصار.
٤. ما هي الصفة البارزة التي تفرق بين تفسير الدراية و تفسير الرواية؟
٥. وضحوا الفرق بين مفهومي التفسير و التأويل؟

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي مما يلي ليس واحداً من تفاسير الرواية؟

أ- جامع البيان عن تأويل القرآن.
ب- تفسير القرآن العظيم.
ج- الدر المنثور في تفسير المأثور.
د- أنوار التنزيل و أسرار التأويل.
هـ- معالم التنزيل.

٢. أي من كتب المفسرين التالية هو نموذجٌ لتفاسير الدراية؟

أ- ابن كثير.
ب- محمد بن جرير الطبري.
ج- أبو إلياس السمرقندي.
د- جلال الدين السيوطي.
هـ- فخر الدين الرازي.

٣. من هو مؤلف كتاب " الكشاف عن حقائق التنزيل "؟

أ- القاضي البيضاوي.
ب- الزمخشري.
ج- النسائي.
د- فخر الدين الرازي.
هـ- سيد قطب.

٤. **مفهومان اُستُخدم كل منهما بنفس المعنى في البداية، و مع الزمن أصبح لكل منهما معنى مختلفاً عن الآخر. أحد هذين المفهومين هو "التفسير". أي مما يلي هو المفهوم الآخر؟**

أ- الترجمة.

ب- التأويل.

ج- المآل.

د- الشرح.

هـ- الحديث.

٥. **أي مما يلي ليس من المفاهيم الرئيسة لعلم التفسير؟**

أ- التفسير.

ب- التأويل.

ج- الترجمة.

د- النص.

هـ- المآل.

٦. **يقول الله تعالى {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى ....}. بين رسول الله ﷺ أن المقصود بـِ "الصَّلاَةِ الْوُسْطَى" المذكورة في الآية هي صلاة العصر.**
على أي شيء مما يلي يمكن اعتبار التوضيح السابق مثالاً يدل عليه؟

أ- يدل على تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ب- يدل على تفسير القرآن بالسنة.

ج- يدل على تفسير القرآن بالقرآن.

د- يدل على تفسير الدراية.

هـ- يدل على تفسير القرآن بأقوال التابعين.

ج – أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هو مناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(المآل – القرآن – الدراية – الرواية – الصحابة – اللفظية)

١. يُطلق تفسير .... على التفسير الذي يشرح آيات القرآن الكريم بآيات أخرى أو بأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة ﷺ.

٢. .... هو ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى بشرح مقتضب.

٣. تفسير .... هو تفسير الآية التي يتعذر على المفسر أن يجد لها ما يفسرها في القرآن والسنة و أقوال الصحابة فيلجأ إلى اجتهاده الشخصي مستنداً إلى علمه و قدرته العقلية.

٤. يطلق مسمى الترجمة .... على نقل النص بكافة خواصه و معانيه إلى لغة أخرى؛ أي كتابة مقابل لكل كلمة في اللغة الأخرى.

٥. يمكن تفسير بعض آيات القرآن الكريم بآيات أخرى منه، وهو ما يُطلق عليه تفسير القرآن ب.................. .

٦. أفرد جميع المفسرين مكاناً في تفاسيرهم لكلمات ....

كلمات متقاطعة

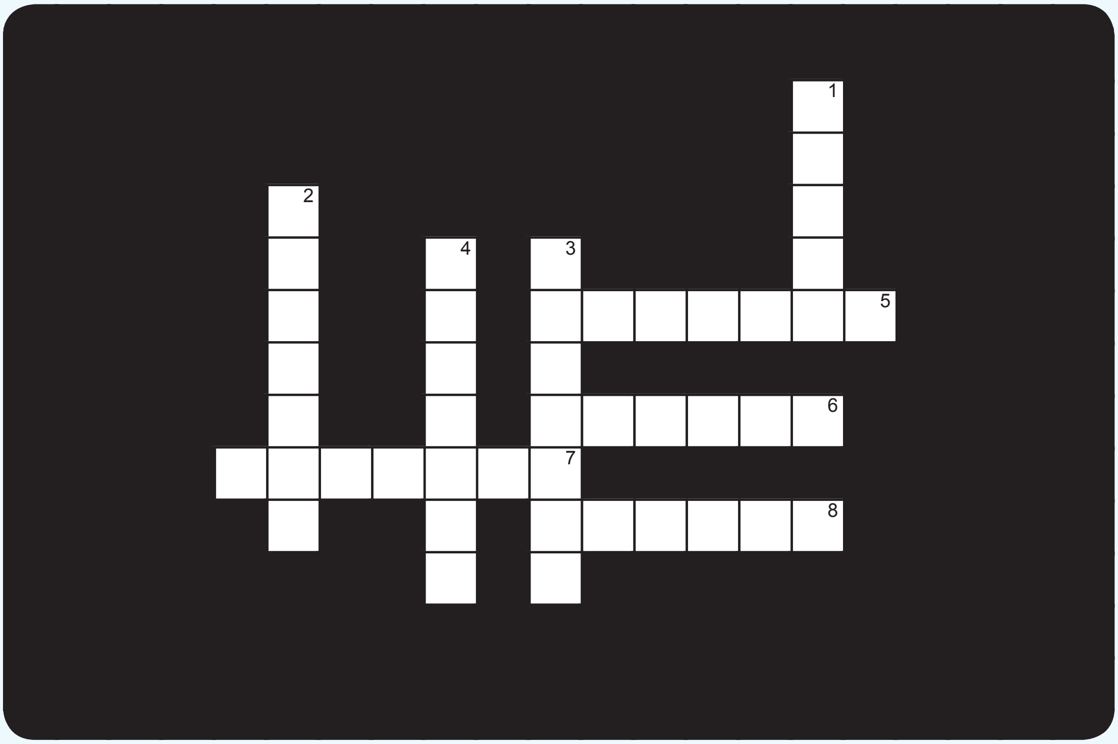

↓

1. نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى مصحوب بشرح مقتضب.
2. شرح و إيضاح آيات القرآن الكريم من جانب العلماء وفق قواعد وأسس محددة.
3. تفسير لا يكتفي بأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة، و يلجأ بالإضافة إلى هذا إلى اللغة والأدب والعلوم المختلفة الأخرى.
4. الشخص الذي يقوم بالترجمة.

←

5. كلمة معناها في المعجم "ترجيع الشيء إلى الغاية المُرادة منه، من الأول".
6. اسم يُطلق على الشخص الذي يقوم بتفسير القرآن الكريم.
7. تفسير آيات القرآن الكريم بآيات أخرى من القرآن الكريم وبأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة.
8. مؤلف كتاب "مدارك التنزيل وحقائق التأويل".

وقف لله تعالى
القرآن الكريم
يوزع مجاناً ولا يباع

الوحدة الرابعة

٤

تاريخ التفسير

موضوعات الوحدة

- مولد علم التفسير.
- علاقة التفسير بعلم الحديث.
- تحول التفسير إلى علم.
- التفسير في عهد الرسول ﷺ.
- أعمال التفسير في عصر الصحابة.
- أعمال التفسير في عصر التابعين.
- أعمال التفسير في عصر أتباع التابعين.
- أعمال التفسير في عصر ما بعد أتباع التابعين.
- أعمال التفسير في العصر الأخير.

الأنشطة التحضيرية

- ما هي الفوائد التي تعود علينا من تفسير القرآن؟ أفصحوا عن أفكاركم.
- في رأيكم ، من الذي بإمكانه تقديم أصح تفسير للقرآن الكريم؟ ناقشوا.
- هل بإمكان أي فرد أن يقوم بتفسير القرآن الكريم؟ ناقشوا.
- هل سبق لكم أن قرأتم أحد كتب التفسير؟ إذا كانت الإجابة بنعم فحدِّثوا زملاءكم عن هذا الكتاب ومؤلفه.

١- مولد علم التفسير

أرسل الله جل شأنه الأنبياء و الكتب الإلهية هدايةً للناس، و قد احتوت هذه الكتب على أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ، وما حرمه وما نصح به عباده ، وكان القرآن الكريم آخر هذه الكتب.

لم يُرسل القرآن الكريم إلى مجتمع بعينه بل جاء مخاطباً الإنسانية جمعاء. أحكامه صالحة حتى قيام الساعة، ومن يخلص العبودية لله تعالى هو مُلزمٌ بقبول كافة الأحكام الواردة في القرآن وجعل حياته وفق هذه الأحكام ؛ لأن الله تعالى يقول في الآية الكريمة:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عليهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ...﴾[1]

﴿هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[2]

من هنا يرتبط تنفيذ أوامر الله تعالى تلك بتعلم القرآن الكريم ، وحتى يتسنى للإنسان أن يتعلم أحكام القرآن بشكل واسع ويعي ما فيها فهو بحاجة إلى التفسير. وقد كانت هذه الحاجة وراء بدء تفسير القرآن الكريم ابتداءً من عهد النبي ﷺ.

لا يمكن وضع تفسير أو معنى واحد فقط لآيات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم قد يدل على أكثر من معنى وفقاً للمكان الذي هو فيه؛ لأن القرآن الكريم فيه حل لمشاكل الإنسانية كلها في كل عصر وزمان حتى قيام الساعة. و يرتبط شرح معاني القرآن الكريم المختلفة بشكل سليم والتي تنبثق عن هذه الخاصية بعميلة التفسير؛ لأن التفسير يتناول شرح الآيات بشكل موسّع ومفصل.

و كما تختلف أعراق الإنسان ولغته من مجتمع لآخر، تختلف كذلك مستويات الفهم عند الناس، وعلى الرغم من أن سهولة فهم وإدراك السواد الأعظم من آيات القرآن الكريم (مُحكَم)، فيظل هناك جزء له عسير البناء (مُتشابه) يصعب فهمه. وتشير الآية الكريمة ﴿... **مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**...﴾[3] إلى هذه الخصوصية. و يقتضي هذا الوضع أن يقوم أصحاب المستويات الرفيعة في العلم بالتعرض لهذه الآيات و تفسيرها. ومع هذا يظل هناك مجموعة من المصطلحات التي يصعب ترجمتها كما هي إلى اللغات الأخرى؛ لهذا السبب يجب تفسير مثل هذه المصطلحات إلى جانب ترجمتها.

---

١ المائدة، ٤٨.

٢ إبراهيم، ٥٢.

٣ آل عمران، ٧.

لقد أحس الصحابة في بعض الأحيان بالحاجة إلى تفسير بعض الآيات، ورجعوا إلى النبي ﷺ في هذا الأمر، فأجاب النبي ﷺ على استفساراتهم، وفسَّر من القرآن الكريم ما رآه ضرورياً.

واقتصر التفسير في حياة الرسول ﷺ على تفسير القرآن بالقرآن و بالأحاديث الشريفة فقط.

و يرجع السبب الرئيسي في هذا إلى النقاط التالية:

١. أن النبي ﷺ تعرض لتفسير ما هو ضروري للصحابة من القرآن الكريم حتى يستطيعوا فهمه.

٢. أن الصحابة تصرفوا بحيطة و حذر عند تفسير القرآن الكريم خشية الوقوع في الخطأ.

٣. ابتعد الصحابة عن تأويل المتشابه من الآيات.

والأصل أن الصحابة كانوا يلجؤون إلى رسول الله ﷺ ويسألونه بكل بساطة عن تفسير أي آية يصعب عليهم فهمها، ويأخذون عنه ما يحتاجون من معلومات؛ لهذا السبب لم يرَ الصحابة أي ضرورة لتفسير أو تأويل أي من آيات القرآن الكريم والنبي ﷺ بينهم.

هيا نضع ما تعلمنا في قائمة

ما هي الحاجة التي دعت إلى تفسير القرآن الكريم؟

يجب تعلم القرآن و فهم ما ورد به من أحكام حتى يكتب للإسلام البقاء.

١. ....

٢. ....

٢- علاقة التفسير بعلم الحديث

تكتسب أحاديث رسول الله ﷺ أهمية خاصة في تفسير القرآن الكريم، وتنحصر هذه الأهمية في جانبين:

الأول: أن عدداً كبيراً من التكاليف الإلهية الواردة في القرآن لم ترد بشكل مُفصّل. فعلى سبيل المثال: وردت الآية ﴿.... **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** ﴾[١] في القرآن الكريم، وعلى الرغم من حديثها عن الصلاة وأن لكل صلاة ميقاتاً محدداً، إلا أن النبي ﷺ هو الذي بيّن للمسلمين كيف تُؤدّى الصلاة، وعدد الركعات في كل منها، وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٢]

و هذا يعني أن الحديث قد أزال الغموض عن أحد التكاليف الرئيسة في القرآن الكريم .

١ النساء، ١٠٣

٢ البخاري، الآذان، ١٨

الثاني: حدّدت الأحاديث و وضعت شروطاً لبعض الأحكام التي وردت في القرآن الكريم غير مقيدةٍ، وحوّلت الآيات التي تدل على معنى عام إلى شكل أكثر خصوصية و تحديداً.

مثال ذلك : قام النبي ﷺ بعد أن حدّدت الآية الكريمة ﴿.... **وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ**......﴾[1] النساء اللاتي يّحرُم على المرء الزواج منهن ـ بوضع شروطٍ في الحديث الشريف للحكم العام الوارد في الآية السابقة ، على النحو التالي :

«لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها»[2]

والشيء المؤكد هنا أن النبي ﷺ كان أكثر الناس فهماً وتفقهاً في القرآن الكريم، فقد بلّغ رسول الله ﷺ القرآن إلى الناس، وأدى مهمة تبليغ القرآن للناس، و**تعليم** و**تفسير** ما جاء فيه على أفضل حال و**طبّق** ما جاء في القرآن الكريم من أحكام في حياته الشخصية؛ من أجل هذا كانت أحاديث النبي ﷺ هي المصدر الثاني في تفسير القرآن الكريم .

٣- تَحوُّل التفسير إلى علم

أشرتُ مسبقاً إلى أن الصحابة كانوا يلجؤون إلى رسول الله ﷺ إذا أرادوا أي معلومة تتعلق بتفسير آيات القرآن الكريم، وكان الرسول ﷺ يلبّي لهم ما يطلبونه منه. ومع هذا لم يأخذ التفسير في عهد النبي ﷺ شكل العلم ، وعلى الرغم من قيام بعض الصحابة بتفسير بعضٍ من آيات القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ إلا أن هذا أيضاً لم يأخذ شكل علم رئيسي مستقل.

وبمرور الوقت أخذت حدود الدولة الإسلامية تتسع، ودخل الدين الإسلامي إلى مجتمعات مختلفة، عندئذٍ ولدت الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، ووضعت آثارٌ مكتوبة في هذا الموضوع؛ لأنه لم يكن أحد من المسلمين الجدد يعرف شيئاً عن أسباب نزول الآيات. يُضاف إلى هذا أنهم لم يتمكنوا من رؤية النبي ﷺ وتلقي العلم عنه. من أجل هذا لم يعِ أحد منهم القرآن الكريم بشكل كامل. والتبس الأمر على بعضهم في تفسير آيات القرآن الكريم، فاستعانوا بروايات ملفقة لا سند لها وهي **الإسرائيليات** التي تحدثنا عنها من قبل.[3] وأصبح تفسير القرآن أمراً أكثر إلحاحاً مع ظهور مشاكل جديدة توازياً مع الظروف المتغيرة بمرور الزمن.

١ النساء، ٢٤.
٢ البخاري، كتاب النكاح، ٢٧؛ صحيح مسلم، كتاب النكاح، ٣٧،٣٩.
٣ - بن خلدون، المقدمة، II، 505-506.

اجتهد العلماء بدايةً من القرن الثاني الهجري في تحديد أسباب نزول الآيات والسور، و شرعوا في وضع تفسير للقرآن واضعاً في عين الإعتبار أحاديث رسول الله ﷺ وما ثبت عن الصحابة. وبدأت هذه الجهود تتمخض عن أكثر أعمالها خصوبة ونضجاً في القرن الرابع الهجري لتعيش عصورها الذهبية في القرون التالية لذلك.

لقد نالت هذه الدراسة المتعلقة بالتفسير حظاً أوفر من التطور والاتساع في القرون التالية، وظهر علمٌ للتفسير قائم على أسس منهجية يقدم شرحاً مفصلاً لآيات القرآن الكريم وظهر في هذا الموضوع كذلك آثارٌ مكتوبة.

٤- التفسير في عهد الرسول ﷺ

خُلق الإنسانُ ليعبد الله جل شأنه . وحتى يؤدي الإنسان هذه المهمة على أفضل وجه و ينال السعادة في الدنيا و الآخرة عليه أن يُلم بأحكام القرآن الذي نزل من لدنه جل شأنه و يلتزم أحكامه. و مما لا شك فيه أن تعلُّم و فهم أحكام القرآن الكريم بشكل سليم يرتبط بأحاديث رسول الله ﷺ و سنته ذات العلاقة بهذا الموضوع؛ لأن الرسول ﷺ هو أفضل من عرف و فهم ما جاء في كتاب الله ﷻ وطبقه بشكل سليم. فهو بالنسبة لنا الأسوة الحسنة التي ينبغي علينا أن نقتدي بها و نتبعها.

وتشير الآية الكريمة لهذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا[١]﴾

و من المهم بالنسبة إلينا أن نتعرف على الخصوصيات الآتية فيما يتعلق بمكانة الرسول ﷺ في التفسير:

١. القرآن هو نفسه المصدر الأول الذي نستعين به عند تفسير آيات القرآن الكريم، تليه أحاديث رسول الله ﷺ في المرتبة الثانية؛ من أجل هذا كان من الضروري أن نعرف القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بشكل جيد للغاية حتى نتمكن من تفسير آيات القرآن بشكل سليم. فمن غير الممكن تفسير القرآن الكريم بدون الإلمام بهذين المصدرين و الاحتجاج إليهما. لأن النبي ﷺ أشار في حديثه الشريف لهذا الوضع على النحو التالي:

«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[٢]

---

١ الأحزاب، ٢١.

٢ الترمذي، باب التفسير، ٢٩٥١.

هيا بنا نُفسِّر

﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل، ٤٤)

قوموا بمشاركة زملائكم بتفسير الآية الواردة أعلاه واضعين في الإعتبار الدور الذي اضطلع به نبينا في تفسير القرآن الكريم.

يشير المولى ﷻ في الآية الكريمة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] إلى كون حديث الرسول ﷺ امتداداً للوحي و إلى أهمية الأخذ به عند تفسير القرآن الكريم .

٢. كُلِّف النبي ﷺ بمهمة تبليغ الأحكام الإلهية الواردة في القرآن الكريم للناس وشرحها لهم .

ويؤكد المولى ﷻ في الآيتين الكريمتين التاليتين على اضطلاع رسول الله ﷺ بمهمة تفسير وشرح القرآن الكريم، وأنه مكلف بالقيام بهذا على النحو التالي:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عليك الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[3]

نتعلم من هذه الآيات أن شرح و بيان رسالة الله ﷻ هي مهمة اضطلع بالقيام بها كل الرسل. وقد أدى رسول الله ﷺ المهمة الموكلة إليه خير أداء،من أجل هذا كان من الضروري الأخذ بأحاديث رسول الله ﷺ أساساً عند تفسير القرآن الكريم.

بموجب الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[4]

قام رسول الله ﷺ بتبليغ الناس كافة بالأحكام التي نزلت عليه من لدن الله تعالى، وكان يفسر آيات القرآن لهم كلما اقتضت الضرورة ذلك.

١ النجم، ٣-٤.
٢ النحل ٦٤.
٣ إبراهيم، ٤.
٤ المائدة، ٦٧.

فيما يلي عرض لبعض الأحاديث الشريفة التي تفسر آيات من القرآن الكريم:

١. يقول الله جل شأنه في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١]

عندما نزلت هذه الآية قال الصحابة «**أينا لم يظلم نفسه !**» بمعنى «أن كل إنسان يظلم نفسه قليلاً كان أو كثيراً، و لا مفر أمام الإنسان من ذلك». فرد عليهم النبي ﷺ معقباً على قولهم، وقال:

«**ليس الظلم كما تظنون**»[٢]، وإنما هو كما قال لقمان عليه السلام لابنه:

﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣]

و بذلك يكون رسول الله ﷺ قد فسَّر معنى كلمة «الظلم» ـ الواردة في الآية ـ بمعنى «الشرك».

٢. يقول الله تعالى عن يوم القيامة:

﴿...يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...﴾[٤]

و فسَّر رسول الله ﷺ هذه الآيات الواردة على النحو التالي:

«**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[٥]

لقد قام رسول الله ﷺ في تفسير الآيات باللازم، وأوضح ما بها بشكل لا يلتبس على السامع فهمه، وتناقل الصحابة فيما بينهم ما قاله الرسول في تفسير الآيات.

٥- أعمال التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم

حظي الصحابة الكرام بأهمية عظيمة في التفسير بقدر أهميتهم في سائر علوم الدين الأخرى؛ لأنهم تلقوا العلم عن رسول الله ﷺ دون غيره و نقلوه إلى من خلفهم من الأجيال الأخرى. وقد بذل هذا النسل المُصطفى ـ الذي يعد شعاعاً من نور النبي ﷺ ـ بذل جهداً كبيراً حتى يتعلم الناس دين الله عز وجل بشكل أفضل ويقف على سنة نبي الله، وكانوا يلجؤون إلى رسول الله ﷺ يسألونه كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

---

١ الأنعام، ٨٢.
٢ البخاري، الإيمان، ٢٣؛ مسلم، الإيمان، ١٢٤.
٣ لقمان، ١٣.
٤ الأنعام، ١٥٨.
٥ مسلم، الإيمان، ٢٤٩؛ الترمذي، التفسير، ٣٠٧٤.

لم يتمكن الصحابة من الجلوس إلى الرسول باستمرار بسبب أعمالهم والمهن التي كانوا يمتهنوها؛ من أجل هذا كانوا يتناوبون الجلوس إلى النبي ﷺ حتى يحيطوا أنفسهم علماً بما يدلي به من معلومات. وكان الصحابة الذين يجلسون إلى رسول الله ﷺ ينقلون إلى الآخرين ما تعلموه منه ذلك اليوم، وكانوا يتداولون المعلومات التي حصلوا عليها من النبي ﷺ ويتناقشون بشأنها لعدة أيام حرصاً منهم على استقرار تلك المعلومات في أذهانهم .

صندوق المعلومات

من هم الصحابة؟

كلمة **الصحابة** هي جمع، مفردها **صحابي** وتعني الأصدقاء والرفقاء ومن يلازم بعضهم البعض. أما كلمة "**الأصحاب**" المستخدمة بنفس المعنى السابق، فمفردها كلمة "**الصاحب**".

و كلمة الصحابة اصطلاحاً هي اسم يُطلق على الأشخاص الذين رأوا رسول الله ﷺ بعد النبوة، و التقوا به، و تحدثوا معه، و آمنوا به، و أصبحوا من المسلمين.

استمر الصحابة في هذه الأنشطة بعد وفاة الرسول ﷺ، حتى أنهم شدوا الرحال من أجل ذلك إلى مراكز العلم. وكان هدفهم الأساسي من هذه الرحلات هو الحصول على معلومات قاطعة بخصوص المواضيع التي يجهلونها، و مجالسة العلماء من الصحابة الذين هاجروا و استقروا في تلك المناطق، والبحث في الخصوصيات التي يراودهم شك بشأنها.

كان الصحابة يعرفون سبب نزول عدد كبير من الآيات؛ لأنهم عاشوا في الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم. من أجل هذا لم تواجههم صعوبات وهم يفسرون الآيات في تحديد العلاقة بين معنى الآية وسبب الحكم الذي تحتويه. وبمرور الوقت اعتنقت أعداد كبيرة الإسلام وهو الأمر الذي ولَّد حاجة مُلحَّةً لتعريف المسلمين الجدد بأحكام الإسلام وضرورة تفسير القرآن الكريم، ولأن الرسول ﷺ كان قد توفي في تلك الفترة حمل الصحابة الذين نشَّأهم و رباهم النبي ﷺ هذه المسئولية على عاتقهم و اجتهدوا لإنجازها على أكمل وجه.لقد اعتمد الصحابة في تفسيرهم للقرآن على أحاديث رسول الله ﷺ في المقام الأول و لم يتدخلوا برأيهم إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك.

مثال ذلك؛ قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ... ﴾[1]

١ البقرة، ١٩٣.

فقد فسَّر عبد الله بن عمر ﵄ كلمة «فتنة» الواردة في الآية بمعنى «كفر و شرك». وأيَّده في هذا صحابيان آخران هما عبد الله بن عباس ﵄ وعبد الله بن عمر ﵄. [١]

لم يكن الصحابة على درجة واحدةٍ من العلم بالقرآن والسنة والحديث؛ لأن لكل منهم قدرة اختلفت عن الآخر، كما كان منهم من رافق رسول الله ﷺ مدة أقل مقارنةً بالآخرين، كما نسي البعض الآخر بعد فترة من الزمن ما تعلمه عن رسول الله ﷺ؛ لهذا السبب لم يُقدِم بعض الصحابة على تفسير القرآن الكريم وسألوا الصحابة الآخرين عما جهلوا.

أشهر الذين فسَّروا القرآن الكريم من الصحابة:

فيما يلي عرض لأسماء رواد الصحابة في تفسير القرآن الكريم يتصدرهم الخلفاء الراشدين (**سيدنا أبو بكر، وسيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي** ﵃):

- عبد الله بن مسعود ﵁.
- عبد الله بن عباس ﵄.
- أُبَي بن كعب ﵁.
- زيد بن ثابت ﵁.
- عبد الله بن عمر ﵄.
- عبد الله بن الزبير ﵄.
- أبو موسى الأشعري ﵁.

هيا بنا نتعلم

تبوَّأ كل من سيدنا ابن مسعود ﵁ الذي سماه النبي ﷺ "مفسر القرآن"، و سيدنا عبد الله بن عباس ﵄ الذي دعا له النبي خاصةً، و عُرِف بأنه "ترجمان القرآن"، تبوّءا مكانا خاصاً في علم التفسير.

١ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣، ٥٧٠-٥٧١.

٦- أعمال التفسير في عصر التابعين

تبوَّأ الصحابة الذين رأوا النبي ﷺ ورافقوه ونالوا شرف تقديم خدمات جليلة للإسلام باعتبارهم المسلمين الأوائل، تبوؤوا منزلةً عظيمةً عند الله ﷻ. أما التابعين فهم أناس فضلاء اقتدوا بالصحابة وكرسوا جهدهم طيلة حياتهم في سبيل خدمة الإسلام فنالوا بذلك رضوان ربهم أيضاً.

لقد تلقى الصحابة العلم عن النبي ﷺ، ثم جاء التابعون وجلسوا مجلس الطالب المتلقي من الصحابة فتعلموا منهم أمور الدين الإسلامي وأخذوا عنهم القرآن والسنة وهما المصدران الرئيسان لهذا الدين.

تحرى الصحابة ـ وهم أكثر أصدقاء ومعاوني الرسول ﷺ قرباً إليه ـ الدقة الكاملة في مسألة حفظ القرآن الكريم الذي دُوِّن منذ بداية الوحي والحديث الشريف وانتقل منهم إلى التابعين بعد ذلك. وبذل التابعون الذين تلقوا علمهم على يد أساتذتهم من الصحابة وارتضوا لأنفسهم الإسلام منهاجاً في الحياة، بذلوا جهدهم لحماية هذين المصدرين الأساسيين بنفس صفائهما وبريقهما.

صندوق المعلومات

من هو التابعي؟

يطلق اسم التابعي على أي مسلم أدرك أياً من الصحابة والتقى به وجاذبه أطراف الحديث.
وجمعه التابعون.

لقد دفعت عملية اختلاق الأحاديث التي ظهرت في عصرهم والإبتعاد عن القرآن والسُنَّة، دفعت التابعين إلى أن يلتفوا حول القرآن والسنة. وقاموا تزامناً مع هذا بتسريع وتيرة نشاط التفسير حتى يُعلِّموا كتاب الله ويبينوا ما جاء به من أحكام للمسلمين الذين أخذت أعدادهم في التزايد بمرور الأيام مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية. وبهذا الشكل يكونون قد عملوا بالعلم وقاموا بالعمل على المحافظة عليه. وبدأت أعداد كبيرة من العلوم الإسلامية مثل : التفسير، والحديث ، والفقه ، والعقائد في عصرهم تتحول إلى نظام منهجي.

ولعل انتشار **الإسرائيليات** هو الشيء اللافت في عصر التابعين من ناحية التفسير، وسبب ذلك أن اليهود والمسيحيين الذين أسلموا قد حملوا معهم للإسلام روايات مختلقة تتعلق بعقيدتهم وفكرهم القديم. أخذت الإسرائيليات التي بدأت تدخل إلى التفسير في نهايات عصر الصحابة، أخذت تتزايد بشكل أكبر في عصر التابعين، فعمل كبار التابعين على تدوين آراء الصحابة بخصوص تفسير القرآن الكريم من ناحية، واجتهدوا من ناحية أخري لمنع دخول الإسرائيليات إلى التفسير.

ملحوظة

أهم نشاطين قام بهما علماء التابعين في التفسير:

١. تدوين آراء الصحابة بخصوص تفسير القرآن الكريم (التدوين).

٢. رصد معلومات الإسرائيليات و منع دخولها إلى التفسير.

يمكن تلخيص الأسلوب الذي اتبعه التابعون في التفسير على النحو التالي:

- جعلوا القرآن و السنة أساساً لهم اعتدوا به في المرتبة الأولى عند تفسيرهم للقرآن الكريم.
- استفادوا أيضاً من آراء الصحابة.
- أخذوا بعين الإعتبار الأحداث والوقائع التاريخية ،وأعراف وعادات البيئة التي عاشوا فيها والتي تتفق و الدين الإسلامي.

نشاط جماعي

قوموا بدراسة الآية التالية وفق المنهج الذي اتبعه التابعون.

يقول المولى سبحانه و تعالى في سورة آل عمران :

﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ...﴾ (آل عمران، ٩٧)

فسّر سعيد بن جُبير رضي الله عنه ـ وهو من التابعين ـ هذه الآية على النحو التالي :

«المقصود من استطاع إليه سبيلاً أي لديه الزاد و الراحلة من أجل هذا كان الحج فرضاً عليه.»

أشهر التابعين في تفسير القرآن:

- سعيد بن جُبير رضي الله عنه.
- مجاهد رضي الله عنه.
- عكرمة رضي الله عنه.
- عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه.
- علقمة بن قيس رضي الله عنه.
- إبراهيم النهائي رضي الله عنه.
- محمد بن سيرين رضي الله عنه.
- حسن البصري رضي الله عنه.
- قتادة رضي الله عنه.

هيا نقرأ و نتعلم

قتادة بن دِعامة ﵁ ومكانته في التفسير

كان قتادة ﵁ أحد التابعين الرواد في الحديث والتفسير ، يغلب الظن أنه ولد كفيفاً عام ٦٨٠ أو ٦٨١ .

ينسب قتادة ﵁ إلى عائلة بدوية.

لازم قتادة ﵁ ـ الذي كانت لدية رغبة جامحة في التعلم ـ الحسن البصري ١٢ عاماً تعلم منه خلالها القراءات، والتفسير، والحديث إلى جانب العلوم الأخرى. وأخذ بالإضافة لذلك الروايات المتعلقة بعلم القراءات عن أنس بن مالك ﵁، والحسن البصري، و ابن سيرين.

توفي قتادة ﵁ الذي عرف عنه تقواه في عام ٥٣٧ بعد إصابته بوباء الطاعون.

صار قتادة ﵁ بذاكرته الحادة مضرباً للمثل بين الناس، ويُذكر أن سعيد بن المُسيب قال في قتادة ﵁ الذي أقام عنده ثمانية أيام أنه حفظ خلالها كل شيء سمعه، و يُذكر أيضاً أنه خاطبه بعد هذه الأيام قائلاً : "اذهب فقد أنزفتني"؛ أي أخذت كل ما لدي من علم.

درس قتادة ﵁ علوم الدين و العلوم الإجتماعية التي لاقت رواجاً في هذا العصر، وتبحر في مجال التفسير على وجه الخصوص، وأصبح من رواد ذلك العصر في كثير من العلوم.

عمد قتادة ﵁ الذي عُرف عنه قوله "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا " عمد في تفسيره للقرآن الكريم ـ مثله في هذا مثل باقي المفسرين من التابعين ـ إلى استخدام القرآن نفسه في التفسير ثم الأحاديث الشريفة فآراء الصحابة والتابعين فاللغة والأدب العربي ثم العادات والأعراف العربية في النهاية؛ وكان يأتي إلى جانب جهده في تفسير الآية بآية أخرى، كان يأتي بشواهد من آيات أخرى على بلاغة وأسلوب ولألفاظ الواردة في الآية التي يفسرها.

لقد وقف قتادة على العلاقة بين الآيات، ولم يتعثر-بفضل درايته في مجال اللغة و الأدب العربي-في إيجاد مصطلحات ومرادفات في تفسيره للكلمات الغامضة في الآية التي يفسرها، وذكر نماذج على الاستخدامات الخاصة لهذه الكلمات في مناطق وقبائل كثيرة، واستغل خلفيته التاريخية في اختيار مقابل مناسب بدلاً من الخوض في دقائق النحو و الصرف.

و لا يمكن الجزم إن كان كتابه "كتاب التفسير" قد وصل ليومنا الحاضر أم لا.

٧- أعمال التفسير في عصر أتباع التابعين

أتباع التابعين هم الطبقة الثالثة في التفسير ، وأتباع التابعين هم المسلمين الذين جاؤا بعد التابعين أي تبعوا التابعين.

الطريقة التي اتبعها أتباع التابعين في تفسير القرآن الكريم:

١. **تفسير القرآن بالقرآن**: فسر أتباع التابعين بعض آيات القرآن الكريم بآيات أخرى، وهو ما يُطلق عليه تفسير القرآن بالقرآن، وهذه هي أكثر مناهج تفسير القرآن الكريم صحةً. وقد أعطينا مثالاً على ذلك من قبل.

٢. **تفسير القرآن بالسُنّة**: خُصصت أماكن في الأجزاء الخاصة بتفسير القرآن في كتب الحديث، وضم هذه الأجزاء تفسير الرسول ﷺ لآيات القرآن الكريم.

٣. **تفسير القرآن بأقوال وآراء الصحابة**: أفرد جميع المفسرين في هذا العصر مكاناً في تفاسيرهم لآراء الصحابة، وأفرد بعضاً منهم مكاناً لآراء التابعين كذلك، وبيّنوا وجهة نظرهم الخاصة في المواضع التي اقتضت منهم ذلك.

هيا بنا نفسر

اقرءوا الآيات الآتية وشاركوا زملاءكم في استنباط نموذج لتفسير القرآن بالقرآن من خلال تحديد الآية و الآية الأخرى التي تفسرها؟

﴿اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحة، ٦)

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عليهِمْ ...﴾ (الفاتحة، ٧)

﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء، ٦٩)

٨- أعمال التفسير في عصر ما بعد أتباع التابعين

أهم ما يميز عملية تفسير القرآن الكريم في هذه الفترة أن المفسرين عمدوا إلى تفسير الآيات في المقام الأول بالاعتماد على القرآن والسنة وآراء الصحابة. وكانوا يعتمدون على قدرتهم العقلية والعلمية عندما يتعذر عليهم تفسير آية من الآيات ويفسرونها بالاجتهاد أي استناداً إلى رأيهم الخاص.

الطريقة المُتبعة في تفسير القرآن الكريم في هذا العصر:

١. **تفسير القرآن بالقرآن:** تفسير القرآن بالقرآن هو الأساس الأول الذي اعتمد عليه التفسير. واعتمد تفسير القرآن بالقرآن على طريقين:

الأول: ينظر المُفسر في تفسير آية من الآيات أو استنباط حكم منها إلى الآية نفسها. فإذا كان معنى الآية و الحكم الذي تحتويه على درجة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير حينئذٍ يقوم باستنباط الحكم منها مباشرةً. يقول المولى ﷻ:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾(١)

يُفهم من هذه الآية أن الله سبحانه و تعالى سُيدخل المؤمنين الذين يعملون الصالحات الجنة في الآخرة؛ لأن الحق ﷻ يبين بشكل واضح صريح أنه وعدَ بهذا وكلامه سبحانه و تعالى حق.

الثاني: استنباط الأحكام عن طريق مقارنة آية بآية أخرى. مثال ذلك قوله تعالى في الآية ١١٠ من سورة البقرة: "**وَآتُواْ الزَّكَاةَ**" و لا يفصح عن الأشخاص الذين سيحصلون عليها وينبغي علينا حتى نحدد أولئك الذين يستحقون الزكاة أن ننظر في آيات أخرى من القرآن الكريم. يقول ﷻ في موضع آخر من القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عليهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عليمٌ حَكِيمٌ﴾(٢)

٢. **تفسير القرآن بالسُنّة:** تأتي سنة الرسول في المرتبة الثانية في تفسير آيات القرآن الكريم، و لا يلجأ المفسر إلى السنة في التفسير إلا إذا تعذر عليه تفسير القرآن بالقرآن أو لم يستطع استنباط حكم واضح من القرآن بخصوص الموضوع. مثال ذلك؛ حددت السنة أحكاماً مثل تحديد أوقات الصلاة ، و إقامة الصلاة و شكلها ، و نسب الأموال التي ستُعطى في الزكاة.

٣. **تفسير القرآن بأقوال الصحابة:** تفسير القرآن بآراء الصحابة هي الطريقة الثالثة في تفسير القرآن، و لا يلجأ المفسر إلى هذه الطريقة إلا إذا تعذر عليه تحديد حكم من الأحكام بواسطة القرآن و السنة؛ لأن الصحابة شخصيات عظيمة جالسوا رسول الله ﷺ وأخذوا علمهم عنه، كما أنهم فقهوا القرآن الكريم جيداً؛ لهذا السبب كانت أقوال الصحابة هي المصدر الثالث في التفسير.

---

١ النساء، ١٢٢.

٢ التوبة، ٦٠.

٤. **تفسير القرآن باجتهاد المُفَسِّر:** تفسير القرآن بالرأي أي باجتهاد المفسر هي الطريقة الرابعة في تفسير القرآن وأبرز الظواهر وضوحاً في هذا العصر. ولكنها المنهج الأخير في التفسير، فالمفسر يحاول في بادئ الأمر عند تفسيره لآية من الآيات أو استنباط حكم منها أن يعتمد على آية أخرى من القرآن، فإن لم يصادف في القرآن معلومةً أو حكماً واضحاً في ذاك الموضوع، لجأ حينئذٍ إلى السنة، فإن لم يجد في السنة أيضاً ما يريد راجع آراء الصحابة و أقوالهم، و إن لم يجد شرحاً وافياً في أقوال الصحابة لهذا الموضوع أفصح حينئذٍ عن رأيه الشخصي في هذا الموضوع، و يُشترط ألا يخالف في رأيه ما جاء في القرآن و السنة. ومثال ذلك قوله تعالى في الآية ٢٠١ من سورة البقرة:

﴿وَمِنْهُم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

قال سفيان بن سعيد الثوري أن المقصود بقوله تعالى "**وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**" أي أدخلنا الجنة. فرأى المفسر هنا وإن كان لم يذكر صراحةً في القرآن والسنة ألا أنه لم يأتِ بشكله هذا مخالفاً لما جاء فيهما كله؛ لأن الجنة من الخيرات التي ستُمنح للمؤمن في الآخرة.

وهذه بعض تفاسير الرواية التي دُوِّنت في هذا العصر:

- كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن **لابن جرير الطبري**.
- تفسير القرآن العظيم **لابن كثير**.
- الدر المنثور في تفسير المأثور **لجلال الدين السيوطي**.

بعضٌ من تفاسير الدراية التي دُوِّنت في هذا العصر:

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل **للقاضي البيضاوي**.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل **للنسفي**.
- مفاتيح الغيب **لفخر الدين الرازي**.

تفاسير الرواية	تفاسير الدراية
• كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن **لابن جرير الطبري**. • تفسير القرآن العظيم **لابن كثير**. • الدر المنثور في تفسير المأثور **لجلال الدين السيوطي**.	• أنوار التنزيل وأسرار التأويل **للقاضي البيضاوي**. • مدارك التنزيل وحقائق التأويل **للنسفي**. • مفاتيح الغيب **لفخر الدين الرازي**.

٩- أعمال التفسير في العصر الأخير

يمكننا الحديث عن أنشطة المفسرين التي استمرت حتى يومنا الحاضر على النحو التالي:

بذل المفسرون بدءاً من القرن **الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي** ـ جهداً في تطهير التفاسير من الإسرائيليات التي استقرت في بعضها حتى ذلك اليوم، وقاموا في عملهم هذا بفحص التفاسير المدعومة بأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة معاً، وقاموا بالفصل بين الروايات الصحيحة والمختلقة، وأبقوا على الروايات الصحيحة فقط.

بدأت في هذا القرن كذلك كتابة تدوين التفاسير المعجمية والتفاسير الصوفية،قامت التفاسير المعجمية بالبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم من ناحية اللغة والأدب العربي، أما التفاسير الصوفية فوقفت على المعاني الباطنية للآية أكثر من التركيز على معانيها الظاهرة.

مثل ذلك:

- ❖ **التفسير المعجمي** : كتاب «معاني القرآن» الذي كتبه أبو زكريا يحيى الفراء.[١]
- ❖ **التفسير الصوفي** : كتاب «تفسير القرآن العظيم» للتوستري.[٢]

وقفت التفاسير في **القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي** ـ على إعجاز القرآن الكريم، ووضحت جوانب الإعجاز في الآيات.

مثال ذلك:

تحدثت التفاسير في هذا العصر عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ، مثل : الحديث عن الأنبياء والأمم السابقة ، وأن أحكامه صالحة في كل مكان وزمان، وأن تعبيراته لا تشوبها شائبة أو خطأ.

دُوِّنت في هذا العصر كذلك التفاسير الفقهية التي تفسر الأحكام الواردة في الآيات. ودُوِّنت هذه التفاسير كذلك في العصور التالية.

- ❖ **تفاسير الإعجاز**: كتاب "**دليل الإعجاز**" الذي كتبه عبد القاهر الجرجاني.
- ❖ **التفاسير الفقهية**: كتاب "**أحكام القرآن**" الذي كتبه أبو بكر أحمد الجصاص.[٣]

---

١ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١، ١٤٩.
٢ الذهبي، التفسير والمفسرين، ٢، ٣٨٠
٣ علي تورغوت، أصول التفسير ومصادره.

أما في العصرين الخامس والسادس الهجريين ـ الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ـ فبدأ تفسير آيات القرآن الكريم من الناحية الفلسفية.

وتناولت التفاسير إلى جانب هذا جوانب الإعجاز والبلاغة في الآيات، ويُعد تفسير **"الكشَّاف عن حقائق التنزيل"** للزمخشري من الآثار الشهيرة للغاية في هذا المجال.

وفي القرن **السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي** ـ تناولت التفاسير التي كتبها فخر الدين الرازي والقاضي البيضاوي الحكمة من الأحكام الواردة في الآيات وجوانب الإعجاز والبلاغة فيها.

- تناول فخر الدين الرازي في تفسيره **"مفاتح الغيب"** العديد من المسائل، وضمَّنه المناظرات التي عقدها مع العلماء.
- أما القاضي البيضاوي فوحَّد منهجي الزمخشري والرازي في كتابه **" أنوار التنزيل وأسرار التأويل"** . [١]

استمرت أنشطة التفسير في القرنين الثامن و التاسع الهجريين ـ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ـ .

- **"الحقائق الربانية"** لأبي الثناء الأصفهاني؛ واحد من أهم التفاسير التي دُوّنت في القرن الثامن الهجري.
- **"تفسير القرآن العظيم"** لابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر من الكتب المهمة أيضاً في هذا العصر. قسَّم ابن كثير الآيات في كتابه هذا إلى أجزاء معينه، وأفرد جزءاً في نهاية التفسير تحدث فيه عن فضائل القرآن الكريم.
- أدرك جلال الدين السيوطي القرن التاسع الهجري بتفسيره **"الدر المنثور"**.[٢]

وفي القرن العاشر الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ ذاع صيت عدد من المفسرين ، مثل المفسر العثماني شيخ الإسلام أبو السعود أفندي.

حمل تفسير أبو السعود أفندي اسم **"إرشاد العقل السليم"** و **"مزايا القرآن الكريم"**. حدد أبو السعود أفندي في تفسيره العلاقات التي تربط بين آيات القرآن الكريم وبعضها البعض. وهناك من يقول هذا التفسير قد فاق في إجادته تفسير الزمخشري و القاضي.

---

١ إسماعيل جراح اوغلو، أصول التفسير، ص ٢٩١-٢٩٢.
٢ علي تورغوت، أصول التفسير و مصادره..

ملحوظة

استمرت في القرن الحادي والعشرين كذلك أعمال تفسير القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ ، ويضم بين جنباته أحكام فيها أمر الدنيا و الآخرة.

نخص من هذه التفسيرات كتاب "**الدين الحق و لغة القرآن/ Hak Dini Kuran Dili** " لآلمالي محمد حمدى ياظير Muhammed Hamdi Yazır و هو تفسير مهم كُتِبَ باللغة التركية.

هل تعلمون؟

جمع كتاب "**معجم مصنفات القرآن الكريم**" (٤ مجلدات) لمؤلفه د. على شوّاخ والمنشور في ١٩٨٤ ببيروت، جمع بين جلدتيه الكتب الرئيسة التي كُتِبَت في إعراب القرآن الكريم، وتفسيره، وترجمته، وتجويده، ووجوه الإعجاز فيه بالإضافة إلى العلوم الأخرى.

ورد في هذا الأثر ٣٢٨١ اسماً لكتب تتناول تفسير القرآن الكريم وترجمته بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي تناولتها هذه الكتب. وجاء من بين هذه الكتب عدد ١٠٤٧ كتاباً تتعلق بتفسير القرآن الكريم.

سليمان آتش، التفسير المعاصر للقرآن الكريم، المجلد الأول، ص ٥٦.

قطعة للمطالعة

أفضل نموذج

أطرى الله جل شأنه على خلق نبينا في القرآن وبيَّن أنه هو الأسوة الحسنة للناس، أُرسل النبي ﷺ كما أخبرنا القرآن الكريم رحمةً للعالمين، ونال من الخُلُق أسماه، وسوف تستمر عظمة النبي ﷺ بأوصافه الجميلة تلك حتى قيام الساعة.

إن الحديث عن خلق النبي ﷺ الحميد يجعل قلب الإنسان يمتلئ بمحبته . لو كنت من ذوي الثروة والمال فتفكر وتدبر في تواضع وسخاء ذلك النبي ﷺ العظيم الذي حكم جزيرة العرب بأكملها وأذعن إليه بالمحبة عظماء العرب كلهم!

لو كنت أحد أفراد الرعية الضعفاء، فاتخذ من النبي ﷺ الذي عاش في مكة تحت حكم وتصرف المشركين الظالمين الغاصبين، فاتخذ منه قدوة لك في حياتك!

لو كنت فاتحاً مُظفّراً فخذ العبرة من حياة النبي ﷺ الذي قهر العدو بشجاعته وخضوعه لأمر الله ﷻ يوم بدر وحنين!

إذا تعرضت للهزيمة لا قدر الله، فتذكر النبي ﷺ في توكله على الله ﷻ عندما سار بجرأة وشجاعة بين الصحابة ﷺ الذين سقطوا على الأرض في غزوة أحد بين شهيد وجريح!

إن كنت معلماً فتذكر النبي ﷺ الذي علّم أصحاب الصُفَّة في المسجد التكليفات الإلهية وأفاض عليهم من قلبه الرقيق الحساس!

لو كنت طالباً، فتصور النبي ﷺ جالساً أمام جبريل الأمين وهو يتلو عليه الوحي!

لو كنت واعظاً ينصح الناس أو مرشداً أميناً، فأصغ إلى النبي ﷺ الذي نثر الحكمة على أصحابه في المسجد النبوي انتبه إلى صوته الحلو بسمعك وقلبك!

لو أردت أن تدافع أو تُبلّغ أو تُحافظ على حق ولم يكن لك أحد يُعِينك على هذا، فانظر إلى حياة النبي ﷺ الذي أقام الحق في الظالمين ودعاهم إلى الهداية وحيداً محروماً من كل أنواع المساعدة!

لو أنك أجهزت على عدو فقهرته وكسرت عناده، لو أنك أزهقت الباطل وأقمت الحق، فاستوح أمام ناظريك صورة النبي ﷺ الذي دخل يوم فتح مكة ـ وهو القائد المنتصر راكباً ناقته ـ وقد أحنى رأسه لدرجة السجود شكراً وتواضعاً لله ﷻ!

لو كنت مالكاً لمزرعة، وأردت تدبير أمورها، فاجعل قدوتك النبي ﷺ الذي أتى بعد تملكه لأراضي بني النضير وخيبر وفَدَك بأفضل من يتدبرون أمرها على أفضل ما يكون!

لو كنت يتيماً، فتذكر اليتيم النوراني الوحيد يتيم الأبوين عبد الله وآمنه قرة عينهما!

إذا كنت قد أدركت سن الشباب، فتذكر حياة الشاب المرشح ليكون نبياً وهو يرعى قطيع الأغنام لدى عمه أبو طالب!

لو أنك شاب ٌوتريد أن تقيم بيتاً تَحُفه الروحانيات، فانتبه لوصايا ونصائح رسول الله ﷺ، ولتكن التقوى اختيارك حتى تدرك السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة!

لو كنت تاجراً وخرجت وسافرت في قافلة تجارية ، فانظر إلى أحوال أعظم من كان في القافلة المتجهة من سوريا إلى البصرة!

لو كنت قاضيا حاكماً، فتذكر عدل وفراسة النبي ﷺ في واقعة وضع الحجر الأسود في مكانه في الكعبة في وقت كاد يقتل فيه أشراف مكة بعضهم البعض!

مرة أخرى حوِّل وجهك صوب التاريخ ،وانظر إلى ذلك النبي ﷺ عندما جلس في المسجد النبوي في المدينة وحكم بين الناس أفضل ما يكون العدل وساوى بين الغني والفقير!

لو كنت زوجاً، فانظر إلى تلك الذات الطاهرة- الذي كان زوجاً للسيدة خديجة والسيدة عائشة -، واعدل في معاملتك بين زوجاتك!

لو كنت أباً لطفل فتعلم أحوال وسلوك النبي ﷺ مع ابنته فاطمة الزهراء وابنيها سيدنا الحسن وسيدنا الحسين!

فمهما اختلفت صفاتك وأحوالك، ومهما اختلف الوقت صباحاً أو مساءً فسيظل سيدنا محمد ﷺ هو أفضل مرشد لك...

لقد كان مرشداً حقيقياً؛ فبسنته تستطيع أن تصحح كل خطأ... فأنت تلتزم ما جاء في سنته... فتتخلص بفضل نوره وإرشاده من معضلة الحياة وتجد السعادة الحقيقية!

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١. تحدثوا عن مولد علم التفسير.
٢. وضحوا العلاقة بين التفسير وعلم الحديث.
٣. تحدثوا عن مكانة النبي ﷺ في علم التفسير.
٤. وضحوا باختصار الدور الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم في علم التفسير.
٥. تحدثوا باختصار عن أنشطة التفسير في عصر التابعين.
٦. تحدثوا باختصار عن أعمال التفسير عند الطبقة الرابعة.

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي مما يلي ليس واحداً من الصحابة الذين أُشتهروا بتفسير القرآن الكريم؟

أ- عبد الله بن عباس رضي الله عنه.
ب- زيد بن ثابت رضي الله عنه.
ج- عبد الله بن عمر رضي الله عنه.
د- أبو هريرة رضي الله عنه.
هـ- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢. أي مما يلي ليس واحداً من المناهج التي اتبعها التابعون في تفسيرهم للقرآن الكريم؟

أ- اتخذوا من القرآن والسنة أساسا لهم في تفسير القرآن.
ب- استفادوا من أقوال الصحابة.
ج- لم يفردوا أي مكان لآرائهم الشخصية.
د- تعرضوا للوقائع التاريخية.
هـ- أخذوا بعين الإعتبار العادات والأعراف السائدة في البيئة التي عاشوا فيها والتي لا تتعارض مع الدين.

٣. أي مما يلي ليس واحداً من مفسري التابعين المشهورين؟

أ- حسن البصري.

ب- أحمد بن حنبل.

ج- سعيد بن جُبير.

د- مجاهد.

هـ- عكرمة.

٤. أي من الكتب التالية اقترن بشكل خاطئ بمؤلف آخر؟

أ- أبو بكر أحمد بن الجصاص : " أحكام القرآن ".

ب- الزمخشري: "الكشاف عن حقائق التنزيل".

ج- القاضي البيضاوي: " أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

د- ابن كثير: "مفاتح الغيب".

هـ- جلال الدين السيوطي: "الدر المنثور".

٥. شيخ الإسلام أبو السعود أفندي هو أحد أشهر المفسرين في القرن العاشر الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ. أي مما يلي هو الأثر الذي وضّح فيه أبو السعود أفندي العلاقة التي تربط بين الآيات و بعضها من ناحية المعنى؟

أ- إرشاد العقل السليم.

ب- الحقائق الربانية.

ج- مفاتح الغيب.

د- الكشّاف عن حقائق التنزيل.

هـ- أحكام القرآن.

ج – أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هومناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(الإسرائيليات – أبو السعود أفندي – التابعون – الصوفية – أحكام القرآن – الرابع)

١. شيخ الإسلام .... هو أحد أشهر المفسرين في القرن العاشر الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ .

٢. يمكن اعتبار كتاب .... لأبي بكر الجصاص كنموذج للتفاسير الفقهية.

٣. بدأ في القرن الثالث الهجري تدوين التفاسير المعجمية و التفاسير ....

٤. عَمدَ بعض الأشخاص في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم إلى إقحام بعض الروايات المُلفقة التي لا أصل لها و التي نُطلق عليها اسم ....

٥. عاشت الجهود المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن و التي بدأت تتمخض عن أكثر أعمالها خصوبة و نضجاً في القرن .... وعاشت عصورها الذهبية في القرون التالية لذلك.

٦. تلقي الصحابة ﷺ العلم عن نبينا ﷺ. وجلس .... كذلك مجلس الطالب من الصحابة .

كلمات متقاطعة

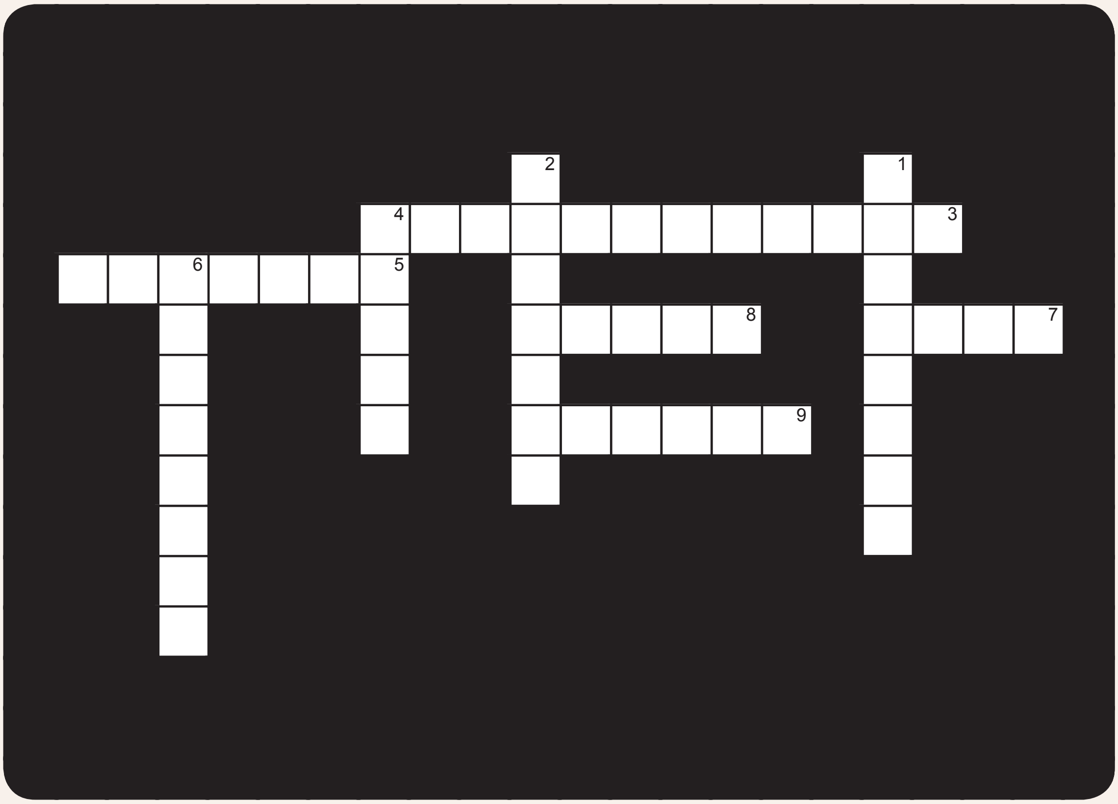

↓

1. مؤلف كتاب التفسير "الكشّاف عن حقائق التنزيل".
2. جمع الأقوال الخاصة بتفسير القرآن الكريم في مكان واحد.
4. اسم يُطلق على أي مسلم أدرك أياً من الصحابة و التقى به و جاذبه أطراف الحديث.
6. كلمة تُعبر عن الآيات التي يتعذر على القارئ إدراك معناها بسهولة.

←

3. مفهوم يعبر عن روايات ملفقة عارية عن الصحة تخص أفكار العقائد القديمة، أتى بها المسلمون الذين دخلوا الإسلام من المسيحية و اليهودية.
5. جمع كلمة الصحابي.
7. اسم عام يدل على الآيات التي يَسهُل فهمها.
8. مفسر مشهور من علماء التابعين.
9. مؤلف كتاب "جامع البيان عن تأويل القرآن ".

الوحدة الخامسة

٥

علوم القرآن الكريم

موضوعات الوحدة

- الإعجاز والمعجزة .
- وجوه إعجاز القرآن الكريم.
- المُحْكَم و المُتَشابه .
- أهمية موضوع المُحكم و المُتشابه في تفسير القرآن الكريم .
- أسباب النزول .
- النسخ في القرآن.
- الحقيقة و المجاز.
- المُبهمات .
- الوجوه و النظائر.
- غريب القرآن.

الأنشطة التحضيرية

- ابحثوا عن آية تبين أن القرآن الكريم هو أعظم معجزة، وتدارسوا ما جاء فيها.
- ناقشوا مسألة اعتناق سيدنا عمر ﵁ الإسلام بعد سماعه القرآن الكريم، و قيِّموا هذا الأمر بمشاركة زملائكم.
- ناقشوا أهمية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم.
- ما هي أهمية المُحكم و المتشابه في تفسير القرآن الكريم؟ ناقشوا مع زملائكم.

١- الإعجاز و المعجزة

الإعجاز: هو الأمر الذي يشعر الإنسان حياله بالدهشة والعجز من أن يأتي بعمل مشابه له.

المعجزة: هي الشيء الذي يفوق في حدوثه قدرة البشر وطاقتهم، ويجعل الإنسان يشعر بالعجز من أن يأتي بعمل مماثل له. و**المعجزة** اصطلاحاً هي حال أو واقعة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها وقد أنعم الله تعالى بها على أنبيائه فقط.

ملحوظة

من الأمور المهمة التي يتعين علينا معرفتها بخصوص المعجزة:

- تحدث المعجزة بإذن الله تعالى وتنسب إليه وحده.
- لا يعطي الله تعالى المعجزة إلا للأنبياء عليهم السلام.
- ليس بإمكان أحد كان سوى النبي عليه السلام أن يأتي بعمل يشبه المعجزة لأن أمرها يتخطي قدرة البشر. و الأنبياء عليهم السلام أنفسهم يفعلون المعجزة بأمر الله تعالى وإذنه.

وكما فعل الله تعالى مع الأنبياء الآخرين فقد أنعم على نبينا ﷺ كذلك في بعض الأحيان بمعجزات.

القرآن الكريم هو أعظم معجزة أنعم الله تعالى بها على نبيه ﷺ، وهي معجزة دائمة مستمرة حتى يوم القيامة، القرآن الكريم هو أعظم معجزة لم يُعطَ مثلها أحداً من الأنبياء.

وقد عبر نبينا ﷺ في الحديث عن كون القرآن معجزة بقوله:

«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة»[1]

اعترف حتى المشركون في مكة ـ وهم من برعوا وتفوقوا في الأدب ـ اعترفوا بتفوق القرآن عليهم وعدم قدرة أي من البشر أن يأتي بمثله. لم يُرد المشركون أن يعترفوا بأن القرآن الكريم صاحب الأسلوب

١ البخاري، ٦، ٩٧/ ٧٢٧٤.

الفريد الذي لا نظير له إنما هو كلام الله تعالى وأخذوا يختلقون الذرائع. فقال بعضهم أن القرآن كلام الرسول، وزعم البعض الآخر أنه شعر، وذهب الفريق الثالث بادعاءات أخرى. ولكنهم وعلى الرغم من هذا لم يتمكنوا أمام جاذبية القرآن أن يمنعوا أنفسهم من الاستماع إليه.

يمتلك القرآن الكريم نمطاً في البيان وأسلوباً خاصاً به في صياغة العبارات وانتقاء الكلمات، والقرآن الكريم هو كتاب إلهي اجتمعت عنده أسما خصائص الشعر والنثر. وتسود القرآن نغمة صوتيةً مثل الموسيقى التي تأسر الروح. وهناك تناسق كامل بين اللفظ والمعنى فلا تجد نقصاناً أو زيادةً في التعبير عن المقصود في الآية.

ويأتي القرآن الكريم في الآيات التالية بالدليل على تفوقه الأدبي لكونه كلام الله تعالى على النحو التالي:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

على الرغم من تحدي القرآن الكريم للناس جميعاً أن يأتوا بمثله، إلا أن أحداً لم يستطع أن يأتي بمثله. ثم يأتي القرآن الكريم بعد ذلك ليقرر أنه لن يكون بمقدور أحد أن يأتي بمثله:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (٢)

إن تحقق حدوث هذا الخبر أي عدم قدرة أحد حتى الآن أن يأتي بسورة واحدة مشابهة للقرآن الكريم، لهو دليل على أن القرآن الكريم معجزة من عند الله ﷻ.

٢- وجوه إعجاز القرآن الكريم

أ. إعجاز القرآن من ناحية إخباره الغيب

أخبر القرآن الكريم عن الماضي والمستقبل على حدٍ سواء، فحديثه عن الأنبياء السابقين وأقوامهم دليل على أن القرآن معجزة من لدن الله تعالى، فليس بإمكان نبي أُمي لا يعرف القراءة والكتابة أن يروي وقائع تاريخية سليمة تتعلق بأحداث من التاريخ وأناس عاشوا قبله بعصور.

وتوضح الآية التالية صراحةً أن تلك المعلومات إنما جاءت وحياً من عند الله ﷻ:

---

١ البقرة، ٢٣.

٢ الإسراء، ٨٨.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]

وبذلك يكون القرآن الكريم الذي تحدث عن كل هذا هو كلام الله جل شأنه.

لقد تحققت الأحداث التي قال القرآن الكريم أنها ستقع في المستقبل عندما حان وقت ومكان حدوثها، وسوف يستمر حدوث الباقي منها. الحادثة التالية هي نموذج يؤكد تحقق الأخبار التي أنبأ القرآن بحدوثها في المستقبل:

هُزِم البيزنطيون ـ الروم ـ وكانوا من أهل الكتاب على يد الإيرانيين المجوس ـ الفرس ـ. فسعد مشركو مكة كثيراً لسماعهم هذا الخبر وقالوا للمسلمين: لو أن الله منتصر لأهل الكتاب لنصر الروم. وسخروا من المسلمين، فنزلت الآيات الكريمة:

﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾[٢]

وجاء عام ٦٢٤م وتحققت نبوءة القرآن الكريم وهزم الروم الفرسَ. واستمرت الآيات تسرد حال المؤمنين حينئذٍ في قوله تعالى:

﴿......وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ...﴾[٣]

انتصر المسلمون في غزوة بدر في نفس العام الذي تحققت فيه نبوءة القرآن، وهزمت الروم الفرس.

لقد تحققت هذه النبوءة لتثبت مرةً أخرى إعجاز القرآن وأنه كلام الله المُنزَّل.

ب. إعجاز القرآن الكريم من ناحية كونه كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان

القرآن الكريم صالحٌ لكل زمان ومكان؛ يلبي احتياجات الناس ويأتي بالحلول لمشاكلهم. ومن شأن الأحكام الواردة في القرآن الكريم الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدارين الدنيا والآخرة. ولم تنزل هذه الأحكام لتخاطب القوم الذين عاشوا فترة نزول القرآن فحسب، بل جاءت عامة صالحة للناس كافة.

وبفضل هذه الميزة أكسب القرآن الكريم الإنسانية الطمأنينة، والسعادة، والعدل، والعلم، والعرفان. وأبرز دليل على هذا هو التغير العظيم الذي طرأ في زمن قصير على المجتمعات العربية.

---

١ هود، ٤٩.
٢ الروم، ١-٤.
٣ الروم، ٤-٥.

هيا نتعلم

جانب من التغييرات التي أحدثها القرآن الكريم:

- خلّص الناس من سلوك بدائي عندهم مثل عبادة الأصنام فأصبح الناسُ عباداً لله ﷻ ربهم و وجّههم لعبادته.
- لفت انتباه أولئك الذين كانوا يدفنون بناتهم أحياءً بلا رحمة ألا يتعرضوا لهن فصاروا رحماء.
- حرم العادات السيئة مثل: شرب الخمر، ولعب القمار، والزنا ،وأكل الربا، والتي من شأنها إلحاق الضرر بالفرد و العائلة و المجتمع.
- ساوى بين الغني والفقير، والسيد والعبد.
- حرَّم على الناس الكذب، والخداع ، والتحاقد، والتقاتل فيما بينهم.
- حكم بمراعاة حقوق العبد، وأن يساعد المسلمون ويكفل بعضهم بعضا، وأن يحترم كل منهم الآخر و يأمنه.
- أظهر الحق مكان الباطل، والعدل مكان الظلم، والمساواة مكان التمييز، والأخوة مكان العداوة.
- حفظ للمرأة حقوقها، وصان لها عرضها شرفها.

إن الكتاب الذي يضم رسائل وأحكاماً تخاطب الناس كافة وتصلح لكل زمان ومكان، والذي من شأنه أن يصل بالذين يؤمنون به في أي زمان كانوا إلى السعادة في الدنيا والآخرة، إن مثل هذا الكتاب لا بد وأن يكون من عند الله ﷻ. لقد شرُف بالإسلام وقراءة القرآن الكريم في يومنا الحاضر أيضاً عدد كبير من الناس، وهذا في حد ذاته جانب آخر من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.

ج- إعجاز القرآن الكريم من ناحية الأسلوب التعبيري

يتميز القرآن الكريم بأسلوب ونمط تعبيري خاص انتهجه في الآيات وفي اختيار كلماتها.

فالقرآن الكريم يخاطب عقل الإنسان أحياناً وقلبه أحياناً أخرى وأحاسيسه أحياناً ثالثة. وينتهج القرآن الكريم في شرحه مناهجَ مختلفةً، مثل: التلقين، والتكرار، وضرب الأمثلة، والتصوير، واستخدام الحكاية، والتشخيص.

فيما يلي بعض الآيات الكريمة التي يُعد كل منها نموذجاً لهذا الموضوع:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾[١]

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾[٢]

د- إعجاز القرآن الكريم من ناحية الموسيقى والتناغم الصوتي ـ الصوت ـ

يحتوي القرآن الكريم في تعبيراته على موسيقى طبيعية، وتتركز هذه الموسيقى في جانبين رئيسين:

١. على الرغم من أن القرآن الكريم ليس شعراً، إلا أن هناك تناغماً لفظياً في كثير من آياته:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)﴾[٣]

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)﴾[٤]

نلاحظ في مجموعة الآيات السابقة أن الآيات تميل إلى الخشونة أو الرقة وفقاً لمحتوى الموضوع الذي تتحدث عنه، كما يتجه الأسلوب والكلمات في الآيات التي تتحدث عن رحمة الله تعالى ونعمائه وجنته إلى الرقة متوافقة مع كنه الموضوع وخصائصه.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾[٥]

أما الآيات التي تتحدث عن الشدة والتهديد والعذاب وعن جهنم، فيتجه الأسلوب فيها إلى الحدة.

---

١ النحل، ١٤-١٧.
٢ التكوير، ١-١٤.
٣ الشمس، ١-٦.
٤ الانشقاق، ١٦-١٩.
٥ الصافات، ٤٣-٤٦

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾[١]

وتستشعر في الآيات التي تتحدث عن القيامة مدى صعوبة وشدة ذلك المشهد.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)﴾[٢]

هـ- إعجاز القرآن الكريم من ناحية التأليف

نزل القرآن الكريم آية بعد آية، وسورة بعد سورة خلال ثلاث وعشرين سنة. وبيّن رسول الله ﷺ عن طريق الوحي مكان كل آية وسورة، فحدد الآيات وترتيبها في السور، كما حدد بأمر من الله ﷻ مكان السورة بين السور الأخرى. وهناك علاقة تربط بين الآيات داخل سور القرآن وبين الآيات الأخرى في القرآن، واللافت للنظر عند مطالعة هذه العلاقة، أن هناك وجوداً لتناغم وتوافق كبير بينها، فمن المعلوم أن النبي ﷺ كبشر ليس بمقدوره أن يعرف مسبقاً الأحداث التي ستقع في المستقبل ولا الآيات التي ستنزل بخصوص هذه الأحداث. نفهم من هذا أن ترتيب القرآن هو من أمر إلهٍ واحدٍ لا محالة.

و- إعجاز القرآن الكريم من ناحية المحتوى العلمي

يحتوي القرآن الكريم على عددٍ كبير من الموضوعات العلمية أو كما هو الحال في المواضيع الأخرى فلا مجال للتضارب والاختلاف بين العلم والأشياء التي تحدث عنها القرآن في المواضيع العلمية. فقد صدَّق العلماء وأيدوا صحة الأسس العلمية التي أخبر بها القرآن الكريم.

يضاف إلى ذلك أن سهولة وسرعة حفظ القرآن، واستشعار لذة معنوية عند قراءته، وانشراح القلوب به، وشعور من يقرؤه بالراحة، كل هذه أدلة على تفوق القرآن الكريم وجوانب الإعجاز فيه. يضاف إلى ذلك أن الإنسانية ما وصلت للخلاص إلا به، وبه تحققت كذلك السعادة، والطمأنينة، والأمان، والحق، والحقيقة، والأخوة، والتكافل بين الناس، ومساندة كل منهم الآخر. لقد أضاء تلك العصور، وأصبح منبع العلم والتقنية، ومصدر الإلهام عند رجال العلم والفكر، فمن تمسك به فقد وجد الطريق القويم، ومن تركه حاد وخسر.

---

١ القيامة، ٢٦-٣٠.

٢ الانفطار، ١-٥.

نشاط جماعي

شهادة رجال العلم بتفرد القرآن الكريم

امتدح عدد كبير للغاية من رجال العلم مع اختلاف دياناتهم القرآن الكريم مؤكدين تفوقه وتفرُّده. وقد سجلنا هنا بعضاً من آراء هؤلاء العلماء على النحو التالي:

"**القرآن مُعجز**. لأن القرآن أخذ أكثر الكلمات فصاحة ورتبها أفضل ترتيب، وبيَّن معاني تلك الكلمات على أصح شكل، يفصح القرآن عن وجوده ووحدته وكمال صفاته، ويشرح العبادات والدعاء والحرام والحلال والمُباح إلى جانب الأحكام الأخرى. فيكشف عن الأخلاق الحميدة ويسدي بالنصائح؛ ويتناول المواضيع التي وردت فيه بشكل واضح يسهل فهمه، ويخبر القرآن عن المستقبل أيضاً كما أخبر عن العصور الغابرة. يربط القرآن بين الزعم والدليل، والدعوي والقرينة بشكل لا يمكن رؤية ما هو أكمل وأقوى منه." (جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن)

"**للكلمات ثلاثة أصوات**: صوت تسمعه الروح ـ النفس، ويدرك العقل صوتها الثاني وينفذ معناها إلى الروح ـ النفس ـ. أما الصوت الثالث للكلمات فيشمل الحس والروح. وهذا هو اسم وروح الإعجاز في القرآن. لقد تلحَّفت الكلمات في القرآن الكريم بأبلغ وأجمل نغمة- ذلك المُعجز الفريد. لقد خضع له وسلَّم بتفوقه أبرع وأبلغ شعراء العرب وخطبائهم." (مصطفي صادق الرافعي، الإعجاز القرآني)

"ثمة أشخاص يقبلون على تعلم اللغة العربية، ويتجاسرون على الاستخفاف بالقرآن الكريم. ولو أن هؤلاء قد تمكنوا من فهم القرآن وإدراك أسلوبه المتناسق الجميل بشكل صحيح؛ وسمعوا القراءة التي تؤثر في السامع؛ لو أنهم استمعوا للغته الخارقة للعادة التي استخدمها النبي ﷺ وهو يُحدِّث أصحابه عن القرآن، لو أنهم فعلوا هذا كله لانكبوا ساجدين في حضرة الله تعالى، ولقالوا جميعا "يا رسول الله! خذ بأيدينا، ولا تحرمنا شرف أن نكون من أُمتك."

٢- المُحْكَم والمُتَشابه

المُحكَم والمُتشابه صفتان تُطلق كل منهما على آيات القرآن الكريم. المُحكَم والمُتشابه في المعجم تستخدم للتعبير عن صحة وسلامة وجمال ألفاظ القرآن الكريم ومعانيها[١].

المُحكَم والمُتشابه اصطلاحاً هي تصنيف لآيات القرآن الكريم إلى آيات محكمات وآيات متشابهات.

توضح الآية التالية كيف أن بعض آيات القرآن الكريم محكم والقسم الآخر مُتشابه:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾[٢]

أ- الآيات المُحكمات

المُحكم هو البَيِّن بنفسه، الدال على معناه بوضوح، فلا يعرض له شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى.[٣]

وتعتبر كل آيات القرآن الكريم وفق هذا المعنى محكمات؛ لأن كل آيات القرآن الكريم بعيدة عن النقصان والشُبهة، وسوف يستمر القرآن بمزاياه تلك حتى يوم القيامة.

و**المُحكم** اصطلاحاً هو تعبيرات القرآن الواضحة سهلة الفهم.

ورد في الآيات المحكمات كل ما يخص العبادات والحلال والحرام والأعمال، وتقدم هذه الآيات معلومات بخصوص المواضيع التي نراها ونعيشها ونحس بها، وتلك التي يمكننا إحصاءها وتدبيرها بالعقل، والحكم في هذه الآيات قاطع لا يقبل الشك.

ومن أمثلة الآيات المُحكَمات:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]

تعبر هذه الآية بشكل واضح صريح الحكم الوارد فيها أي تحريم شرب الخمر، ولعب القمار، وقراءة الفأل.. لهذا السبب كانت هذه الآية من المحكمات.

---

١ هود، ١؛ يونس، ١؛ الزخرف، ٤؛ الزمر، ٢٣.
٢ آل عمران، ٧.
٣ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٤.
٤ المائدة، ٩٠.

ب- الآيات المُتشابهات

المُتشابه هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، سواء كان الإشكال من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.[١]

والمُتشابه اصطلاحاً هو الذي لا يستقل بنفسه ويحتاج إلى بيان يرده إلى غيره.

تحتوي الآيات المُتشابهات على مواضيع غيبية مثل ذات الله ﷻ وصفاته والإيمان والآخرة. وتتحدث الآيات المُتشابهات بشكل غير مباشر عن هذه المواضيع المتعلقة بالعالم الغيبي بالاستعانة بأشياء مشابهة في حياتنا ؛ لأن الحديث عن هذا العالم المجهول لا يكون إلا بالاستعانة بأشياء يعرفها الإنسان ويستطيع إدراكها. مثال ذلك ذُكر الله تعالى بأسماء الرب والملك التي تعني المسيطر على كل شيء. وبالشكل نفسه جرى تشبيه الجنة بما في الدنيا من أشياء جميلة، وتشبيه جهنم بالنار حتى يتسنى للعقل البشري إدراك المعنى.

- **الآيات المُتشابه لفظاً**: الآيات التي يوجد بها كلمة واحدة متشابهة.

مثال ذلك: كلمة (بِالْيَمِينِ) الواردة في الآية ﴿فَرَاغَ عليهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ تعني «**اليد اليمنى، القسم، القوة**». ويمكن إطلاق كل معنى من هذه المعاني الثلاثة على الكلمة موضوع البحث. لهذا السبب اُعتُبِرَت هذه الكلمة من المُتشابهات.

- **الآيات المتشابهة من ناحية معنى**: هي الآيات التي تتحدث عن المواضيع التي يتعذر على الإنسان فهمها مثل بعض أفعال وصفات الله تعالى، وأحوال القيامة، والجنة وجهنم.

- فيما يلي عرض لبعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بهذا الموضوع:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢]

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٣]

هذه الآيات من المتشابهات لفظاً لأننا لا نستطيع بفكرنا وأحاسيسنا أن نعرف وندرك ماهية التعبيرات الواردة فيها مثل **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** و **﴿الصُّورِ﴾**.

- **الآيات المتشابهات لفظاً ومعنى**: هي الآيات التي نفهم ما جاء بها إما بتأويل معانيها، أو بتفسيرها بالآيات المحكمات، أو بالأحاديث الشريفة، أو ببحث ما جاء فيها بطرق شتى.

﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ...﴾[٤]

---

١ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٤.
٢ طه، ٥.
٣ يس، ٥١.
٤ البقرة، ١٨٩.

كان العرب إذا أحرموا للحج لا يدخلون بيوتهم من أبوابها، فكانوا يصنعون في جدار البيت فتحةً يدخلون ويخرجون منها، وكانوا يعتقدون أن هذا السلوك أمر حسن واجب فعله، فجاء الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية وبين لهم سوء ما يفعلون وأن هذا ليس هو الصنيع الذي يكسبون به الثواب.

هذه الآية موضوع حديثنا من المتشابهات لفظاً كذلك؛ والسبب في ذلك قصرها وقلة عدد كلماتها؛ لأن واقعة «دخول البيوت من ظهورها» التي لم يستحسنها الله سبحانه وتعالى هي من السلوكيات الخاصة بالعرب فقط التي كانوا يفعلونها عند الإحرام للحج. أي أن الحق سبحانه وتعالى يبين أن «دخول البيوت من ظهورها في الإحرام» أمرٌ ليس جيداً في وقت الحج على وجه الخصوص، ولكنه ليس كذلك في كل الأوقات التي يُضطر فيها المرء لذلك؛ لأن العرب كانوا على قناعة بأن دخول البيوت من ظهورها وقت الإحرام أمر من شأنه جلب الخير لهم. بيد أن الآية لم تأتِ على الشكل «دخولكم البيوت من ظهورها وقت الإحرام»، بل جاءت على الشكل «ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها» لهذا السبب كان هناك اختصارا في ألفاظ الآية. من أجل هذا عُدَّت الآية من المتشابهات لفظاً.

والآية من المتشابهات من ناحية المعنى كذلك؛ لأن الأشخاص الذين لا يعرفون عادة العرب تلك التي تتحدث الآية عنها لن يدركوا المعنى الذي ترمي إليه، و لن يعرفوا كذلك أن الواقعة التي تتحدث عنها الآية هي السلوك الذي اتبعه العرب وقت الإحرام. من أجل هذا عُدَّت هذه الآية لِما فيها من تزاحم في المعنى، عَدّت من المتشابهات من ناحية المعنى كذلك.

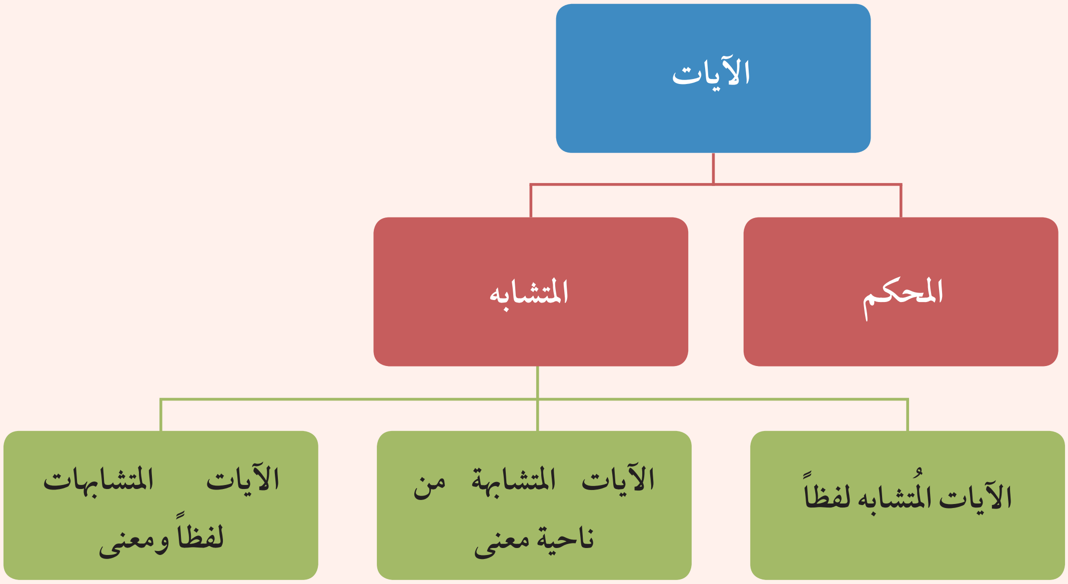

٣- آراء بخصوص الآيات المُحكمات والمُتشابهات

انقسمت آراء العلماء وتباينت بخصوص المُحكم والمُتشابه من الآيات إلى قسمين:

١. **مذهب السلف**: قال علماء السلف من أهل السنة «الله تعالى يعرف معنى تلك الآيات ونحن نقبلها ونعتقد بها كما هي، ونحاول أن نأتي بتفسير أو تأويل لها .»

٢. **مذهب الخلف**: لم يعلق علماء الخلف الذين جاؤا بعد ذلك على الحروف المُقطَّعة التي تُعد من المُتشابهات لفظاً، أما الآيات المُتشابهات من ناحية المعنى فقد اجتهدوا لإيضاح وتأويل معناها بما يتوافق والقرآن والسنة.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١]

ونحن لا نملك معلومة قاطعة عن معنى واضح مؤكد للآيات المُتشابهات. ولا نملك كذلك أي معلومة في هذا الموضوع خلاف ما فسره القرآن والسنة، كما أن الانسياق خلف المعاني المختلفة وعدم الاكتفاء بما في أيدينا من تفسير وتأويل قد يوقع الشخص في الخطأ.

ملحوظة

قال الراغب الأصفهاني:

«المُتشابه ثلاثة أقسام، **الأول**: لا سبيل إلى الوقوف على معناه كوقت الساعة والوقت الذي ستخرج فيه دابة الأرض ونحو ذلك. **الثاني**: آيات متشابهات ولكن قسم للإنسان أسباب إلى معرفته كالألفاظ العربية والأحكام المغلقة. **الثالث**: قسم متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم.» (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن)

هيا بنا نستنبط النتائج

اكتبوا أي الآيات التالية مُحكم وأيها من المُتشابهات.

﴿..... يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ......﴾ (الفتح، ١٠) (.....................)

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور، ٤) (.....................)

---

١ آل عمران، ٧.

٤- أهمية موضوع المُحكم والمُتشابه في تفسير القرآن الكريم

التفسير هو إيضاح وضعه العلماء للتعبيرات القرآنية الخفية صعبة الفهم متبعين في ذلك أسس وقواعد محددة. تلعب قدرة الإنسان على البحث ومقدار ما لدية من معلومات والقدرة على المقايسة الذهنية دوراً مهما في تفسير القرآن، فقد أثرت الآيات المُتشابهات في نمو قدرة المقايسة الذهنية لدى المفسرين الذين يبذلون الجهد لفهم تلك الآيات وحثتهم على البحث، وكانت النتيجة أن حقق المفسرون الذين أثروا حصيلتهم من المعلومات نجاحاً أكبر في تفسير القرآن الكريم. ولأن فهم الآيات المُتشابهات وإدراك معناها ليس بالأمر الهين،فقد أخذ العلماء الذين اشتغلوا بتفسيرها الحيطة والحذر.

عمد العلماء في تفسيرهم للآيات المتشابهات إلى النظر إلى الآيات المُحكمات والمقارنة بينهم، وأصبحت العلاقة بين هذه الآيات هي الوسيلة للخروج بعمل أكثر صحة.

وكانت النتيجة أن أُحاط كل إنسان علماً بالدين والحقيقة المطلقة بواسطة الآيات المحكمات والمُتشابهات. وكان التوجه إلى العلوم العقلية والبحث فيها أمراً ضرورياً لفهم المُتشابهات، وبذلك تطور الحس المعنوي المجرد لدى المفسرين. وقد ساعدت المتشابهات من ناحية أخرى في بيان التفوق الأدبي للقرآن الكريم.

قم بوضع إشارة (+) أمام ما يعبر عن الآيات المحكمات، وعلامة (×) أمام ما يعبر عن الآيات المُتشابهات فيما يلي.

التعبيرات	الآيات المُحكمات	الآيات المُتشابهات
تعبيرات قد تأتي على أكثر من معنى.		
تعبيرات واضحة سهلة الفهم.		
تتحدث عن مواضيع لا يمكن معرفتها مثل ذات الله تعالى وصفاته والآخرة.		
آيات قاطعة واضحة في معناها تضع المبادئ الأساسية الخاصة بالحلال والحرام والعمل.		
الآيات التي تتحدث عن المواضيع الغيبية.		

٥ – أسباب النزول

يقصد بأسباب النزول الأحداث التي كانت سبباً لنزول آية أو أكثر. لقد نزل جزء كبير من القرآن الكريم دون أن يرتبط ذلك بأي سبب، أما الجزء الآخر منه فقد ارتبط نزوله بأسباب. مثال ذلك:

ذهب عوف بن مالك إلى النبي ﷺ وشكا له وقوع ابنه أسيراً عند المشركين، وسأله عما يجب عليه فعله. فقال له النبي ﷺ:

آمرك وزوجتك أن تستكثروا من: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فقالت المرأة: نِعم ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم ـ أربعة آلاف شاه ـ، فجاء بها إلى أبيه[1]، فنزلت الآيتان:

﴿...مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (٣)﴾[2]

مثال آخر:

أتى أُبيّ بن خلف النبي ﷺ بعظم حائل قد بلي، فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذه بعد ما قد رَمَّ؟ فقال: نعم، ويبعثك ويدخلك النار، فأنزل الله تعالى هذه الآيات:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾[3]

رأينا في المثالين السابقين أن **سبب النزول** حادثة أو سؤال يكون سبب لنزول بعض الآيات والسور، ولكن لا يوجد سبب محدد لنزول كل آية في القرآن الكريم.

تسهم معرفة أسباب النزول بشكل كبير للغاية في تفسير آيات القرآن. فإذا عُرف سبب نزول آيةٍ من الآيات لأسهم ذلك بشكل كبير في فهمها بشكل أفضل، ومعرفة الحكمة من وجود الأمر والنهي في الآيات بشكل أوضح وأكثر سهولة وبذلك تتلاشي الشبهات وتمتنع الأخطاء. وعلى الجهة المقابلة يؤدي الحديث بدون معرفة أسباب النزول إلى وقوع الإنسان في الخطأ.

وغالباً ما تأتي الآيات التي تنزل بسبب حادث أو سؤال حاملة هدفاً تعليمياً للمُخاطب. فعلى سبيل المثال: سُئِل النبي ﷺ عن موعد قيام الساعة وكان من بين من سألوه أن أرادوا أن يعرفوا عن موعدها بنية

١ وحيدي، أسباب النزول، ص ٢٨٩–٢٩٠.
٢ الطلاق، ٢–٣.
٣ يس، ٧٨–٧٩.

صادقة، وأراد أناس آخرون بسؤالهم اختبار النبي ﷺ. فأجاب الله ﷻ على كلا الطرفين بالآية الكريمة :

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾[١]

كما نزلت الآيات في بعض الأحيان تحمل حكماً عاماً فيه إجابة على بعض الأسئلة أو بعض القضايا.

مثال ذلك عندما مرض جابر ﵁ وكان من الصحابة مرضاً شديداً، وسأل النبي ﷺ عما يجب فعله بما لديه من أموال ظناً منه أنه سيفارق الحياة، فنزلت على إثر ذلك آيات الميراث (١١-١٢) من سورة النساء. وقد أعطت هذه الآيات معلومات واسعة عن الأشخاص الذين يستحقون الميراث والنسبة المُستحقة لكل منهم.

يتحقق بمعرفة أسباب النزول كذلك فهم أفضل للآيات مع إثارة الرغبة في السمع عند المُخاطب أثناء تفسير الآية أو السورة. فعندما نقرأ الآية ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٢] يتبادر إلى الذهن أسئلة تثير الفضول من نوع (تُرى ماذا حدث حتى يأتي الله جل شأنه بتعبير كهذا). والحقيقة أن الوحي كان قد أَبطَأَ على رسول الله ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ «وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبُّهُ، وقلاه»، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى هذه الآية ليقطع عليهم حديثهم. وبذلك حققت المعلومة الواردة في أسباب نزول الآية فهماً أوضح للآية وأزالت الدهشة والفضول.

٦- النسخ في القرآن الكريم

أ- تعريف النسخ

كلمة **النسخ** في المعجم: الإزالة، والمسح، والتخلص من الشيء، وتغيير الشيء بآخر، والتبديل، والنقل.
و**النسخ** اصطلاحاً هو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ ـ متأخر ـ عنه.[٣]

ويُطلق **المنسوخ** على الآية المرفوع حكمها، أما **النسخ** فيُطلق كذلك على الآية التي ترفع حكم ما قبلها.

لقد وردت كلمة النسخ في كثير من الآيات بمعانٍ متقاربة. ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]

نفهم من هذه الآية أنه كما يرفع الدين الأخير ـ الإسلام ـ أحكام الأديان التي تأتي قبله، فمن الممكن أن يكون النسخ داخل الإسلام نفسه.

---

١ الأحزاب، ٦٣.
٢ الضحى، ٣.
٣ إسماعيل جراح اوغلو، ١٢٢.
٤ البقرة، ١٠٦.

ب- الحكمة من النسخ

لم يقض القرآن الكريم وهو يقيم مجتمعاً إسلامياً جديداً على ماضي هذا المجتمع تماماً؛ بل أكَّد على الجوانب الصحيحة في هذا المجتمع، وقوَّم ما به من أخطاء برفعها تدريجياً، وجاء بدلاً منها بأحكام جديدة. وإن كان القرآن قد رفع أحكام الأديان السابقة، فمن الممكن له أن يقوم بنفس الشيء داخل إطار الدين الواحد، لأنه من الصعب على الناس أن يتركوا العادات والتقاليد التي صاحبتهم قبل ذلك، ويمكن للإنسان أن يقبل بالتغيير الذي يأتي به الدين الجديد طالما أحس بعظمة روح ومبادئ هذا الدين. والنسخ هو تيسير يضمن تعود الناس على الأحكام، وحاشا لله أن يكون النسخ بسبب عدم علم من الله جل شأنه، بل هو ـ وعلى النقيض من ذلك تماماً ـ على علاقة وثيقة بالبنية النفسية للإنسان وباحتياجات المجتمع. لقد وضع الله ﷻ بواسطة النسخ الأحكام التي تتلاءم وظروف المجتمع واستخدمها باعتبارها المنهج الأفضل لتكوين أخلاق سليمة.

تُعد مسألة النسخ واحدة من المواضيع الضرورية بالنسبة إلينا حتى نتمكن من فهم القرآن الكريم واستنباط ما جاء به من أحكام، ولا يمكن لأي شخص لا يعرف هذا الموضوع جيداً أن يفهم القرآن الكريم بشكل جيد.

وعلى الرغم من تباين آراء علماء الإسلام في موضوع النسخ إلا أن معظمهم لم ينكره.

فيما يلي عرض لآراء علماء الإسلام الذين قبلوا بوجود النسخ في القرآن الكريم:[١]

لا يمكن للأشخاص الذين اُبتُلوا بعادات سيئة أن ينقطعوا عن تلك العادات في لحظةٍ واحدة، فالله الذي خلق الناس هو الأعلم بفطرتهم ؛ لهذا السبب أعد الله تعالى الناس بشكل تدريجي لينالوا السعادة الدنيوية والأخروية معاً. ولنعطي مثالاً على ذلك شرب الخمر:

انتشر شرب الخمر بين العرب المشركين. ومع هذا لم يأتِ القرآن الكريم بشكل مفاجئ ليصدر حكماً قاطعاً بتحريم هذه العادة السيئة، بل فضل بدلاً عن ذلك أن يحرمه بشكل تدريجي ضمن وتيرة معينة لتربية وتهذيب المجتمع. فنزلت الآية التالية كخطوة أولى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]

لقد أكدت هذه الآية على أضرار الخمر، ولكنها عبرت في الوقت نفسه عن وجود بعض المنافع لها.

---

١ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢، ٤٢.

٢ البقرة، ٢١٩.

وفي الخطوة الثانية باتجاه تحريم الخمر نزلت الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾[١]

وبنزول هذه الآية بدأ المسلمون الذين يشربون الخمر يتخلون عنها قبل الشروع في الصلاة وبذلك قل كثيراً استخدام الخمر.

ثم جاءت الخطوة الأخيرة لتحرم هذه العادة بشكل قاطع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)﴾[٢]

بنزول هذه الآية تخلى المسلمون تماماً عن شرب الخمر، وسكبوا ما كان بأيديهم من خمر وتخلصوا منه.

نفهم من المثال السابق أن موضوع النسخ من الأهمية بمكان لتفسير القرآن الكريم.

٧- الحقيقة والمجاز

استخدم القرآن الكريم في تعبيراته الفنون الأدبية المختلفة، فعمد القرآن الكريم بجانب الكلمات التي استخدمها بمعانيها الحقيقية إلى استخدام المجاز كذلك. والواقع أن استخدام الكلمات في معان أخرى مختلفة عن معانيها الحقيقية بسبب وجود أي من أشكال التشابه، أي استخدام المجاز، هو عنصر لا يمكن التراجع عنه في أي لغة من اللغات. ويعترف معظم علماء الإسلام بوجود المجاز في القرآن الكريم.

يقول المولى ﷻ:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٣]

تحمل الآية الكريمة السابقة وهي توضح أن شر الدواب الموجود على الأرض هي الصم البُكم، تحمل إشارة وتلميحاً إلى النوع الإنساني. والمقصود بالإنسان هنا؛ أولئك الذين لا يستمعون لآيات القرآن الكريم ويتصرفون كالصم حياله؛ لهذا السبب شبههم القرآن الكريم بالصم. وبذلك صنع القرآن مجازاً قائماً على التشبيه، وبالتالي لا يمكننا أن نأخذ هذا التعبير بالمعنى الحقيقي للألفاظ، كما أن فهم الآية على أن شرار الناس هم الصم والبُكم أمر يتنافى وتعاليم القرآن الكريم. لقد قصد القرآن بالصم والبُكم هنا المنكرين.

---

١ النساء، ٤٣.

٢ المائدة، ٩٠-٩١.

٣ الأنفال، ٢٢.

هيا بنا نبحث و نتعلم

- انظروا إلى الآية رقم ١٦ من سورة البقرة. فكروا هل كلمة " تِّجَارَتُهُمْ " الواردة في الآية قد استخدمت بالمعنى الحقيقي للتجارة أم أنها استخدمت بمعنى مجازي آخر.
- انظروا إلى الآية ٦٤ من سورة المائدة، هل استخدمت كلمة " أَوْقَدُواْ نَارا " بمعنى حقيقي أم مجازي في الآية.

٨- المُبهمات

يعمد القرآن الكريم في بعض الأحيان إلى ستر أسماء الأشخاص والأماكن التي يتحدث عنها ويستخدم بدلاً من هؤلاء الأشخاص والتواريخ ضميراً أو ضمير إشارة، وهذا هو أحد الطرق التي نلجأ إليها في أحاديثنا وكتاباتنا مما قد يجعلنا لا نفهم في كل الأحيان ما أو من المقصود بالحديث في الآيات، وهذا ما يطلق عليه اسم «**المُبهمات**». مثال ذلك قوله تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[١]

لم توضح الآية الكريمة هنا بشكل صريح اسم المكان الذي منه خلق الله تعالى الإنسانية جمعاء، وإليه سيعيدهم ليخرجهم منه مرة أخرى، وأشارت الآية لهذا المكان بالضمير «ها». بيد أنه يمكننا عن طريق آيات أخرى أن نعرف أن المكان المقصود هنا هو الأرض. ومثل هذه الصعوبات لا يمكن حلها إلا بتناولها من خلال القرآن ككل أو بتوسيع حصيلتنا من المعلومات من جهة أخرى. فنجد أن الآية (٣٢)من سورة النجم تشير إلى أن الإنسان خلق من الأرض ـ من التراب ـ، وتشير الآية(٢٥)من سورة الروم إلى خروج الناس مرة أخرى من الأرض في البعث.

يمكننا أن نسوق مثالاً آخر من سورة الفاتحة، فنحن لا نفهم من عبارة «الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ» الواردة في الآية(٧) من هم المقصودين بالحديث هنا، ولكن يمكننا القول بأنه إذا وضعنا استخدام هذه العبارة في القرآن الكريم ككل، أن الأشخاص الذين تتحدث عنهم الآية هم «المؤمنون». ويمكننا بمساعدة بعض الآيات الأخرى أن نصل إلى تفسير أكثر توضيحا لهذه الآية. مثال ذلك تشير الآية رقم(٦٩) من سورة النساء إلى أن هؤلاء الأشخاص هم:

﴿... النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾[٢]

---

١ طه، ٥٥.

٢ النساء، ٦٩.

وكما رأينا في الآيات السابقة أن القرآن الكريم يحتوي على أجزاء مبهمة؛ فهو لا يتحدث عن واقعة معينة بذكر الأشخاص فيها أو مكان وقوعها؛ لأن غاية القرآن من ذكر هذه الواقعة هو إعطاء العبرة للإنسانية ودعوتهم إلى التفكر وليس قص الحادثة باعتبارها واقعة تاريخية.

وقد يخطر على العقل سؤال على شاكلة «ترى ما السبب الذي من أجله وُجِد الإبهام في القرآن الكريم ؟».

والحقيقة أن هذه النقطة كانت مثارةً لحديث علماء الإسلام الذين ذكروا في ذلك الكثير من الأسباب. وسنكتفي هنا بذكر نقطتين فقط:

- **يزداد القرآن الكريم ثراءً بكشف الجزء المُبهم بذكره مرة أخرى في موضع آخر من القرآن الكريم.**

مثال ذلك: ما المقصود من قوله تعالى﴿الَّذِينَ أَنعَمتَ عليهِمْ﴾[1]؟

والإجابة ﴿ ...**الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾[2]

- **لقصد إزالة الإبهام و جعل المبهم شهيراً.**

مثال ذلك: لم يذكر الله تعالى حواء في الآية ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**...﴾[3] واكتفى بكلمة زوجك.

هيا بنا نفكر

فكروا مع زملائكم في الأسباب الأخرى لوجود عبارات مبهمة في القرآن الكريم.

٩- الوجوه والنظائر

لا جرم أن «الوجوه والنظائر» من الخصوصيات المهمة التي يجب تعلمها في علم التفسير حتى يتسنى لنا فهم ومعرفة القرآن بشكل جيد.

وكما هو الحال في كل اللغات فاللغة العربية تحتوي هي الأخرى على كلمات تُكتب وتُنطق بنفس الشكل ولكنها تختلف عن بعضها البعض من ناحية المعنى.

ويطلق «**الوجوه**» على استخدام نفس الكلمة في القرآن الكريم ولكن بمعان مختلفة. وعكسه «**النظائر**» أي التعبير عن نفس المعنى بعدد مختلف من الكلمات.

---

١ الفاتحة، ٧.

٢ النساء، ٦٩.

٣ البقرة، ٣٥.

والآن دعونا نسوق بعض الأمثلة على الكلمات التي يُطلق عليها مسمى «**الوجوه**» في علوم القرآن، فقد ورد في القرآن الكريم:

- استخدمت كلمة "**الكتاب**" إلى جانب معناها القرآن بمعانٍ أخرى ، مثل : "الوحي"، و"التوراة"، و "الإنجيل"، و" الدفتر الذي يُدون فيه".
- استخدمت كلمة "**آية**" أيضاً بمعاني : "إشارة"، و "معجزة"، و "الأجزاء التي تتكون منها السور".
- استخدمت كلمة "**أجل**" كذلك بمعانٍ عدة ، مثل : "أمد الدَين"، و "مدة العمر"، و" الموعد المحدد للآخرة".

ابحثوا في المعجم عن معاني كلمة «دِين»

وضعوها مكان النقاط.

وهناك كلمات تحمل نفس المعنى على الرغم من اختلافها في الشكل وهي ما نُطلق عليها اسم **النظائر** أو **المترادفات**. ويحتوي القرآن الكريم على هذا النوع من الكلمات. مثال:

- كلمتي **جنة والفردوس** لهما نفس المعنى في القرآن الكريم.
- كلمة الشيطان هي المرادف لكلمة إبليس.

اكتبوا مكان النقاط المعاني الأخرى

لكلمة نار.

هيا بنا نقرأ ونتعلم

تكتسب الوجوه و النظائر أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم، فتأتي كثير من الكلمات التي تتكرر في آيات و سور القرآن الكريم بمعاني مختلفة في كل موضع ترد فيه، ويُكسب هذا الثراء في المعنى ثراءً آخر في التعبير. ويصبح عدم الاعتماد على الوجوه والنظائر سبباً للفهم الخاطىء أو الناقص لمعاني الآيات.

١٠- غريب القرآن الكريم

وردت كلمة غريب في المعجم بمعانٍ عدة مثل:

«البعيد عن موطنه، والشيء الوحيد والنادر،والشيء غير المعروف، الشيء المُبهم الغامض».

فعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد نزل بلهجة قريش إلا أنه حوى عدداً من الألفاظ المُعرَّبة التي دخلت إلى العربية من لهجات أو لغات أخرى.

ويوجد بالإضافة إلى هذا عددٌ آخر من الألفاظ عسيرة الفهم التي لا يشيع استخدامها وهي الألفاظ المعروفة في علم التفسير بغريب القرآن.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قد أمر بالبحث في غريب القرآن، وحذرنا من الإقدام على تفسير القرآن دون إلمام بالألفاظ الغريبة فيه؛ لهذا السبب احتل غريب القرآن مكانا مهماً في علم التفسير وأخذ بداية من القرن الثاني الهجري شكلاً منضبطاً مستقلاً في علوم القرآن.

كان الرسول الأكرم ﷺ الذي تحدث العربية بلسان فصيح وتعلم خصائص اللهجات العربية المختلفة، كان يفسر للصحابة رضي الله عنهم بعض الآيات والأجزاء التي يتعسر عليهم فهمها، وبذلك أصبح عليه الصلاة والسلام أول مُفسِّر للقرآن الكريم.

بيد أن الرسول ﷺ تعرض بشكل أكبر لشرح الأحكام الواردة في الآيات وأسس الأخلاق الحميدة أكثر من التركيز على الكلمات نفسها، وقد ذكر بعض الصحابة في فترات الإسلام الأولى أن القرآن الكريم يحتوي على كلمات يتعذر عليهم الوصول إلى معانيها. مثال ذلك قول سيدنا عمر رضي الله عنه أنه لا يعرف ما لمقصود بكلمة «أَبّاً» الواردة في الآية (٣١) من سورة عبس. ذكر ابن عباس رضي الله عنه كذلك أنه ما علم معنى كلمة «فاطر» التي تكررت في ست آيات إلا من خلال نقاش دار بينه وبين اثنين من الأعراب استخدما خلاله هذه الكلمة.

نفهم من ذلك جهود كشف الغموض عن الألفاظ الغريبة في القرآن قد بدأت اعتباراً من عصر الصحابة ﷺ وأنهم لجؤوا إلى الشعر العربي لخدمة هذا الغرض. تذكر الروايات أن الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي تبحر في الشعر العربي، كان أول من قاد هذا النشاط.

قوموا بعمل جدول كالمبين أدناه وضعوا فيه جزءً من هذه الكلمات:

كلمة السفيه (سورة البقرة، الآية ١٣)	لهجة تميم	الجاهل
كلمة البغي (سورة البقرة، الآية ٩٠)	لهجة تميم	الحسد
كلمة اليم (سورة الأعراف، الآية ١٣٦)	لهجة قبطية	البحر
كلمة الأرائك (سورة يس، الآية ٥٦)	اللغة الحبشية	المقاعد
كلمة الأسباط (سورة البقرة، الآية ٢٣٦)	اللغة العبرية	القبائل
كلمة الرقيم (سورة الكهف، الآية ٩)	اللغة الرومانية	اللوح
كلمة سجيل (سورة الفيل، الآية ٤)	اللغة الفارسية	طين مُـتحجّر مُحْرَق
كلمة أسفار (سورة الجمعة، الآية ٥)	اللغة السريانية	كتب

صندوق المعلومات

مهم للغاية من أجل المفسرين أن يحددوا الكلمات الغريبة بالمعنى المتداول وقت نزولها قبل اللجوء إلى المعجم لتفسيرها وإلا سيصعب عليهم فهم القرآن الكريم بشكل صحيح.

هيا بنا نقرأ ونتعلم

لا فرق بين ذكر وأنثى

لا يجوز وفق الدين الإسلامي التفرقة بين الذكر والأنثى وتفضيل أحدهما على الآخر؛ لأن الله تعالى هو الذي وهب الولد وهو أيضاً الذي وهب البنت، ولا دخل للإنسان في هذا الموضوع. يقول الله تعالى:

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عليمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [١]

فلا يجوز لأي مسلم كان أن يتحسر أو يتأفف لأنه رُزق بأنثى في الوقت الذي يتفاخر فيه عندما يُرزق بذكر، فليس المهم هل رُزق بأنثى أو ذكر بقدر هل ولده أو ابنته "صالحاً أم لا".[٢]

لقد حرم الإسلام تماماً عادة وأد الإناث التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد حرَّم القرآن بشدة قتل الإناث:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [٣]

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاء عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [٤]

ويقول ﷻ في موضع آخر في معرض حديثة عن أهوال يوم القيامة:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ [٥]

وجاء في الحديث الشريف كذلك:

«إن أولادكم هبة الله لكم، يهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها» [٦]

---

١ الشورى، ٤٩-٥٠.

٢ زينب طوزدومان؛ حقوق المرأة في الإسلام، ص ٣٩.

٣ الإسراء، ٣١.

٤ الأنعام، ١٤٠.

٥ التكوير، ٨-٩.

٦ الحاكم، المستدرك، جـ 2، ٢٨٤/ ٣١٢٣.

قطعة للمطالعة

الإسلام ينبذ العنصرية والتعصب

حرم الإسلام المفاضلة بين الناس على أساس العرق، والعقائد، والأفكار التي تفتح الطريق أمام الظلم والاستعمار. لقد جاء الإسلام ليدحض فكرة التفاوت بين الأعراق مؤكداً على أن الأعراق جميعها إنما جاءت من مصدر واحد، فقد خلق الله تعالى الناس، والأمم كلها من آدم عليه السلام وزوجته حواء وتفرع المجتمع الإنساني إلى شعوب وقبائل بهدف أن يتعارف ويساعد كل منهم الآخر. ونحن لا نقصد هنا التفوق الوراثي الذي يؤدي إلى الظلم والاستعمار، فالمفاضلة بين الناس والمجتمعات إنما ترتبط فقط بعقائدهم ونمط معيشتهم ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تقوى الله في التزام أوامره وتجنب نواهيه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١]

ينظر الإسلام إلى العرق باعتباره عنصراً غير فاعل في تكوين أي مجتمع مدني وأنه لا يضمن أي فضل أو سيادة للناس. ويتكون أي مجتمع مدني من أشخاص اجتمعوا حول عقائد وقيم اختاروها بإرادتهم الحرة، وليس من مجموعة من الناس يعيشون بغرائزهم مثل الحيوانات؛ لهذا السبب فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع كوّنه أناس اتخذوا من الإسلام ديناً وشكلاً ونمط حياة، ولم يعد هناك مكان لأي عامل مادي أو معنوي آخر في تكوين هذا المجتمع الذي أصبحت العقيدة هي العامل المُمَيِّز الوحيد له. وهؤلاء الأشخاص الذين تجمعهم عقيدة واحدة، هم أخوة حتى لو لم يكن بينهم رابطة قرابة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾[٢]

وفي المقابل من هذا لا قرابة ولا نسب حتى بين الأب وابنه في موضوع العقيدة، فابن سيدنا نوح لا يعد من أهله ؛ لأنه لم يستجب لدعوته.[٣]

كما يحظر على المؤمنين أن يتخذوا من إخوانهم وآبائهم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان.[٤]

---

١ الحجرات، ١٣.

٢ الحجرات، ١٠.

٣ انظر: هود، ٤٦.

٤ انظر: التوبة، ٢٣.

كما يحظر على المؤمنين أن يوادوا كل من يتخذ من الله ورسوله عدواً حتى لو كانوا من آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.[١]

التعصب من العادات الجاهلية التي نهى الرسول ﷺ عنها وانتقدها بشدة، فقد أعلن في خطبته الشهيرة في حجة الوداع أنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. وتحدث ﷺ عن الحقيقة نفسها في خطبته التي ألقاها بعد أن طاف بالكعبة في فتح مكة، فقال ﷺ:

«قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب» [٢]

وتناول حديث آخر الموضوع ذاته في قوله رسول الله ﷺ:

«كلكم بنو آدم. وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»[٣]

لم يكتف رسول الله ﷺ بإعلانه أن الناس جميعهم إنما جاؤا من مصدر واحد، وأن التقوى وحدها هي السبيل للمفاضلة بين شخص وآخر، بل جاء ليؤكد بإصرار أن معيار الله تعالى للحكم بين الناس لن يكون على أساس أعراقهم، فقال ﷺ:

«إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم. ولكن ينظر إلى قلوبكم» [٤]

فلا معنى بعد كل هذه الحقائق التي ذكرناها أن يدّعي شخص أن الإسلام يدعو إلى العصبية، وقد حدد رسول الله ﷺ مكان هذا الشخص في قوله:

«من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية» [٥]

لقد وضع الإسلام بمبدأ الأخوة العالمية الشاملة التي جاء بها نهاية لعادة العصبية التي استمرت بشدة في عصر الجاهلية، وعلى الرغم من ظلم وسطوة أشراف مكة الذين رأوا أنفسهم أرفع نسباً ومكانة، أسس الإسلام مجتمعاً عالمياً قام على جهود أولئك الذين تعرضوا للاحتقار والامتهان من أمثال صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي.

---

١ انظر: المجادلة، ٢٢.

٢ الترمذي، جـ٥، ٧٣٥/ ٣٩٥٦..

٣ تفسير بن كثير، جـ ٧، ٣٦١، سورة الحجرات، آية ١٣.

٤ مسلم، البر، ٣٣/ ٢٥٦٤؛ بن ماجة، الزهد، ٩.

٥ مسلم، الإمارة، ٥٧/ ١٨٥٠.

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١. ما المقصود بالنسخ؟
٢. وضحوا المقصود بمفهومي الإعجاز و المعجزة؟
٣. اذكروا آية تتعلق بالإعجاز في القرآن الكريم؟
٤. ما السبب الذي جعل المشركين يستمعون إلى القرآن ليلاً؟ وضحوا.
٥. وضحوا ما وجه التفوق الذي أكسبه المجاز في القرآن؟
٦. وضحوا باختصار جوانب القرآن الكريم التي وقف أمامها الناس عاجزون؟
٧. اذكروا المعنى المعجمي للمحكم و المُتشابه؟
٨. وضحوا بمثال سبب وجود الآيات الناسخة و المنسوخة في القرآن الكريم؟
٩. ما المقصود بالإبهام في القرآن؟ أعطوا مثالاً على ما تقولون.
١٠. ما المقصود بالوجوه و النظائر في علوم القرآن؟ أعطوا مثالاً لكل واحدة منهما.
١١. ما هي أعظم معجزة أعطاها الله ﷻ لرسول الله ﷺ؟

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي من علوم القرآن الكريم تعبر عنها الآية الكريمة ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(الإسراء، ٨٨)؟

أ- إعجاز القرآن.

ب- سبب النزول.

ج- الناسخ و المنسوخ.

د- غريب القرآن.

هـ- الوجوه و النظائر.

٢. أي مما يلي ليس واحداً من خواص الآيات المُحكمات؟

أ- معنى الآيات قاطع.

ب- يسهل فهم معنى الآيات.

ج- معنى الآيات واضح.

د- يوجد بها خصوصيات تتعلق بالعبادات و الحلال والحرام والأعمال.

هـ- تحتوي على معلومات غيبية مثل ذات الله تعالى والإيمان والآخرة.

٣. أي مما يلي ليس واحداً من التغيرات التي أحدثها القرآن الكريم؟

أ- خلّص الناس من سلوك بدائي عندهم مثل عبادة الأصنام فأصبح الناسُ عبّاداً لله ربهم و وجّههم لعبادته.

ب- ساوى بين الغني و الفقير.

ج- أظهر الحق مكان الباطل، والعدل مكان الظلم، والمساواة مكان التمييز، والأخوة مكان العداوة.

د- حرَّم على الناس الكذب والخداع والتحاقد والتقاتل فيما بينهم.

هـ- أعطى اهتماماً أكبر للأطفال الذكور بالنسبة إلى الإناث.

٤. أي مما يلي ليس واحداً من الحكم وراء أسباب النزول؟

أ- تثير الرغبة في الاستماع لدى المُخاطب.

ب- يمكن فهم الآية بشكل أكبر لو عُرف سبب نزولها.

ج- معرفة أسباب النزول تجعل من إدراك الأوامر والنواهي الواردة في الآيات أمراً سهلاً وأكثر وضوحاً.

د- معرفة أسباب النزول تزيل الشبهات، وتمنع الوقوع في الأخطاء.

هـ- تعمل التمييز بين الآيات المُحكمات والمُتشابهات.

٥. استخدم القرآن الكريم فنوناً أدبيةً مختلفة. وكما اُستخدمت الكلمات في القرآن بمعانيها الحقيقية، فإنها قد اُستخدمت أيضاً في بعض الأحيان بمعان أخرى مختلفة. على أي من أصول التفسير يُطلق المعنى السابق؟

أ- المُشكل.

ب- المجاز.

ج- الحقيقة.

د- المُبهم.

هـ- المُحكم.

٦. على أي شيء يُطلق استخدام نفس الكلمة في القرآن الكريم ولكن بمعان مختلفة في آيات مختلفة؟

أ- المُتشابه.

ب- المُحكم.

ج- الوجوه.

د- النظائر.

هـ- المُبهم.

٧. علامَ يُطلق رفع حكم نص بنص آخر نزل بعد الأول؟

أ- سبب النزول.

ب- النسخ.

ج- غريب القرآن.

د- المُتشابه.

هـ- النظائر.

ج – أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هومناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(المُتشابه، الناسخ ، غريب القرآن، النظائر (المُترادفات)، المُحكم، المُبهمات، سبب النزول)

١. يُطلق .... على الآية التي ترفع حكم ما قبلها.

٢. تُطلق الآيات .... على الآيات التي لها أكثر من معنى والتي نشعر بحاجة إلى دليل كي نُرجح أحد هذه المعاني.

٣. يطلق .... على الأحداث التي تكون سبباً في نزول آيةٍ أو أكثر.

٤. يُطلق مسمى الآيات .... على الآيات القاطعة واضحة المعنى.

٥. لا يذكر القرآن الكريم في بعض الأحيان أسماء الأشخاص والأماكن التي يتحدث عنها ويستخدم بدلاً من الأشخاص والتاريخ ضميراً أو ضمير إشارة. يُطلق على هذا النوع من التعبيرات اسم........................ .

٦. تطلق .... على الكلمات المختلفة في الشكل على الرغم من تساويها في المعنى.

٧. يوجد بالإضافة إلى هذا عددٌ آخر من الألفاظ عسيرة الفهم التي لا يشيع استخدامها لقلة استخدامها، و يُطلق على هذا النوع من الكلمات في القرآن اسم ....

كلمات متقاطعة

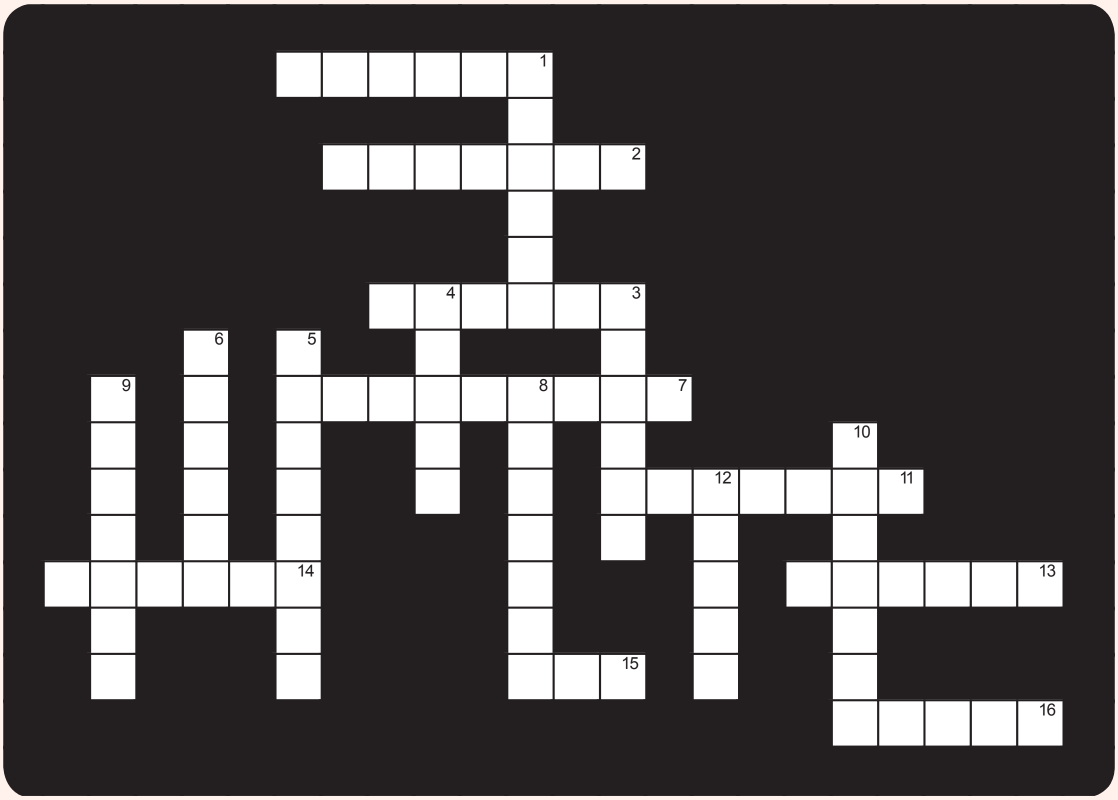

⬇

1. تعبيرات في القرآن الكريم واضحة سهلة الفهم.
3. أطول سورة في القرآن الكريم.
4. رفع حكم نص بنص آخر نزل بعد الأول.
5. هي آيات من القرآن الكريم لا نفهم معناها بسهولة، وتحتاج إلى دليل لفهمها.
6. أعظم معجزات نبينا ﷺ.
8. تُطلق على استخدام الكلمات الواردة في القرآن الكريم بمعانيها الحقيقية.
9. الآية التي رُفِعَ حُكمُها.
10. كلمة تستخدم بنفس معنى كلمة الجنة. اسم من أسماء الجنة
12. مفهوم يستخدم بمعانٍ مختلفة مثل "أمد الدَين، ومدة العمر، والموعد المحدد للآخرة .

⬅

1. استخدام نفس الكلمة في القرآن الكريم ولكن بمعان مختلفة في آيات مختلفة.
2. هي حال أو واقعة يعجز البشر عن محاكاتها، وقد أنعم الله تعالى بها على أنبيائه فقط.
3. استخدام الكلمات الواردة في القرآن الكريم في معنى بعيد عن معانيها الحقيقية.
7. تعبير يُعنى به سبب نزول الآيات.
11. تُطلق على التعبير عن نفس المعنى بعدد مختلف من الكلمات.
13. اسم يُطلق على كل جزء من أجزاء القرآن الكريم.
14. يطلق على الآية التي ترفع حكم ما قبلها.
15. تُطلق على كل جزء يُكوِّن سور القرآن.
16. كلمة مرادفة لكلمة شيطان..

الوحدة السادسة

٦

أشهر المفسرون و خصائص تفاسيرهم

موضوعات الوحدة

- عبد الله بن عباس (رضي الله عنه).
- الطبري (رحمه الله).
- الزمخشري (رحمه الله).
- فخر الدين الرازي (رحمه الله).
- القرطبي (رحمه الله).
- القاضي البيضاوي (رحمه الله).
- ابن كثير (رحمه الله).

الأنشطة التحضيرية

- شاركوا زملاءكم في كتابة أسماء بعض أهم المفسرين.
- من هو الطبري، اذكروا اسم الأثر الذي تركه في مجال التفسير.
- ابحثوا في حياة المفسر الزمخشري ، و ناقشوا الأمر مع زملائكم في الفصل.

أشهر المفسرين و خصائص تفاسيرهم

اتفق المسلمون منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن على هدف مشترك وهو العمل على فهم القرآن وتطبيق ما جاء به على أفضل وجه، و قد بُذل في سبيل تحقيق هذا الهدف جهود مختلفة من أجل فهم القرآن الكريم. يأتي تفسير القرآن على رأس هذه الجهود، ولقد اختلف المفسرون الذين عملوا على تفسير القرآن وفق أصول ثابتة، اختلف كل منهم عن الآخر وفق الزمان والمكان الذي عاش فيه والحصيلة الثقافية وفروع العلم التي تخصصوا فيها.

وقد انتهج بعض هؤلاء المفسرون أسلوب التفسير بالرواية وانتهج البعض الآخر التفسير بالدراية، وكانت نتيجة ذلك أن ظهر على الساحة عدد مختلف من مصادر التفسير، ولأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية لذا كانت اللغة العربية هي اللغة التي دونت بها الكتب الأولى في علم التفسير. وعلى الرغم من كثرة الآثار التي كتبت باللغة العربية في هذا المجال، إلا أن جزءاً منها هو الذي يُرجع إليه في فهم القرآن الكريم لما تميز به من خصائص مختلفة.

١. عبد الله بن عباس ﵁ ومكانته في التفسير

هو ابن عم رسول الله ﷺ، والصحابي الذي تضلَّع في علوم التفسير والفقه وعُرِف بمكانته بين رواة الحديث على كثرة أعدادهم، عُرف باسم ابن عباس، ولد في مكة في العام الثالث قبل الهجرة في الوقت الذي ضربت فيه قريش الحصار على المسلمين، وقد جاء به أبوه بعد مولده إلى رسول الله ﷺ فدعا له.

كان ابن عباس يبيت بعض الليالي في بيت النبي ﷺ لأن زوجة النبي ﷺ ميمونة ﵂ كانت خالته، نال تقدير النبي ﷺ بسبب حبه وتعلقه وإخلاصه في خدمته ويضاف إلى هذا أن النبي ﷺ دعا له قائلاً:

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

كان ابن عباس ﵁ قد بلغ الثالثة عشر من العمر عندما توفي رسول الله ﷺ، وقد كان من الصحابة ـ المُكثرين ـ الذين رووا أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ؛ فقد روى عن رسول الله ﷺ (١٦٦٠) حديثاً سمع جزءاً منها من الرسول ﷺ مباشرة، وسمع الجزء الآخر من الصحابة أمثال سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا علي، ومعاذ، وأبيه العباس، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سفيان، وأبو ذر، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، إلى جانب عددٍ آخر من الصحابة الذين تعلم منهم الحديث. وقد أولى علماء الحديث الاهتمام بما رواه من أحاديث.

اعترف الجميع بتفوق ابن عباس ـ الذي دعا له الرسول كي يفقه الدين ـ في علم التفسير وهو مازال في سن مبكرة، بلغ ابن عباس حد الكمال بمعرفته الشديدة لأسباب نزول الآيات والناسخ والمنسوخ منها، ووقوفه كذلك على الأدب العربي؛ لهذا السبب أُطلق عليه اعتباراً من عصر الصحابة ألقاب عدة منها:

«ترجمان القرآن» ، و«البحر»، و«الحَبر». لذا كان الخليفة عمر ﷺ يُجلسه على الرغم من حداثة سنه في مجالس العلم التي يشارك فيها أصحاب «بدر» وكان يُقدِّر آراءه وفكره.

لم يشارك ابن عباس ﷺ في المناوشات السياسية التي جرت في مراحل الإسلام الأولى وكرّس نفسه للعلم، انشغل ابن عباس بتنشئة الطلاب وأسس مدرسة للتفسير في مكة.

كان من بين طلبة ابن عباس عددٌ من كبار الفقهاء منهم: عكرمة، ومجاهد، وعطا، وسعيد بن جبير، والطاوس، وسعيد بن المسيب. يُضاف إلى هذا أن ابن عباس قد تبحَّر إلى جانب الفقه والحديث في فنون الأدب العربي، كما كان خطيباً مُفَوَّهاً قديراً،و كان يلقي بعد الانتهاء من الصلاة خطباً مؤثرةً مستعيناً بمترجم يقوم بترجمة كلماته إذا وجد من بين السامعين من لا يعرف اللغة العربية.

هيا نتعلم

أهم أثرين تركهما ابن عباس ﷺ في مجال التفسير:

١. تفسير ابن عباس: نصوص نُقلت عنه وتداولتها كتب التفسير والحديث المختلفة.

٢. غريب القرآن: أزال الغموض عن بعض الآيات عن طريق بيان لهجة القبيلة العربية التي جاءت منها الكلمات «الغريبة» في القرآن الكريم.

صندوق المعلومات

لم يكن ابن عباس ﷺ يميل منذ البداية إلى السياسة؛ لذلك لم يتدخل كثيراً في الأحداث السياسية التي سادت في عصره ومع هذا فقد شارك المسلمين فتوحاتهم في مصر (١٨-٢١هـ) و شمال أفريقيا(٢٧ هـ) وجرم وطبرستان في العام نفسه. وشارك مع سيدنا علي ﷺ في موقعتي الجمل وصفين عام (٣٦-٣٧ هـ). (اسماعيل جراح أوغلو، تاريخ التفسير، أنقره ١٩٨٨، المجلد الأول، ص ١٠٣)

٢. الطبري وتفسيره (٢٢٥-٣١٠ هـ)

ولد محمد بن جرير الطبري في بلدة تسمى «آمل» بطبرستان إلى الجنوب من بحر الخزر عام ٢٢٥هـ. كان من رواد علماء التاريخ، والفقه، والتفسير في القرن الثالث الهجري. اجتهد الطبري في العلم وهو مازال في سن الشباب، وتنقل سعياً في طلب العلم بين بلدان عدة، مثل: الرِي، والبصرة، والكوفة، والمدينة، وسوريا، ومصر ليستقر في النهاية في بغداد.

ألقى دروس العلم في بغداد ودرَّس آراءه الفقهيه فيها، ولكن لم يصل إلينا سوى جزء فقط من أعماله. وعلى الرغم من هذا فقد أضاءت هذه الأعمال الطريق واسترشدت بها الدراسات الخاصة بالتاريخ والتفسير في يومنا الحاضر. فكان الطبري أحد الذين أسسوا مذهباً خاصاً لهم في مجال الفقه، بيد أن هذا المذهب لم يصل إلينا.و توفي الطبري في بغداد عام ٣١٠ هـ.

خلّف الطبري وراءه أثاراً متنوعة في القرآن الكريم والقراءات والحديث والفقه.و أشهر هذه الآثا: «**تاريخ الأمم والملوك**» في مجال التاريخ، و«**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» في مجال التفسير.

أنهى الطبري تفسيره الذي حمل اسم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» في عام (٨٨٣ م)، وعلى الرغم من توافر نسخ من هذا المُؤَلَّف في بعض المكتبات، إلا أنه ظل لا يُطبع حتى نهايات القرن التاسع عشر فكان يُخشى على هذا المُؤَلَّف العظيم من الضياع، ولكن عاودت دور النشر طباعته بعد ذلك وقُدِّم لخدمة رجال العلم. وقف الطبري في مقدمة كتابه على سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية وجواز تأويل معانيه. استفاد الطبري في كتابه من الأحاديث الشريفة، وآراء الصحابة والتابعين، والفروق بين القراءات، وعلوم اللغة، والشعر، وعلم الفقه، والتاريخ، والكلام . وعلى الرغم من هذا لم يفسر الطبري بعض الآيات القصيرة واكتفى بالإشارة إلى معانيها.

اجتهد الطبري في تفسيره كي يجمع في مكان واحد كل الروايات التي تفسر آيات القرآن الكريم؛ لذلك أصبح تفسيره مرجعاً لكل التفاسير التي تلته،ولم يكتف بمجرد نقل الروايات فحسب، بل نقل إلى القارئ معها آراءه الخاصة كذلك،و بذلك جمع هذا الأثر بين سمات التفسير بالرواية والتفسير بالدراية.

٣. الزمخشري وتفسيره (٤٦٧-٥٣٨ هـ)

ولد جار الله محمود بن عمر الزمخشري عام (٤٦٧هـ) في قرية زَمَخْشَر التابعة لمنطقة خوارزم داخل حدود تركمانستان الحالية. عاش الزمخشري في فترة حكم السلطان السلجوقي العظيم ملك شاه وزمن الوزير نظام الملك الذي أولى تطوير العلم أهمية بالغة. تلقى الزمخشري دروس العلم على أيدي علماء مختلفين في مراكز العلم آنذاك، مثل : بخارى، وخراسان، وأصفهان، وبغداد، ثم استقر به المقام بعد ذكر في مكة وهناك اعتكف في الكعبة وكرس نفسه تماماً للعلم. قام الزمخشري بزيارة القبائل العربية في الواحة والصحراء رغبةً منه في تنمية قدراته اللغوية. توفي الزمخشري في جُرجَانية خوارزم عام(٥٣٨هـ).

يعتبر كتاب «**الكشّاف**» هو الأكثر شهرةً بين كتب الزمخشري الأخرى التي تخطّت الستين كتاباً تنوعت مجالاتها بين الأدب العربي، واللغة، والبلاغة، والتفسير، والحديث، والفقه.

أخذ الزمخشري في التفسير فروق القراءات بعين الإعتبار، وأوضح الناسخ والمنسوخ، وقام بتأويل آيات القرآن التي تبدو متضاربة في أحكامها مؤكداً على عدم وجود تضارب في المعلومات الواردة في القرآن. أولى الزمخشري ـ الذي تعرض للنقد بسبب طلاقة لسانه ـ اهتماماً كبيراً لدراسة القرآن الكريم من ناحية اللغة، والنحو، والبلاغة، والإعجاز، فكان بيانه لأصل الكلمات والتراكيب الواردة في القرآن الكريم من السمات المهمة المُمَيزة لهذا الأثر. كان الزمخشري يقدم في بعض الأحيان معلومات عن القراءات، وأتى في الفقه بآراء قريبة من المذهب الحنفي. مثال ذلك أنه أوضح في شرحه لكلمة « الحمد » في تفسيره لسورة الفاتحة أن هذه الكلمة مساوية في المعنى لكلمة (المدح والثناء) وأن الحمد والثناء يكونان مصاحبان للخير. واستعان الزمخشري بدليل من الشعر العربي القديم ليدعم به شرحه هذا، يقول الزمخشري إضافة لذلك أن الذم ضدُ المدح، ثم ينقل في النهاية الأشكال المختلفة لقراءة الكلمة. أما في ناحية الاعتقاد فقد دافع في تفسيره عن فكر المُعتزلة، ولقد أظهرت آراء الزمخشري وطريقته في التفسير أن له باعاً طويلاً في علم التفسير. وأصبح تفسيره بما يحوي من شرح لغوي على درجة من الأهمية لا يمكن التخلي عنها.

هيا بنا نقرأ و نتعلم

أهم ما يميز عصر الزمخشري:

- ازدادت قوة السلاجقة في العصر الذي عاش فيه الزمخشري و دخلوا الأناضول. و ضعُفت قوة العباسيين.
- جاءت الحملات الصليبية الأولى و الثانية و استولى الصليبيون على القدس.

٤. فخر الدين الرازي وتفسيره (٥٤٣ -٦٠٦ هـ)

أبو عبد الله ـ أبو الفضل ـ فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي الطبراستانى هو أحد علماء الأشاعرة، واشتهر بأعماله في مجال الكلام والفلسفة والتفسير وأصول الفقه. ولد عام(٥٤٣ هـ) في مدينة الرِي الواقعة إلى الجنوب من نهر الخزر وتلقى تعليمه الأوّلي على يد أبيه الذي كان أحد كبار العلماء في مدينة الرِي.

عاش فخر الدين الرازي في القرن السادس وكان أحد أهم رجال العلم في تلك الفترة. كان الرازي واحداً من أعظم المفكرين في القرن السادس الهجري، وقد عُرِف عنه ذكاؤه الحاد وذاكرته القوية وخطبه المؤثرة. تبحر الرازي في مختلف العلوم فلم يكتفِ بالأثر الذي تركه في علم التفسير، بل تعلم أيضاً كل

علوم عصره، مثل: الكلام، وأصول الفقه، والتفسير، واللغة العربية، والفلسفة، والمنطق، وعلم الفلك، والطب، والرياضيات وترك فيها مؤلفات أيضاً ولهذا السبب أُطلق عليه لقب «**العلّامة**». تجول الرازي في دول عدة منها: إيران، وتركستان وأفغانستان، والهند ليستقر به المقام بعد ذلك في هرات، وقضى ما تبقى من عمره في هرات؛ قام الرازي تزامناً مع تدوينه أثاره بإلقاء دروس العلم على طلابه الذين تخطت أعدادهم ٣٠٠ طالب. توفي الرازي في هرات يوم الأول من شوال عام (٦٠٦هـ).

تميَّز الرازي في علمي التفسير والكلام. ويُعتبر كتابه «**مفاتح الغيب**» الأثر الأهم الذي تركه في علم التفسير ويُعرف هذا الكتاب كذلك باسم: «التفسير الكبير». وقد نُشر أهم أثر له في مجال التفسير في (٣٢) مجلدٍ. طبَّق الرازي في تفسيره أسلوب التفسير بالدراية بنجاح وأصبح كتابه هذا مرجعاً لكل المفسرين الذين جاؤا من بعده. لقد استفاد في تفسيره للقرآن من العلوم الموجودة في عصره، وصنع الريادة في علم التفسير. وعلى الرغم من أن الرازي قد اتخذ التفسير بالدراية منهجاً له في التفسير، إلا أنه أعطى اهتماماً كبيراً للروايات المتعلقة بالآيات وأسباب نزولها والاختلاف في القراءات. بيد أنه آثر في ترجيحه لإحداها أن يكون المعنى متوافقاً مع روح الآية. ومن آرائه أن تفسير القرآن بالقرآن هو أصح التفاسير.

استعان فخر الدين الرازي في تفسيره بفروع العلم المختلفة التي وقف عليها وهو الأمر الذي عرَّضه للنقد من قِبَل بعض العلماء، فنجده يتعرض في تفسيره للآية الأولى من سورة القدر إلى سبع مسائل مختلفة ذات علاقة بهذه الآية، وينقل ويتناول الآراء المختلفة بخصوص كيفية نزول القرآن، وموعد ليلة القدر إلى جانب تناوله لمواضيع الأسلوب وعلم اللغة.

دافع فخر الدين الرازي في تفسيره عن آراء كلام أهل السنة . لقد دوَّن علماء المعتزلة تفاسير قوية بعلم الدراية نالت تقدير علماء السنة مستعينين بشكل كبير في تفسيرهم للقرآن الكريم بعلوم مثل : علم الكلام،و اللغة، والأدب. وفي محاولة منه للرد على آراء مفسري المعتزلة، قام فخر الدين الرازي بتدوين كتابه مستخدماً فيه الأسلوب الذي اتبعوه، ودافع فيه عن آرائه واجتهد لإظهار ضعف آراء المعتزلة. أفرد الرازي في تفسيره كذلك مكاناً للمواضيع الفقهية، وأولى اهتمامه لأسباب نزول الآيات.

خلاصة القول أن تفسير فخر الدين الرازي هو أحد أهم موروثات الثقافة الإسلامية.

هيا بنا نقرأ و نتعلم

تعرض العالم الإسلامي في القرن السادس الذي عاش فيه الرازي لاهتزازات كبيرة في الحياة السياسية و الإجتماعية. فقد تعرض العالم الإسلامي للهزيمة مرتين؛ مرة على يد الصليبيين، و مرة أخرى على يد المغول. و ظهر في داخل الدولة الإسلامية بالإضافة إلى هذا عددٌ كبيرٌ من الجماعات و المذاهب التي حاولت كل منها استناداً إلى القرآن إثبات صحة آرائها.

٥. القرطبي وتفسيره (....-٦٧١هـ)

ولد محمد بن أحمد القرطبي في قرطبة التي كانت واحدة من مراكز العلم في الأندلس وتجول في عدد كبير من المدن الإسلامية لتحصيل العلم فيها، واستقر به المقام بعد ذلك في مصر حيث وافته المنية عام ٦٧١ هـ.

عاش العالم القرطبي ـ مالكي المذهب ـ حياة زهد وتقوى، وابتعد في الوقت نفسه عن التعصب في علوم الدين.

وضع القرطبي لكتابه اسم «**الجامع لأحكام القرآن**» وقد أعطى تفسيره كما يُفهم من اسمه أهمية خاصة لتفسير آيات الأحكام. لم يتعصب القرطبي لمذهب المالكية الذي اتبعه، بل كان وعلى العكس من ذلك يتبنى الآراء التي يراها صحيحة من المذاهب المختلفة الأخرى. مثال ذلك رجّحَ في تفسيره للآية (١٨٧) من سورة البقرة الرأي الذي يقول «بعدم ضرورة القضاء» إذا نسي الشخص في نهار رمضان فأكل أو شرب، على الرغم من أن المذهب المالكي الذي يتبعه يوجب عليه القضاء.

٦. القاضي البيضاوي (٥٨٥-٦٨٥هـ) .

ولد ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي في «البيضاء» التي تقع بالقرب من شيراز، وكان أحد كبار المفسرين. وعلى الرغم من أن تاريخ موته ليس معروفاً على وجه التحديد، إلا أن هناك بعض المصادر التي ذكرت أنه ولد في عام ٥٨٥هـ الموافق ١١٨ م.

قام البيضاوي إلى جانب وظيفته قاضي للقضاة في شيراز، قام بإلقاء دروس العلم على عدد كبير من الطلاب. التزم الدقة الشديدة والصرامة في وظيفة القضاء، وتوجه بعد أن ترك هذه الوظيفة إلى تبريز وقضي ما تبقى من عمره في عبادة الله وتدوين آثاره. وافته المنية في تبريز عام (٦٨٥هـ) الموافق ١٢٨٦ م.[١]

و هذه بعض من آثاره:

أنوار التنزيل وأسرار التأويل،و**منهاج الوصول إلى علم الأصول**، و**شرح المحصول**.

كتب القاضي البيضاوي عدداً كبيراً من الآثار المتعلقة بكل علوم الإسلام تقريباً، بيد أن كتابه «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» هو الأثر الذي أكسبه الشهرة الأصلية ونال لقب «**العلَّامة**». لقد نال كتابه هذا شهرةً فاقت كل كتب التفسير الأخرى. لخص البيضاوي بمهارة في هذا الكتاب كل كتب التفسير التي سبقته، وأظهر أنه مفسر عظيم بحق بتفسيره الذي استند فيه إلى قواعد اللغة إلى جانب تأويل الآيات. وقد وصل عدد شروح وحواشي هذا الأثر الذي طُبع مرات كثيرة في العالم الإسلامي وأوروبا إلى(٢٥٠).

---

١ موسوعة وقف الديانة التركي الإسلامية

استفاد البيضاوي في تدوين كتابه من تفسير الزمخشري وفخر الدين الرازي إلى جانب كتاب «**المفردات في غريب القرآن**» للراغب الأصفهاني الذي أفاد منه بشكل أكبر. أفرد البيضاوي في تفسيره مكاناً لآراء المفسرين الذين سبقوه فأيد بعضها وذكر ضعف البعض الآخر.

٧. ابن كثير (٧٠١ – ٧٧٤هـ).

ولد أبو الفدا إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير الدمشقي في ٧٠١ هـ الموافق ١٣٠١م في قرية مجدل بجوار بُصرى التي تقع بالقرب من الشام. هاجر هو وعائلته إلى دمشق عام ٧٠٧ هـ وأتم حفظ القرآن في ٧١١ هـ. تلقى علمه الأوَّلي على يد أخيه الأكبر عبد الوهاب، وتلقى بعد ذلك علوم التفسير، والحديث، والفقه على يد علماء مشهورين كان من بينهم ابن تيميه. دوَّن وهو لا يزال في سن الشباب كتاب «**أحكام التنبيه**» ثم عرضه على أستاذه برهان الدين الفزاري الذي أُعجب به. تلقى ابن كثير بالإضافة إلى هذا دروس الحديث، والتاريخ، والقراءات، والكلام، والفقه. تأثر ابن كثير بشكل كبير بأساتذته برهان الدين الفزاري، وحماه يوسف المِزِّي، والذهبي، وابن تيميه. بدأ ابن كثير يدون آثاره وهو ما زال في سن الشباب، وأخذ يلقي الدروس في مدارس الشام الدينية. توفي ابن كثير الذي فقد البصر في أواخر حياته في الشام عام (٧٧٤ هـ) الموافق (١٣٧٣م).

اشتهر ابن كثير بلقب «**الحافظ المُحدِّث**». أُعجب الذهبي كثيراً بالآثار التي دوَّنها في شتى مجالات الحديث، وأطلق عليه لقب «**الفقيه المُفتي**».

و على الرغم من أن ابن كثير كان يتبع المذهب الشافعي، إلا أنه كان منفتحاً على آراء المذاهب الأخرى وتبنى كلام ابن تيمية الذي يتبع المذهب الحنبلي.

كان ابن كثير شخصاً أميناً موثوقاً به عند الحكام والأمراء والعلماء والناس. وكان الجميع يلتزمون فتواه في المسائل الدينية والسياسية.

ترك ابن كثير عدداً كبيراً من الآثار في مجالات الفقه والحديث والكلام والتفسير، ويُعتبر كتاب «**تفسير القرآن العظيم**» أهم أثر تركه في مجال التفسير، وهو الأهم في منهج التفسير بالرواية بعد تفسير الطبري. وقد أفرد ابن كثير في كتابه مكاناً لروايات المفسرين العظام أمثال: الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية.

قطعة للمطالعة

عبد الله بن عباس ﷺ

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يدعوه إلى مجالسته ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون ﷺ: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ﷺ؟

فقال لهم ﷺ: ذلكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول، ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر ﷺ: ما تقولون في قول الله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١)

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم.

فقال عمر ﷺ لابن عباس ﷺ: أكذلك تقول؟

قال: لا.

قال: فما تقول؟

قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله ﷻ له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك، واستغفره إنه كان توابا.

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

---

١ النصر، ١.

الأسئلة

أ- الأسئلة التقليدية

١. ما الدور الذي لعبه عبد الله بن عباس في علم التفسير؟
٢. ما هي السمات المُمَيِّزة لتفسير القاضي البيضاوي عن بقية التفاسير؟
٣. ما هي النقطة التي أولاها الطبري الأهمية في تفسيره؟
٤. وضحوا السمات التي تميز بها تفسير فخر الدين الرازي؟
٥. ما هو المجال الذي ركَّز عليه القرطبي في تفسيره؟

ب- اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١. أي مما يلي يُعد من تفسير الرواية؟

أ- تفسير الطبري.
ب- تفسير الرازي.
ج- تفسير الزمخشري.
د- تفسير القرطبي.
هـ- تفسير البيضاوي.

٢. من هو الصحابي الذي لُقِّبَ بدءاً من عصر الصحابة بـ "ترجمان القرآن"، والذي دعا له النبي حتى يفقه القرآن و يعي دقائقه؟

أ- عبد الله بن عباس.
ب- فخر الدين الرازي.
ج- الزمخشري.
د- ابن كثير.
هـ- الطبري.

٣. أثر من سماته المهمة؛ تناوله إعجاز القرآن الكريم من جميع نواحيه ، و بيان أصل الكلمات و التراكيب الواردة فيه. اذكر اسم هذا الأثر و مؤلفه؟

أ- الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
ب- فخر الدين الرازي – مفاتح الغيب.
ج- الزمخشري – الكشَّاف.
د- ابن كثير – تفسير القرآن العظيم.
هـ- القرطبي – الجامع لأحكام القرآن.

٤. "لم يتعصب المُفسِّر لمذهب المالكية الذي اتبعه، بل كان و على العكس من ذلك يتبنى الآراء التي يراها صحيحة من المذاهب المختلفة الأخرى،و أولى في تفسيره أهمية خاصة لتفسير آيات الأحكام لذا يُعد تفسيره من هذه الناحية تفسيراً للأحكام." من هو ذلك المُفَسّر؟

أ- القرطبي.
ب- فخر الدين الرازي.
ج- الزمخشري.
د- ابن كثير.
هـ- عبد الله بن عباس.

ج – أكمل الفراغات التالية :

أكمل الفراغات الموجودة بالجمل التالية بما هومناسب من الكلمات الموجودة بين القوسين:

(فخر الدين الرازي، ابن كثير، القاضي البيضاوي، التفسير الكبير، عبد الله بن عباس)

١. .... هو المفسر الذي كتب آثاراً كثيرة تتعلق بكل علوم الإسلام تقريباً، وأُطلق عليه لقب " العلّامة ".

٢. .... هو المفسر الذي اُشتُهِر بألقاب "الحافظ المُحدِّث" ، و "الفقيه المُفتى".

٣. دوَّن .... كتاب " أنوار التنزيل و أسرار التأويل ".

٤. يُطلق اسم .... على كتاب " مفاتح الغيب " لفخر الدين الرازي.

٥. .... هو ابن عم رسول الله ﷺ، و الصحابي الذي تضلَّع في علوم التفسير والفقه وعرف بمكانته بين رواة الحديث على كثرة أعدادهم.

د – زاوجوا بين أسماء المفسرين التي وُضعت بشكل غير مرتب و أسماء الكتب الخاصة بهم:

اسم المُفَسِّر	الرقم	اسم التفسير	الرقم
عبد الله بن عباس	١	الجامع لأحكام القرآن	
جار الله عمر الزمخشري	٢	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	
فخر الدين الرازي	٣	الكشّاف	
محمد البيضاوي	٤	تفسير القرآن العظيم	
محمد بن أحمد القرطبي	٥	أنوار التنزيل و أسرار التأويل	
ابن كثير	٦	مفاتح الغيب	
محمد جرير الطبري	٧	تفسير ابن عباس	

كلمات متقاطعة

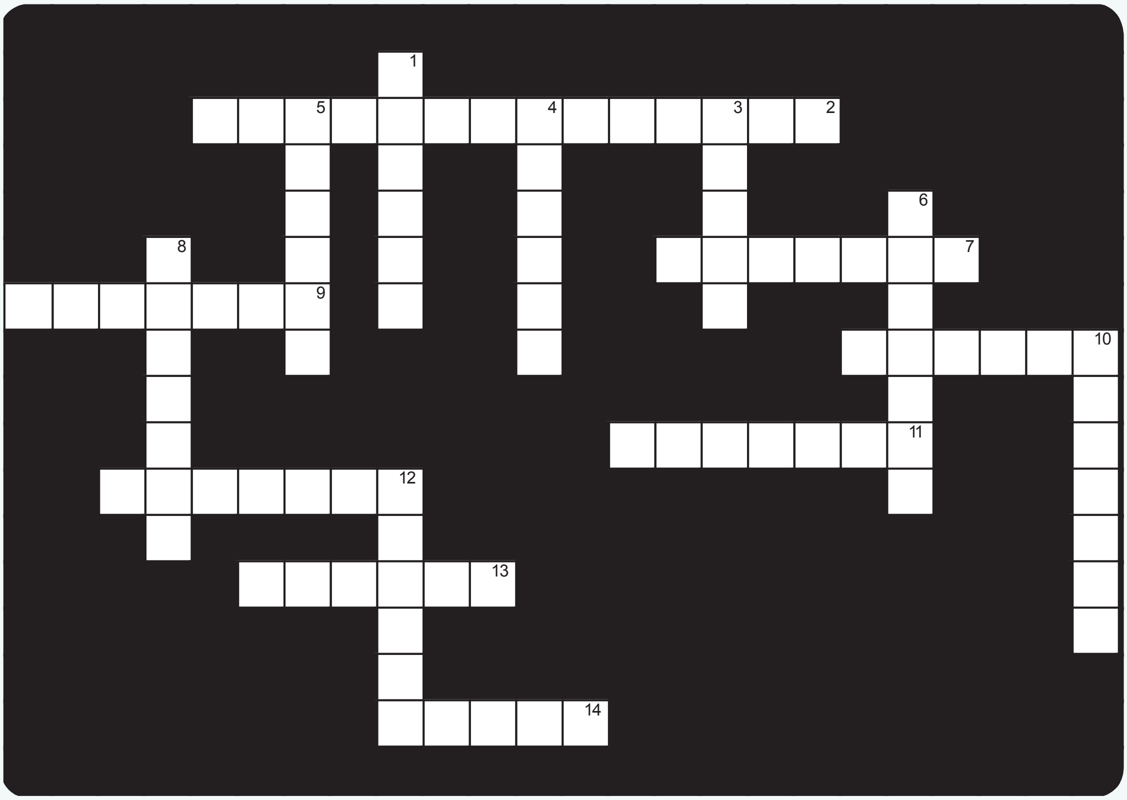

1. زوجة رسول الله ﷺ وخالة عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الوقت ذاته.
3. مركز العلم في الأندلس.
4. مؤلف كتاب " جامع البيان في تأويل آي القرآن ".
5. تفسير الزمخشري الشهير.
6. المكان الذي ولد فيه البيضاوي.
8. التفسير الذي يوضح آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم.
10. المذهب الذي اتبعه القرطبي في العمل.
12. اسم يُطلق على العالم الذي يقوم بتفسير القرآن.

2. المُفَسِّر الشهير ومؤلف كتاب " أنوار التنزيل و أسرار التأويل ".
7. نسبة إلى قرطبة.
9. لقب أُطلق على فخر الدين الرازي.
10. عالم الفقه.
11. جمع كلمة " النور ".
12. جمع كلمة " السر ".
13. اسم يُطلق على عالم الحديث.
14. اسم القرية التي ولد فيها الزمخشري.

الوحدة السابعة

7

أصول التفسير

موضوعات الوحدة

١. العلم.
٢. الإيمان والعبادة.
٣. الأدب والخُلق الحميد.
٤. الإخوَّة.
٥. الإنفاق والتصدق.
٦. العبادات- الصوم.
٧. الجهاد.
٨. الصبر والإمتحان.
٩. الرزق الحلال.
١٠. التَفَكُّر.
١١. الموت والإستعداد له.
١٢. الدعاء.
١٣. الذِكر.
١٤. التقوى.
١٥. تبليغ الرسالة والإرشاد .
١٦. سيدنا رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة.

أصول التفسير

١- العلم (سورة الزمر، الآيات ٨-٩)

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

تفسير الآيات:

الآيتان ٨-٩: تعرض الآيتان لبنية الشخصية عند نموذجين من البشر؛ هما: الذين يعلمون والذين لا يدركون الحقيقة (أي الذين لا يعلمون). وترسم بذلك لوحتين مختلفتين يقابل كل منهما الآخر تماما:

يتحدث الجزء الأول من هذه اللوحة عن شخص واحد. هذا الشخص تنزل به المصائب المختلفة مثل أن يُصاب بمرض أو يحل به القحط. فيرى أن المحن قد أحاطت به من كل جانب. ويحس بضيق صدره وتتحرج روحه. حينئذٍ يتوجه ذلك الشخص على الفور إلى ربه ويرفع يده بالدعاء إلى الله ﷻ. يتوجه إلى الله ﷻ وحده وقد أدرك أنه لن يخلصه أحد مما نزل به إلا الله ﷻ. يحتل الشخص نفسه الجزء الثاني من اللوحة، ولكنه يظهر هذه المرة وقد تخلص مما أحل به من مصائب، بل وحل مكانها الرغد وظهرت عليه نعم الله ﷻ. فحل الأمن مكان الخوف والشبع مكان الجوع والسرور مكان الحزن والاضطراب. نرى في هذا الجزء أن حال الرجل قد تغير مع تغير الظروف المحيطة به.

نرى في هذه اللوحة أن الإنسان يرجع إلى فطرته المجردة عندما يمسه الضر وهي التي لوثتها رسوبيات الحياة؛ فيعود إلى ربه ويتضرع إليه مخلصاً له العبودية وحده وقت البلاء، وتذكر أنه لا أحد سوى الله ﷻ يقدر على رفع هذا البلاء الذي حلّ به. يجري هذا الشخص الذي نسي كل شيء إلى الله ﷻ العلي القدير.

أما الآية التاسعة فترسم لوحةً لشخصية المؤمن الحقيقي الذي يمتلئ قلبه دائماً بالخوف من الله ﷻ وخشيته، الذاكر لله ﷻ المُتذكر له في السراء والضراء، الذي يقضي ليله قياماً وسجوداً، الذي يعيش في الدنيا وفي قلبه هم الآخرة، المؤمن الذي يبتغي من ربه أن ينعم ويحسن عليه. يمتلك الشخص قلباً معلقاً بالله ﷻ ويجعله يدرك حقائق الوجود ويستقي المعلومات السليمة. ستحرك هذه اللوحة الأحاسيس الشفافة العميقة لدى الإنسان، كما أنها المقابل التام للوحة القبيحة غير ظاهرة المعالم التي رسمتها الآية السابقة.

يضع القرآن الكريم كل من اللوحتين في مقابل الآخر ويعقد مقارنةً بينهما في قوله:

﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [١]

لأن العلم الحقيقي هو المعرفة وإدراك الحقيقة. ويعمل هذا العلم على توعية القلب وتكوينه رباطاً قوياً متيناً مع القوانين الكونية الثابتة التي لا تتغير. بتعبير آخر ينقل من الأثر إلى صاحب الأثر. فلو نقل أي علم من العلوم الإنسانَ إلى الله ﷻ الحاكم المُطلق، فحينئذٍ يُعَد هذا العلم علماً حقيقياً. فالعلم ليس هو المعلومات المشتتة التي تمتلئ بها الأذهان، وتصل بالإنسان إلى حقيقة الشيء. يمكن القول أنه لا سبيل إلى الوصول إلى العلم والمعرفة الحقيقين كما يبين لنا القرآن الكريم هنا، إلا بالخضوع لله ﷻ وإخلاص العبادة له، والوصول بحساسية القلب إلى الخوف من الآخرة، والتعلق برحمة الله ﷻ وإحسانه، والتذكر دائماً بخوف وخشية أن الله ﷻ مُطَّلع علينا يسمعنا ويرانا في كل وقت. بهذا فقط يمكن للمرء أن يدرك الحقيقة.[٢]

ولا يتفكر في هذه الحقائق ويتمكن من إدراك ما ترمي إليه إلا " أصحاب العقل السليم ". يعرف هذه الحقيقة فقط العقلاء أصحاب البصيرة النافذة الذين يدركون حقيقة الأشياء، ويأخذون العبرة من الأشياء التي يرونها ويعرفونها، الذين يتذكرون الله ﷻ في كل شيء يرونه ويلمسونه؛ المحظوظون الذين لا ينسون الله ﷻ واليوم الذي سيلقونه فيه.

ينبغي على المرء أن ينشغل أيضاً بالعلوم الطبيعية في الكون. لأنه كل علم من هذه العلوم وسيلة يصل بها الإنسان إلى المعرفة الإلهية. وإن لم يتحقق هذا فلن يكن بمقدورها أن تنفذ إلى ما وراء الستار. فعلم الإنسان يزداد في الظاهر فقط، ولكن إن لم يحدث أي ارتقاء في الشكل المعنوي، فهذا يعنى أن هناك ثمة وضع خطير يحدث. والحال أنه كلما زاد علم الإنسان، وجب أن تزيد معه بشكل مواز تقواه وإجلاله، وخشيته لله تعالى. وإن وجب على الإنسان أن يعرف كيف يتعرف على الله ﷻ، فأولى بالعلماء أن يقوموا هم بهذا. فهم الذين يحملون في قلوبهم تعظيماً ومحبةً لا حدود لها لله تعالى. يقول الله جل شأنه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٣]

و جاء في حديث رسول الله ﷺ كذلك:

«أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له» [٤]

---

١ الزمر، ٩.

٢ انظر: الظلال، جـ٢٣، ١٧-١٨.

٣ فاطر، ٢٨.

٤ مسلم، الصيام، ١١٠٨/٧٤.

دخل الرسول الأكرم ﷺ على شاب وهو بالموت فقال: «**كيف تجدك؟**»

قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ:

«**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**»[١]

تحدث ذو النون المصري ذات يوم عن "أي الأحوال أغلب على قلب العارف السرور والفرح أم الحزن والهموم؟" فقال:

"... وأنا أضرب لك مثلاً: اعلم رحمك الله أن مثل العارف في هذه الدار مثل رجل قد توج بتاج الكرامة وأجلس على سرير في بيت، ثم علق من فوق رأسه سيف بشعره، وأرسل على باب البيت أسدان ضاريان، فالملك يشرف كل ساعة بعد ساعة على الهلاك والعطب فأنى له بالسرور والفرح على التمام؟.

ثم استطرد قائلاً:

"أما السيفان المعلقان فهما كل أحكام الدين. والأسدان اللذان عند الباب فهما أوامر الله تعالى ونواهيه."[٢]

٢- الإيمان والعبادة (سورة البقرة، الآيات ٣-٥)

تستمر آيات القرآن الكريم في بيان الصفات المهمة للمتقين والتي يمكن الاستفادة منها بواسطة هدي القرآن الكريم:

﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[٣]

تفسير الآية:

الآية رقم ٣: الإيمان بالغيب هو: أو ما يوصف به المتقون. الإيمان هو تصديق بالقلب أي القبول بصحة الشيء قلباً وتأييداً له باللسان. وإن لم يصدق القلب فلا وجود للإيمان. ولو وُجد التصديق، وجاء سلوك الإنسان وتصرفه مخالفاً لذلك، كان ذلك إشارة على ضعف الإيمان. ولا يمكننا بإيمان كهذا أن نعيش المعنى الحقيقي للإسلام، كما يصير من الصعب علينا أن نصل إلى السعادة الأبدية التي وعد بها الدين. والكافر في نظر الدين هو الذي لا يقيم أسس الإيمان ولا يصدقها لسانه؛ والمنافق هو الذي يتحدث بلسانه عن أسس الإيمان وتصديقه لها على الرغم من إنكار قلبه لها؛ أما الشخص الذي يأتي عمله مخالفاً لأسس الإيمان على

---

١ الترمذي، الجنائز ١١/ ٩٨٣؛ ابن ماجة، الزهد، ٣١/ ٤٢٦١.

٢ موسوعة الأولياء، ١، ٢٣٣-٢٣٤.

٣ البقرة، ٣.

الرغم من تصديق قلبه ولسانه كلاهما لها، فيُعَد مؤمن ولكنه فاسق. إن الإيمان الحقيقي هو الشرط الوحيد للخلاص من جهنم ودخول الجنة وهو الأمر الذي يؤكد عليه القرآن في عدد كبير للغاية من الآيات.

"**الغيب**" في اللغة، هو الأشياء التي لا تُرى بالعين على الرغم من أن لها وجود حقيقي لا شك فيه. والمقصود من "**الغيب**" في الآية؛ الأحداث والوقائع الضرورية للإيمان التي أخبر الله ورسوله بوجودها أو بتحقق حدوثها في المستقبل على الرغم من عدم قدرة الإنسان على إدراكها بحواسه.

والغيب هو كل ما يتعلق بالله تعالى والملائكة والقدر والقيامة والآخرة والجنة وجهنم. ويعرف رسول الله ﷺ الإيمان بقوله:

«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١]

والملاحظ هنا أن كل ما ذكره رسول الله ﷺ من عالم الغيب.

يُفهم من الآية أن قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...**﴾ تساوي في المعنى " الذين يؤمنون بالغيب أيضاً " وهذا يعنى أن المؤمن الحق هو الذي يؤدي ما عليه من واجبات يقرها الإيمان السر أو القلبي بنفس الشكل الذي يؤديها فيه في العلن. لأن الأساس هو المداومة على الإيمان. أما مع المنافقين فالأمر يختلف. لأنهم يقولون:

﴿**وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[٢]

و الأساس أنه لا يمكن رسم حدود لعالم الغيب. وعلى الرغم من هذا فمن الممكن الحديث عن نوعين من الغيب مختلفين في المعنى؛ الأول، هو الغيب الذي لم يخبر به الله تعالى أي من خلقه، واختص ذاته فقط به وهو ما يطلق عليه اسم الغيب المُطلق:

﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[٣]

أما النوع الآخر، فهو الغيب الإضافي الذي يختص به الله تعالى من يشاء من عباده ويستره عن الآخرين. وهذا يعنى أن مساحة الغيب تختلف هنا من كائن لآخر. بيد أنه يُشتَرط على كل مؤمن أي أن القاسم المشترك بين المؤمنين هو أن يؤمنوا بالخصوصيات التي ليست بمقدور الإنسان إدراكها بحواسه على الرغم من إخبار القرآن الكريم والسنة بشأنها. وفي الآية التي نحن بصددها إشارة إلى هذا النوع من الغيب.

---

١ مسلم، الإيمان، ١-٥.

٢ البقرة، ١٤.

٣ الأنعام، ٥٩.

على الرغم من أن الله تعالى هو الظاهر بتجلياته وتصريفه للأمور[١] ، وعلى الرغم من أنه أقرب لعباده من حبل الوريد[٢] ، وأنه جل شأنه يحول بين المرء وقلبه[٣] ، والخلاصة انه على الرغم من أن الله تعالى قد أحاط بالناس من كل جانب[٤] ، إلا أنه جل شأنه من الغيبيات فلا تدركه الأبصار[٥] . وكذلك قال أهل العرفان " أن الله تعالى ظاهر بدرجة أصبح معها من شدة ظهوره غيباً. "

لا يمكن للإنسان أن يحصي الموجودات التي لا يراها ولا يحس بها نسبةً إلى تلك الظاهرة إليه التي يراها ويحس بها. والشخص الذي يقبل بهذه الحقيقة هو الذي أدرك عقيدة الإيمان بالله وبذلك يكون قد فهم إحدى الغايات والمعاني العميقة للحياة. أما الفكر القائل أن الشيء الموجود هو ما تراه العين فقط، ويشعر بذلك أنه يرى كل شيء، فمن شأنه أن يُجمِّد مُخيلة الإنسان ويحرمه من سعة الأفق. من هنا فالإيمان بالغيب بمثابة إكسير الحرية الذي يرفع العوائق الإضافية من أمام فكر الإنسان ومُخيلته. ولأن «الغيب» من أساسيات الإيمان لذا فهو يُكسب عمق الإيمان عند المؤمن بُعداً أبدياً. لهذا السبب ذكر القرآن الكريم الغيب على وجه الخصوص من بين الأشياء التي يجب على الإنسان الإيمان بها. لأن الإيمان بالغيب له تأثير قوي في إصغاء العبد لدعوة النبي ﷺ، والتزامه أوامر الله ﷻ وتجنب نواهيه. أما أولئك الذين لا يقبلون بوجود عالم آخر غير ذلك العالم المادي الذي يعيشون فيه، فإنهم بذلك يحولون وجوههم عن دعوة الإيمان بالله جل شأنه وبالآخرة.

الوصف الثاني للمتقين، هو أداؤهم فريضة الصلاة بشكل سليم. وقد وردت هذه النقطة في الآية الكريمة في قوله تعالى " **يقيمون الصلاة** ". لقد وردت لفظة " **الصلاة** " في القرآن الكريم إلى جانب معنى عبادة الصلاة بمعاني مختلفة هي الدعاء والمدح والقراءة والرحمة. ويحتوي معنى عبادة الصلاة على كل هذه المعاني تقريباً. فالقراءة تكون في القيام في الصلاة والثناء يكون في القعود والدعاء في النهاية، أما الرحمة فتنزل على الذي يؤدي هذه الفريضة.

يُعنى بكلمة " **إقامة** "؛ أي المحافظة على الشيء قائماً أي إدامته. أما إقام الصلاة فهو أداؤها بطريقة سليمة. أي إقام الصلاة في وقتها مع مراعاة آدابها وأركانها على الشكل الذي علَّمه رسول الله ﷺ، وإظهار الرغبة تجاهها ومراقبة الجوانب الشكلية لها والجوانب القلبية والروحية من خشوع وتنظيم من ناحية أخرى. وفي تعبير " **إقام الصلاة** " هنا إشارة إلى أهمية إقام الصلاة في جماعة وتوفير الشروط اللازمة إيفاءها.

---

١ انظر: الحديد، ٣.

٢ انظر: ق، ١٦.

٣ انظر: الأنفال، ٢٤.

٤ انظر: الإسراء، ٦٠.

٥ انظر: الأنعام، ١٠٣.

شُرع للصلاة مع بداية الإسلام، وفُرضت الصلاة في شكل خمس أوقات ليلة المعراج التي عاش فيها النبي ﷺ أسمى أوقاته فضيلةً.[١]

عبادة الصلاة هي عماد الدين وعموده الفقري. تكتسب الصلاة التي هي أساس لا يمكن الرجوع عنه من أجل بث الحياة في الحياة الذهنية والقلبية والفعلية للفرد، تكتسب الدرجة نفسها من الأهمية لكونها عنصر رئيس فاعل من أجل إنشاء وإصلاح حياة المجتمع. ويشير النبي ﷺ إلى هذا الدور للصلاة في قوله:

«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، ... »[٢]

الصفة الثالثة للمتقين، إنفاقهم مما رزقهم الله ﷻ. ينفق المتقون من كل ما أنعم عليهم الله تعالى من رزق فيما يفيد الغير ابتغاءً لوجه الله تعالى. و"**الرزق**" هو النعم التي يسد بها كل المخلوقات جميه حاجاتهم المادية والمعنوية. وكما نُطلق على المأكل والمشرب والملبس والمال ما شابهها من نعم مادية اسم رزق، فيمكن كذلك أن نعد العلم والإيمان والأخلاق من الرزق المعنوي للإنسان.

الإنفاق، هو بذل العبد المال ونحوه مما رزقه الله ﷻ ابتغاء مرضاته بما يحقق الفائدة لعائلته وأقربائه والمسلمين الآخرين وحتى لسائر المخلوقات الأخرى. وقد اُستخدم مفهوم الإنفاق في أحد المواضع التي ذكر فيها في القرآن الكريم على شكل "في سبيل الله ﷻ" والمقصود به هنا أنواع الإنفاق التي تهدف إلى المحافظة على دين الله ﷻ ونشره ورفعته.

والإنفاق المقصود في الآية هو الإنفاق الفرض والإنفاق النافلة كذلك. أي الزكاة المفروضة وبذل النفقات الضرورية لأجل العائلة. أما كل ما هو عدا ذلك من وجوه الإنفاق التي تستهدف وجوه الخير فتدخل تحت مادة النافلة.

أما «**الإنفاق**» من ناحية الرزق المعنوي، فهو سعي الفرد كي يُفيد الآخرين مما أنعم الله ﷻ عليه من علم وعرفان وخلق حميد. قال رسول الله ﷺ:

«علم لا ينفع، ككنز لا ينفق منه»[٣]

وقد قال أهل التصوف انطلاقاً من هذا المعنى أن الآية الكريمة بها إشارة إلى ضرورة أن ينفق المتقين من نور ما حبَّاهم الله ﷻ به من أحوال معنوية وعلم ومعرفة على الآخرين.

---

١ انظر: مسلم، الإيمان ٢٥٩.

٢ الترمذي، الإيمان، ٨/ ٢٦١٦.

٣ أحمد، مُسند، ٢، ٤٩٩؛ الهيثمي، ١، ١٨٤.

تضم آيات القرآن الكريم في جمل قصيرة حصيلة واسعة غنية من المعاني. مثال ذلك إشارته جل شأنه في الجزء أو البعض ﴿... **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ من الآية التي نحن بصددها إلى عدد من النقاط:

١. يجب على الإنسان أن ينفق ما يزيد عن حاجته وليس كلما يملك. فقد أشارت الآية الكريمة إلى البعضية هنا باستخدام الأداة " مِنْ ".

٢. يُشترط أن يكون الإنفاق من مال الإنسان الخاص وليس من مال الآخرين. وتعبر كلمة " **رَزَقْنَاهُمْ** " عن هذا الشرط. وفي الآية إشارة إلى ضرورة أن يكون الإنفاق في سبيل الله ﷻ وليس للتفضل. لأن المعنى المراد هنا " نحن من رزقكم هذا الرزق. والحق أنني استخلفتكم فيه. لهذا لا يصح وأنتم تعطون عبادنا أن تتفضلوا عليهم من رزق نحن من أنعم به عليكم. "

٣. استخدام الفعل " يُنْفِقُونَ " في صيغة المضارع، يوطد لدى الإنسان الشعور بأن هذا الإنفاق دائم، ويعبر عن التعود. وتشير هذه العبارة في الوقت نفسه إلى ضرورة أن لا يكون الإنفاق إلا في أهله ويكون لسد حاجاتهم الضرورية، لذلك فالأشخاص الذين يبذلون المال ونحوه في مواضع لا داعي لها أو غير مشروعة، لم ينفقوا الإنفاق الذي تتحدث عنه الآية الكريمة. لأن كلمة " الإنفاق " هنا قد أُستخدمت بمعنى البذل في المكان الصحيح ولتلبية الحاجات الأصلية.[1]

رأينا في الآية الكريمة أن الإنفاق الذي تأمر به الآية الكريمة وتوصي بإتباعه هو الإنفاق بمعناه الواسع. لهذا السبب تدخل علماء التصوف ببعض الإيضاحات الخاصة بإنفاق الناس الذين يتفاوتون في مراتبهم. من هذه الآراء:

إنفاق الأغنياء لا يكون إلا من أموالهم، وينبغي عليهم ألا يغاروا على أموالهم من أصحاب الحاجات. إنفاق العابدين من أنفسهم، وهم لا يتوانون عن خدمة أصحاب الحاجات. إنفاق العارفين من قلوبهم وهم لا يتركون من يقف ببابهم محروماً من الفيض الإلهي الذي أنعم به الله تعالى عليهم، أما إنفاق العاشقين فأمره يختلف. ويوضح مولانا جلال الدين الرومي أمر إنفاق العاشقين في هذين البيتين على النحو التالي:

الإحسان على الفقير، أمر يليق بأهل السخاء

بذل النفس في سبيل الحبيب أمر يليق بالعاشقين

لقد أُستخدمت في اللغة العربية مفاهيم مختلفة للتعبير عن درجات الإنفاق المهمة. المرتبة الأولى هي " **السخاء** "، ويُطلق عليها اسم " **أصحاب السخاء** "، على الذين يقتطعون جزءاً من أموالهم يعطونه ويحتفظون لأنفسهم بالجزء الآخر. المرتبة الثانية، هي مرتبة " **الجود** ". وأهل الجود هم الذين يوزعون كثير من أموالهم

١ إشارات الإعجاز، ص. ٤٧.

ويحتفظون لأنفسهم بالقدر القليل. أما المرتبة الأخيرة للإنفاق ومنتهاه فهي مرتبة " **الإيثار** ". ويُعرف أهل الإيثار بأنهم الذين يحتفظون لأنفسهم بالقدر الضروري فقط لاستمرار حياتهم، ولا يتوانى أي منهم عن إعطاء الآخرين حتى الشيء الذي يحتاجون إليه، وهم الذين يؤثرون على أنفسهم؛ أي يفكرون في الآخرين أكثر مما يفكرون في أنفسهم.

إن توجيه القرآن الكريم الأمر بالإنفاق له أهمية كبيرة للغاية من ناحية الفرد والمجتمع على حد سواء. فمن الضروري القضاء على التفاوت بين الطبقات من النواحي المادية ومستوي الرفاهية، حتى تصبح الحياة الإجتماعية أكثر انتظاماً، وتتحقق العدالة الإجتماعية في المجتمع. ويجب على الأغنياء ألا يبتعدوا عن الفقراء بدرجة تقطع صلتهم بهم تماماً. إن الإنفاق بكل وجوهه وعلى رأسها الزكاة، وتطبيق مبدأ التكافل بين الناس هو الأسلوب الأمثل للحفاظ على الترابط بين الطبقات في المجتمع.

ولا يغيب عن الأذهان الحكمة من فرض الزكاة وتحريم الربا، فلا تتقطع الروابط بين طبقات المجتمع إلا عندما لا يمتثل الناس للأوامر الإلهية بشكل حرفي دقيق. وبدلاً من أن يشعر أبناء الطبقة السفلى بالاحترام والطاعة والمحبة تجاه أفراد الطبقة العليا، تتعالى صيحات النفور والحقد وتتأجج نار الحسد تجاههم. وبالطريقة نفسها ستنقلب الأمور فبدلاً من أن يُظهر أصحاب الطبقة العليا الرحمة والإحسان واللطف تجاه نظرائهم من أبناء الطبقة السفلى، سيمطرونهم بنار الظلم والإحتقار. خلاصة القول أن تأمين السلام والطمأنينة بين الطبقات الإجتماعية، يرتبط بقيام كل فرد في المجتمع بإيتاء الزكاة التي هي واحدة من أساسيات الإسلام الرئيسة وإعطاء الصدقة بالإضافة إلى أشكال التكافل التي ينبغي أن تُؤدَّى على أفضل وجه.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [١]

تفسير الآية:

الآية الرابعة: السمة الرابعة للمتقين؛ أنهم يؤمنون بالقرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى التي نزلت قبله. لأن الأنبياء من سيدنا آدم وحتى سيدنا محمد ﷺ بلَّغوا الناس نفس الدين ونفس الرسالة، فأعطي الوحي الذي نزل في شكل كتاب أو صحيفة أسس الدين نفسه.

ولم يأتي الوحي أو الرسالة الإلهية بوصايا ينفصل كل منها عن الآخر، بل جاء كل منها مصدقاً لما قبله. فكان الله سبحانه وتعالى ينزل أديانا ويرسل أنبياءً جدد كلما تقدمت الحياة بالإنسان وازدادت ثقافته وحضارته تطوراً فيجدد بعض الأحكام العملية التي نزلت لتلبية احتياجات الأمم السابقة. وكانت النهاية

١ البقرة، ٤.

عندما جاء الإسلام مع نبينا والقرآن الكريم متتماً لهذه السلسلة. متتماً القرآن متتماً لهذه السلسلة. اما نحن فنؤمن بكل الأنبياء ملتزمين بما جاءت به الآية الكريمة:

﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ .... ﴾[1]

و المقصود هنا من قوله تعالى " **ما أُنْزِلَ اِلَيْكَ** "، أى ما نزل من القرآن حتى ذلك الوقت وما سوف ينزل من آيات بعد ذلك، بالإضافة إلى سنة نبينا ﷺ التي تأتي مُفسِّرةً ومُبيِّنةً للقرآن الكريم. وينبغي على المؤمنين أن يؤمنوا بهذا الأمر بكل تفاصيله وجوانبه وأن يلتزموا أوامر القرآن ويجتنبوا نواهيه ويعملوا بمقتضاه. أما قوله تعالى " **مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** " فيقصد به الوحي والكتب السماوية الأخرى التي نزلت على الأنبياء السابقين. لذا كان الإيمان بهذه الكتب بشكل إجمالي أي كوحدة واحدة فرض على كل مسلم. ومع هذا فالله سبحانه وتعالى لم يلزمنا بما ورد في هذه الكتب من أحكام، ولا بضرورة الإلمام بما يحيط بها من تفصيلات.

تلفت الآية الكريمة نظرنا كذلك إلى واحدةٍ من الخصوصيات المهمة؛ هي أهمية المعلومة التي تستند إلى الوحي في تعلم الإنسانية نمطاً حياتياً سليماً تعيش به. ولا يُنَزِّل الله تعالى هذه المعلومة على الناس واحداً واحداً بل تتنزل على الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه.

لهذا السبب لا يمكن للإنسان أن يسلك حياةً قائمة على الإستقامة إلا من خلال الكتب التي نزلت على الأنبياء. ولأنه لا يوجد كتاب إلهي آخر لم يتعرض للتحريف غير القرآن، لذا فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في حياة كتلك، ومن ثم يجد الذين يريدون أن يهتدوا إلى الطريق القويم، يجدوا أنفسهم مجبرين على الإيمان بالقرآن وإتباع ما جاء به.

السمة الخامسة المُمَيِّزة للمتقين، هي إيمانهم باليوم الآخر إيماناً يقينياً من دون شك أو تردد. فهم يؤمنون إيماناً قاطعاً لا يقبل الشك بأن هذه الدنيا الفانية سوف تنتهي في يوم من الأيام، وأن الناس سيُبعثون من جديد للحساب، وأن منهم من سيدخل الجنة ومنهم من سيدخل جهنم حسب أعمال كل فريق.

"**الآخرة**" هي "التي تأتي بعد الأولى". أي أن الآخرة تأتي بعد انتهاء الحياة الأولى أي الدنيا. أما "الآخرة" في الآية ﴿.... **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** .... ﴾[2] فهي صفة للدار الأبدية. و"اليوم الآخر" هو الذي لا يعقبه غد.

اليقين، هو المعرفة القاطعة بالشيء. والإيمان التام انطلاقاً من الدراسة والدلائل اللازمة بشيء مؤكد بعيد عن الشك والاحتمال أو التردد. ولليقين ثلاث درجات هي؛ المعرفة والرؤية، وإدراك الحقيقة.

١ البقرة، ٢٨٥.
٢ العنكبوت، ٦٤.

فمعرفتنا أن أهل الإيمان سيدخلون الجنة هو " **علم اليقين** "، ورؤيتنا للجنة هو " **عين اليقين** "، أما دخول الجنة والتمتع بما فيها من نعيم فهو " **حق اليقين** ".[١]

يقتضي الإيمان بالآخرة الإستعداد وإعداد العُدَّة لها. فالإيمان اليقيني بوجود الثواب والعقاب هو الذي يدفع بالشخص كي يقوم بأعمال الخير التي تقيه العذاب والعاقبة الحزينة، وتجلب له النعيم. كما أنها تُطَهِّر حياته القصيرة من الأمور التي لا فائدة منها، وتجعله يتجه لتقييمها بشكل له مغزى يحصل منه على أكبر ربح ممكن. إن الإيمان بالآخرة هو إحدى العناصر الأساسية كي يعيش الناس حياة التدين، ويقيموا نظاماً دنيوياً صحياً. الدنيا زائلة، أما الآخرة فهي حياة الخلود. ومن العبث أن نبحث عن السعادة الدائمة في الدنيا. فالسعادة التي لا نهاية لها هي سعادة الآخرة. ولا بد للعبد أن يجد السُبُل المؤدية لتلك السعادة، ولا ينخدع بالدنيا الفانية وخيالاتها الجوفاء.

٣- الأدب والخُلق الحميد (سورة آل عمران، الآيات ١٣٣-١٣٦)

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

تفسير الآيات:

الآية رقم ١٣٣: " **سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة** " أي " سارعوا إلى عمل الخيرات التي تضمن لكم مغفرة ربكم ومن ثم دخول جنته ". ولا يتحقق ذلك إلا بالتوبة إلى الله والإستغفار، والإلتزام بأوامره والامتناع عن نواهيه. ويوضح التعبير " **جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ** " بشكل تمثيلي مدى اتساع الجنة وعظم حجمها.

وجاءت الآية **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ....﴾**[٢] لتفيد التوضيح كذلك. وتذكر الروايات أن رسول هرقل سأل رسول الله ﷺ، وقال:

١ انظر: الراغب، المفردات، مادة «يقين».

٢ الحديد، ٢١.

" إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟"

فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟**»[١]

يوضح الحديث التالي كيف كان الصحابة الكرام في تسارعهم لدخول الجنة أسوة حسنة بالنسبة إلينا:

حث رسول الله ﷺ أصحابه على الجهاد في بدر وذكّرهم بالجنة. فلما اقترب العدو قال رسول الله ﷺ :

«**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**»

فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟

قال: «**نعم**».

قال: بخ بخ.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ**»

قال: لا. والله! يا رسول الله! إلى رجاءه أن أكون من أهلها.

قال: «**فإنك من أهلها**».

فأخرج تمرات من قرنه. فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتل حتى قتل.[٢]

يدعو الحق سبحانه وتعالى عباده إلى جنة لا يمكن إدراك اتساعها وحجمها بالعقل ويبين أنه أعد هذه الجنة من أجل الأتقياء. والتقوى هو خوف العبد من الله ﷻ ومراقبته. بيد أن حس التقوى القوي يمكنه أن يدفع بالإنسان كي تتخلص نفسه المولعة بالفترة بالمال والبخل، وتجعله ينفق في سبيل الله ﷻ. لأن التقوى حالة لطيفة وعميقة لأبعد درجة من الشعور تطهر الروح من الأوساخ لتجعلها براقة لامعة، وتخلصها من كل القيود والأغلال. لهذا السبب أنعم الله تعالى بالجنة على عباده المتقين فقط دون غيرهم.

الآية ١٣٤: تعبر لفظة " **السَّرَّاءِ** " الواردة في الآية عن الأحوال التي يُعطي فيها السرور في العادة، أما لفظة " **الضَّرَّاءِ** " فتدل على المواقف التي ينزل فيها الضر والأزمات. و" **الْغَيْظَ** " هو الغضب الذي يشعر به الإنسان تجاه شيء لا يلقى قبولاً لديه. أما " **كَاظِمِ الْغَيْظَ** " فهو الذي يملك نفسه عند الغضب، ولا يهب للإنتقام على الرغم من توافر القدرة لديه على الإنتقام من الأشخاص الذين أساؤا إليه، فيلجأ بديلاً عن هذا إلى الصبر ولا يبدو في حالة من الضجر.[٣]

---

١ أحمد، المُسند، جـ٤، ٧٥.

٢ البخاري، المغازي، ١٧؛ مسلم، الإمارة، ١٤٥؛ ١٤٥؛ الموطأ، الجهاد، ٤٢.

٣ الطبري، جـ٤، ١٢٤.

في البداية يلفت انتباهنا هنا ثلاثة صفات مهمة يتصف بها أهل الجنة:

أ. أهل الجنة يستمرون في العطاء في كل الأحوال؛ في السعة وضيق اليد، في الثراء والعدم، في السرور والغم، فلا تأخذهم الأنانية والتكبر في الرغد والسرور، وبالشكل نفسه لا تُنسيهم المحن والضيق أن يعطوا ويتصدقوا. فقلوبهم غنية، يفعلون الخير باستمرار. ويكفي أن نشير في المثال كيف كان الرسول الأكرم ﷺ أجود من الرياح المرسلة في كرمه وسخائه:

جاءه رجل فسأله، فقال له: ما عندي شيء، ولكن ابتعْ عليَّ، فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال له عمر ﷺ: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه! فكره النبي ﷺ ذلك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم ﷺ، وعُرف البشر في وجهه، وقال: بهذا أُمِرْتُ.[1]

و يشرح لنا المثال التالي بشكل أفضل كيف أن الإنفاق حال موقوف على سخاء القلب وليس له علاقة بسعة في الرزق أو ضيق أو بمال وثروة:

ضرب زلزال كبير دولة باكستان في الثامن من أكتوبر عام ٢٠٠٥، توفي على إثره أكثر من سبعين ألف شخص، وظل من نجوا من الموت يعانون الجوع والفقر. فتنازل طفل تركي مسلم عن نصف ما لديه من مال في خطاب أرسله يوم ٢٤ نوفمبر وضرب بذلك مثالٌ على قمة الإيثار، وقد جاء في خطابه:

"أنا طفل فقير. ليس عندي أب، وأمي مريضة. لا نملك من المال سوى ليرتين نشتري بها الخبز، أرسل إليكم بإحداها. لأنني وجدت اليوم خبزاً بين القمامة سنتناوله في الإفطار مساءاً. اشتروا بهذه الليرة خبزاً تُطعمون به الأطفال الذين تضرروا من الزلزال. هذا مال حلال. لم أستطع أن أرسل كل ما لدي من مال لأنني سأشتري به طابع بريد. أعتذر لكم. "

يبين لنا رسول الله ﷺ أهمية السخاء من أجل دخول الجنة على النحو التالي:

«السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل» [2]

ب. يكظمون الغيظ ويرتفعون بقوة معنوية تُوَلِّدها التقوى إلى أفق أسمى من مستوى رغبات النفس الملحة، وبذلك يكتسبون قوة روحانية عظيمة تجعلهم ينجحون في التغلب على الغضب. وقد جاء في الحديث الشريف ليبين فضيلة التغلب على الغضب كما يلي:

---

١ الهيثمي، جـ١٠، ٢٤٢.
٢ الترمذي، البر، ٤٠/ ١٩٦١.

«ليس الشديد بالصرعة. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١]

«من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء»[٢]

ويوضح الشاعر (فريد قام) بهذا البيت البعد النفسي للقضية على النحو التالي:

احفظ ألمك في صدرك، لا تُحدِّث به الناس

فحديثك عن الألم، هو ألم جديد

و لعل نصائح فضيلة الشيخ أَدَبَ عالي لعثمان غازي هو انعكاس آخر لهذه الآية وما شابهها من آيات أخرى:

" بُني! أنت الآن السيد! بعد الآن الغضب من شيمنا نحن؛ والكياسة لك. الإمتعاض لنا؛ العطف منك. الخطأ أمر يليق بنا؛ التحمل يليق بك. العجز، والخطأ منا نحن؛ التسامح منك. سوء الخلق، التنازع، عدم التوافق، سوء الفهم كلها أمور تخصنا نحن؛ أما العدل فهو لك. النظرة الخبيثة، التشاؤم، التعليقات الجائرة من شيمنا؛ العفو شيمتك أنت.

بُني! بعد الآن الفُرقَةَ بيننا نحن؛ الوحدة لك؛ الكسل لنا؛ التوعية والحث على الهِمَّة وتصوير الأمور أمور تخصك أنت...."

و مع هذا فكظم الغيظ ما هو إلا مرحلة أولى لا تكفي وحدها. فالإنسان قد يكظم غيظه في بعض الأحيان رغبةً منه في الإنتقام أو ليغذي الحقد الشديد عنده. وفي هذه الحالة يتحول الغضب الآني لإنتقام مريع، أما الغضب الذي يخرج على الملأ، فيتحول إلى حقد خفي. والحال أن الغضب أقل حدةً وأكثر طهارةً نسبةً إلى الحقد والضغينة. لهذا السبب تشير الآية الكريمة إلى النتيجة التي يُرجي أن تصل إليها أرواح المتقين بالتغلب على الغضب وتبين أن العفو والمسامحة هي النتيجة المرجوة من وراء ذلك.

ج. يعفون عن الذين يتوجهون إليهم بالسوء. عندما يحكم الإنسان غضبه، يتحول هذا الغضب إلى ثقل يجسم على الروح، ولهب يكوي القلوب، ودخان يغلف الوجدان. ولكن عندما يخطو الإنسان خطوة أبعد من هذا ويعفو عمن أساء إليه، فإن قلبه ينشرح وتتخلص روحه من الأثقال التي تجسم فوقها ويجد الوسيلة التي ينفتح بها على الآفاق النورانية. وينال القلب الطمأنينة والسكينة متخلصاً من تأثير اللهب اللافح. ويساعد في الوقت نفسه الإنسان الآخر الذي تصرف المؤمن حياله بشفقة ورحمة، يساعده كي يهتدي إلى الطريق القويم.

١ البخاري، الأدب، ٧٦/ ٦١١٤؛ مسلم، البر، ١٠٧/ ٢٦٠٩.
٢ أبو داود، الأدب، ٣/ ٤٧٧٧؛ الترمذي، البر، ٧٤.

يُروى أنه كان لسيدنا جعفر الصادق عبد. وكان هذا العبد يقوم على خدمته في كل شيء. وفي يوم من الأيام وبينما هو يحمل إليه إناء وقد امتلأ بالحساء، سُكِبَ ما بداخله عن طريق الخطأ فوق سيدنا جعفر الصادق. فنظر سيدنا جعفر بغضب إلى وجه العبد وقد لطَّخه الحساء تماماً، فقال العبد على إثر ذلك: سيدي! إن الله ﷻ يقول " **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** " فقال له جعفر الصادق: " كظمت غيظي!"، فقال له العبد ثانيةً: ويقول القرآن الكريم في الموضع نفسه " **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** "، فرد جعفر الصادق وقال: " وقد عفوت عنك!..." عندها أكمل العبد آخر الآية قائلا: **"وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"** [١]، فقال له جعفر:اذهب فأنت حر؛ لقد حررتك ابتغاء وجه الله!

يحمل المثال التالي كذلك الكثير من العبر والتقدير.

تعرض أحد طلبة المرحوم محمود سامي رمضان أوغلو لمحنة تأثرت بها حالته النفسية، فجاء إلى بابه سكراناً. فلما عنَّفه من فتح له الباب بالقول: ما هذا الحال الذي أنت عليه! هل تدرك إلى أي باب جئت إليه الآن؟ فقال الرجل المنهك، المسكين معبراً عن عجزه وقلة حيلته: "و هل هناك باب آخر يحتضنني برحمته!..". سمع سامي أفندي ما دار في الداخل، فجاء على الفور ودعا تلميذه الذي أنهكت الجراح قلبه إلى الداخل ليُحيي بالرحمة والشفقة والمحبة له قلبه الذي صار خرباً. فتخلص ذلك الشخص بإرشاد وأسلوب رقيق من كل الصفات السلبية ودخل في زمرة الصالحين.

الآيتان ١٣٥-١٣٦: ننتقل الآن إلى الحديث عن خصال المجموعة الثانية من أهل التقوى. بعد أن بيَّنا في الآية السابقة خصال المجموعة الأولى منهم. هذا الصنف يرتكب الإثم بدافع من طبيعته البشرية، ولكنه لا يصر عليه ويتوجه إلى الله تعالى ويتوب إليه. ويعنى بكلمة " **فَاحِشَةً** " الواردة في الآية الفعل شديد القبح مثل الزنا؛ أما عبارة " **ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** " فتعبر عن أي إثم كَبُرَ أو صَغُر. والفاحشة إثم يرتبط في فعله بشخص آخر؛ أما " ظلم النفس " فهو إثم لا يرتبط بالضرورة في ارتكابه بشخص آخر. فهناك من المتقين من يتذكرون الله فور ارتكابهم أي إثم من الآثام، ويسرعون بالإستغفار حياءً وخوفاً منه سبحانه وتعالى. وقد ساق رسول الله ﷺ البشرى في ذلك بقوله:

«ما من عبد أذنب ذنبا، فقام فتوضأ، فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له»[٢]

١ آل عمران، ١٣٤.
٢ الترمذي، التفسير، ٣٠٠٦/٣.

وهم لا يصرون على ما ارتكبوا من ذنوب، لا يصرون عليها تماماً، بل وعلى العكس من هذا يندمون ويطلبون بقلوبهم وألسنتهم العفو والمغفرة ويسارعون إلى الخيرات حتى يستروا بها ما اقترفوا. وبذلك فمثل هؤلاء يبذلون الجهد كي يصلوا إلى مغفرة الله تعالى. لأنهم يعلمون تمام العلم أنه لا أحد سيعفو عنهم سوى الله الغفور الرحيم لأنه لا يوجد من يملك صلاحية العفو والمغفرة إلا هو. فلا وجود لأحد له من القدرة على العفو والمغفرة أكبر من قدرة الله تعالى جل شأنه الذي يحب المتسامحين والذين يفعلون الخيرات. لهذا السبب سيعفو الله تعالى ويسامح عباده الذين يخلصون له التوبة من ذنوبهم، وسيجزيهم خيراً وفيراً، ويبدل سيئاتهم حسنات ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.

٤. الأخوّة (سورة الحجرات، الآية ١٠)

﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ فَاَصْلِحُوا بَيْنَ اَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

تفسير الآية:

الآية رقم ١٠: الإيمان هو أهم رابط يجعل المؤمنين جميعاً أخوة. فإن لم يكن هناك صلة النسب، فكل منهم أخ للآخر في الدين وحماية الحقوق. وأخوة الدين من هذه الزاوية أكثر متانة من أخوة النسب. لأن الأخوة في النسب تضيع إن كان هناك اختلاف في الدين في حين تظل الأخوة في الدين على حالها على الرغم من عدم وجود أخوة في النسب. وتقتضي الأخوة في الدين إصلاح ذات البين بين المتخاصمين أو المتنازعين سواء أكان ذلك بين فردين من المؤمنين أو بين جماعتين. ويقتضي القيام بهذا الدور على النحو الأمثل وفق ما تقتضيه الأخوة في الدين والوقوف بمنأى عن المخاصمة والنزاع والخوف من الله في نقطة الإصلاح بين الطرفين المتنازعين، يقتضي أن يكون التحرك وفق أوامر الله تعالى، وأن يخاف الذي يقوم بهذا الدور من أن يرتكب خطأً فيتعرض لعقاب الله تعالى. وبهذا فقط يمكن إدراك رحمة الله ﷻ.

و قد تحدث رسول الله ﷺ عن حقوق وأهمية الأخوة في الإيمان بقوله:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١]

و يحمل المثال التالي أيضاً العبرة والمغزى المطلوبة:

دخل أحد طلاب العلم منفعلاً على السرّي السقطي (قُدِّسَ سره) وهو يشرح لأحد تلامذته في الدرس الحديث الشريف «**من لم يهتم للمسلمين فليس منهم**»[٢] ، وقال له: "أستاذي! لقد احترق الحي وصار

---

١ مسلم، البر، ٦٦/ ٢٥٨٦.

٢ الحاكم، المستدرك، جـ ٤، ٣٥٢؛ الهيثمي، جـ١، ٨٧.

رماداً. ولم ينجُ منه سوى منزلك " فقال له: " الحمد لله!..". وبعد هذه الحادثة بثلاثين سنة، تحدث السرّي السقطي لأحد أصدقائه قائلاً: لقد قلت وقتها "الحمد الله !" وأنا أفكر في نفسي فقط وأنى كنت بعيداً عن أسى وألم الذين تعرضوا للكارثة. وها أنا أتوب إلى الله منذ ثلاثين سنة على غفلتي في تلك اللحظة!....

مثال آخر مليء بالعبر:

وجد يامان دادا Dede Yaman وهو من المسيحيين الأرثوذكس الهداية ببركة كتاب المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي، وصار عاشقاً للنبي وتخلق بخلقه وخلق أصحابه. ويكفي هذا الحديث شارحاً لحاله:

سأله أحد طلابه ذات يوم وقال: "أستاذي! أيهما تفضل أن تقع في معصية عظيمة، أم تُصاب بمرض الجُذام؟"

فأجابه يامان دادا قائلاً: "أفضل أن أحترق حياً وأصير رماداً وألا أبتعد أو يشغلني شيء للحظة واحدة عن العالم القلبي لعبادة الله ﷻ!"

ها هو إنكار الذات والرحمة والمحبة وسعة الأفق التي يكسبها الإسلام للإنسانّ...

قال رسول الله ﷺ:

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلما، ستره الله يوم القيامة»[١]

«لا تحاسدوا. ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا، عباد الله! إخوانا. المسلم أخو المسلم. لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات **«بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه»**[٢]

٥. الإنفاق والتصدق (سورة البقرة، الآيات ٢٦١-٢٦٦)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى

١ البخاري، المظالم، ٣؛ مسلم، البر، ٥٨/ ٢٥٨٠.
٢ مسلم، البر، ٣٢.

شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

الإنفاق بسخاء في سبيل الله ﷻ تعالى هو الوسيلة والمفر الوحيد أمام النفس حتى تتطهر من صفاتها المذمومة وتتمكن من الوصول إلى القلب السليم والإيمان الكامل، وحتى تتمكن بذلك من مشاهدة مساق قدرة الله في الكون من خلق وإماتة وبعث. تتحدث الآيات السابقة عن مثال في هذا الخصوص.

تفسير الآيات:

الآية رقم ٢٦١: ترسم الآية الكريمة في حديثها عن إنفاق المؤمن في سبيل الخير لوحةً طبيعية حية تُهيِّج المشاعر وتؤثر في كل وجدان واع: رجل يقف على رأس حقله المُعد للزراعة وفي يده حبة قمح واحدة. يرمي بهذه الحبة في الحقل. فتنبت، ثم لا يلبث أن يتفرع هذا الجذر ويخرج منه سبع سنبلات بعد أيام. يوجد في كل سنبلة منها مائة حبة قمح مستترة داخل السنبلة. بل ومن الممكن أن يوجد داخل السنبلة الواحدة ما يزيد عن هذا العدد بإذن الله. لأن كرم الله تعالى وإحسانه على عباده لا ينتهي أو ينفذ. فهو العالم؛ الذي يحط علماً بالنوايا والأفكار المستترة في أعماق القلوب، وهو يعطي بناءاً على هذا أضعافاً مُضاعفة أو أكثر من ذلك. وشبه هذا الأمر أيضاً الصدقة التي يعطيها المؤمن في سبيل الله ﷻ. ومثل الذي ينفق أمواله في سبيل الله ﷻ كمثل الفلاح الذي يحصل على سبعمائة حبة قمح أو يزيد في مقابل حبة واحدة زرعها في الأرض.

يبين لنا رسول الله ﷺ في الحديث الشريف مُضاعفة الله سبحانه وتعالى للصدقة التي تخرج في سبيله بهذا المثال التشبيهى:

«لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه، أو قلوصه، حتى تكون مثل الجبل، أو أعظم»[١]

يُراد بهذه الأمثلة التأكيد على أن الذين يسارعون وينفقون في سبيل الله ﷻ سيكون لهم من الفوز والثواب والبركة مثل ما يحدث للحبوب المزروعة. لهذا السبب لا ينبغي على المؤمنين أن يُحقِّروا من شأن حتى الحبة الواحدة فيضيعونها ولا ينفقونها في سبيل الله ﷻ. بل ينبغي عليهم ألا يترددوا في إنفاق ما في أيديهم في سبيل الله ﷻ حتى لو كان ذلك حبة قمح واحدة. فكما تنبت أي حبة تُرمي في الأرض تماشياً مع

---

١ البخاري، الزكاة، ٨؛ مسلم، الزكاة، ٦٣/ ١٠١٤.

حكمة الله وسره في البعث، ويخرج منها سبعمائة حبة أو يزيد؛ فالناس أيضاً سيُبعثون بعد الموت مرة أخرى وسوف تتزايد الأعمال التي قاموا بها في سبيل الله ﷻ وتكثر بركتها لأقصى حد، وستتجسد هذه الأعمال لتوضع في كفتي الميزان. يضاف إلى هذا أن هذا التمثيل فيه بشارة بأنه يمكن الحصول على سبعمائة حبة على الأقل في مقابل حبة واحدة وفق ما جري من تطبيقات وارتقاء في علم الزراعة. وبفضل التقدم التقني الذي أُحرز في مجال الزراعة، أمكن الحصول على محصول يقترب من ٢٠٠٠ حبة من حبة القمح الواحدة عن طريق فصل النبتة التي تخرج من حبة القمح بعد زراعتها وتشعبها وإعادة غرسها في شكل شتلات.

الآية رقم ٢٦٢: ينبغي على الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ أن يحموا ويصونوا أعمالهم من الآفات التي قد تقضي على الثواب وتجعل لا فائدة من ورائه حتى يتمكنوا بذلك أن ينالوا الثواب المُضاعف الذي بشَّرت به الآية السابقة. ويأتي " المنْ " و« الأذى " على رأس هذه الآفات.

و المن المذكور في الآية أن يذكر المحسن إحسانه لمن أحسن إليه ويُظهر به تفضله عليه فيقول "لقد فعلت لك كذا وكذا "، فيغتر بما فعل من خير ويُشعر الطرف الآخر أنه في موقع المُعطي. ومثل هذه التصرفات تلوث القلب، وتُنقص من قيمة الخير الذي فعله. أما " الأذى " فيعنى إثارة الاشمئزاز. فالشكوى بسبب عيب في الشخص الذي فعل الخير، والتطاول باللسان على المنعم عليه، وأن تذكر ما تصدقت به عند الناس، كل ذلك من الأذى. ومن أمثلة ذلك قول المتصدق للمُتَصدَّق عليه " أنا فعلت لك معروفاً وأنت لم تشكرني عليه " أو " كم من مرة تأتيني وتمسني بالسوء " أو " أنت طلبت مني كثيراً، ألا تستحي " أو أن يقول " أنت لا تأتيني إلا بالمصائب، أدعو الله أن يخلصني منك، ويبعدك عنى ". فلو ابتعد المتصدقون بصدقاتهم عن مثل هذه التصرفات الخاطئة، وصانوا صدقاتهم مثلما يحمون حبة عيونهم، ولم ينتظروا الثواب والمكافأة إلا من الله تعالى وحده، فسوف يعطيهم الله سبحانه وتعالى أجورهم حينئذٍ أفضل ما يكون العطاء. وفي الآخرة لا خوف عليهم، وهم يحزنون لأي سبب كان يضيع ثواب ما فعلوا.

يُروى أن هذه الآية الكريمة قد نزلت في حق سيدنا عثمان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف ﵁. فقد تصدق عبد الرحمن بن عوف ﵁ بأربعة آلاف درهم هي نصف ماله، وقال مخاطباً النبي ﷺ :

"إن لى ثمانية آلاف درهم. أربعة آلاف أقرضها ربي ﷻ، وأربعة لعيالي"

فقال له رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت**».

أما سيدنا عثمان ﵁ فقد ساهم في غزوة تبوك بألف ناقة وألف دينار، واشتري بئر " رومة " وأوقفه للمسلمين يشربون منه، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء ودعا له الله قائلاً:

«**اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض!** »[1]

١ وحيدي، ص، ٨٩.

الآية رقم ٢٦٣: ليس هناك ما يدعو الإنسان بعد أن أنفق في سبيل الله ﷻ إلى التفضل والأذى. لأن هذا العمل يقوم به الإنسان طواعية بإرادته لا إكراه فيه. فالعبد لا يقبل على ذلك إلا طمعاً في الثواب وابتغاء مرضاة الله ﷻ. لأن التحدث بلسان حلو مع الذين يطلبون المساعدة أو الذين في حاجة ماسة للعون، واسترضائهم بكلمات عذبة، والتغاضي عن أية عيوب أو تقصير أفضل من صدقة يتبعها أذي وتفضل. ويوصينا المولى جل شأنه في نفس الخصوص في آية أخرى بقوله تعالى:

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ [1]

يقول عزيز محمود هدائي (قُدِّس سره):

"أن ترد السائل بشكل جميل، خير من صدقة تعطيها إيّاه ويتبعها المن والأذى. لأن الكلمة الطيبة حتى وإن كانت للرفض أو الرد فإنها تُفرح قلب السائل، وتُسعد روحه. والصدقة تجلب النفع للشخص سواء أكان ذلك من الناحية المادية أو بإدخال السرور على القلب. ولا تتحقق الفائدة الكاملة عندما يتحد الشيء الذي يفيد الجسد والشيء الذي يؤذي الروح. فلا شك أن ما يُدخل السرور على الروح أفضل بكثير من ذلك الذي يعود بالنفع على الجسد. لأن الروحانيات تحتل في الإنسان مرتبة أعلى وأسمى بكثير مقارنة بالبدن المخلوق من الطين."

كان عامر بن عبد الله بن الزبير يلجأ إلى الوسيلة التالية إذا تصدق على الأمير أو الفقير أو العابد حتى لا تُجرح مشاعر السائل:

"كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العُبّاد وهم سجود، فيأتيهم بالصرة -يأتي إلى الرجل العابد الفقير بصرة المال- فيضع هذه الصرة عند نعليه وهو يصلي، ونعلاه بجانبه، ثم ينصرف، فسئل عن ذلك لماذا تفعل ذلك؟ لماذا لا ترسل بها إليهم؟ فقال: أكره أن يتحمر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي أو لقيني". [2]

القصة التالية بها الكثير من العِبر كذلك:

رافق درويش من الهند أحد تجار نيسابور في رحلته. كان هذا الدرويش يسير عاري القدمين، ولم يكن يتحاشى في سيره الأحجار والأشواك. فتألم التاجر لحاله، وأعطاه حذاءه. فأخذه ودعا الله له، وتابع طريقه وقد تجرأ في سيره. فظل التاجر يقول له كل لحظة: " اذهب من هنا، اذهب من هناك؛ لا تطأ بقدمك فوق الأحجار بشدة، احذر أن تغوص الشوكة في قدمك!" شعر الهندي بالضجر من كثرة ما يملي عليه التاجر من أوامر، فقام بخلع الحذاء ووضعه أمام التاجر، وقال له:

---

١ الإسراء، ٢٨.

٢ ابن الجوزي، صفات الصفوة، جـ٢، ٤١١.

"خذه، فليس لي حاجة بخير مشروط. لا يمكنني أن أدخل تحت حكم وقيد أحد من أجل حذاء، ولا أتحمل منَّك عليّ!"[١]

لا شك أن الله تعالى غني عن عباده؛ فلا حاجة له سبحانه لخير أو صدقة يتصدق بها العباد. فهو القادر لو شاء رزق الفقراء والمحتاجين تلك الصدقة، وجعل الأغنياء فقراء كذلك يمدون أيديهم للآخرين. ولكن الله الحليم؛ لا يُعجِّل بالعقاب لكل من يرتكب الإثم. فيعطي الذين يتفضلون على الناس ويؤذونهم مهلةً كي يتوبوا ويرجعوا عن أخطائهم.

الآية رقم ٢٦٤: يوضح المولى سبحانه وتعالى هذا الموضوع للناس بمثال رائع حتى يطهر الصدقات التي يخرجونها في سبيل الله ﷻ من المن والأذى، ومن ثم لا يُحرم أي منهم من ثواب الخير الذي صنعوه.

يشبه المولى سبحانه الذي يعطي الصدقة ويُتبِعها المن والأذى بالذي يتصدق على الرغم من أنه لا يؤمن بالله وباليوم الآخر بغرض المباهاة ورِئَاءَ الناس؛ أي أن الصدقة التي تخرج ويتبعها المن والأذى تشبه الصدقة التي لا يقبلها الله لأن صاحبها شخص لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وأن إخراجه لها جاء لغرض المباهاة بين الناس فقط. نفهم من هنا أنه كما أن الإنفاق قد يكون رياءً للناس ومن ثم لا يجدي نفعاً، فإن الصدقات التي يتبعها المن والأذى هي الأخرى لن تجدي نفعاً. لأن كلا النوعين من الصدقات لم تخرج ابتغاء وجه الله ﷻ.

تعرض الآية في المثال التالي لحال صاحب هذه الصدقة التي تخرج رِئَاءَ النَّاسِ وليس ابتغاء مرضاة الله، والتي لن يؤمل له في الآخرة ثوابٌ من الله ﷻ في المقابل:

حجر أملس، فوقه قليل من التراب. هطل فوق هذا الحجر مطر غزير، فذهب بما عليه من التراب، فتركه صلداً لا أثر للتراب عليه ولا شيء.

يصور هذا المثال ذلك القلب القاسي الغافل عن الطمأنينة والسعادة التي يمنحه إياها الإيمان، قلب الشخص الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وينفق أمواله رئاء الناس. بيد أن هذا القلب يود لو غطى صلابته وجموده بقشرة من الرياء. ويشبه هذا القلب الذي يغلفه الرياء بالحجر الأملس الذي يوجد فوقه بعض التراب. فهو قطعة من الحجر لا أثر فيها لمرونة أو نبات. وهو يغطي نفسه بغطاء خفيف من التراب يخفي به صلابته وجموده. وهو الأمر الذي يشبه الرياء الذي يغطي جمود القلوب المحرومة من نور الإيمان. فيهطل مطر غزير يزيل ما على الحجر الصلد من تراب، ويتركه صخرة صمَّاء لا اثر فيها لزرع؛ فلن تثمر القلوب التي تنفق المال رئاء الناس، ولن تنال الثواب في الآخرة كذلك.[٢]

---

١ أحمد أفلاقي، مناقب العارفين، جـ ١، ٤١٤.

٢ الظلال، جـ ٣، ٥٦.

يمكن بالتمثيل توضيح معنى بهذا الشكل: الشخص الذي يمن بما يعطي ولا يراعي مشاعر الآخرين والمنافق، مثل الصخرة الصمَّاء، والصدقة التي يُخرجونها مثل التراب الموجود فوق الصخرة، أما يوم القيامة فهي كالمطر الغزير. تضيع كل هذه الصدقات عندما تقوم الساعة، تماماً مثلما تلاشى التراب من فوق الحجر الأملس بهطول الأمطار. لأن هذه الأعمال لم تُؤدَّ في ذلك اليوم ابتغاء وجه الله تعالى. ولن تنفع الذين يتصدقون رئاء الناس أو للمن والأذى وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، لن تنفعهم أعمالهم تلك يوم القيامة. لأن الله ﷻ لا يوفق رعاع الكافرين كي يعملوا الخيرات التي يستفيدون منها في الآخرة. لهذا السبب ينبغي على المؤمنين توخي الحذر من هذه الناحية وهم يُخرجون صدقاتهم، وألا يخافوا من ضياع أجورهم يوم القيامة.

يمكن توضيح ذلك المعنى على صورة ثالثة بالشكل التالي: أن البذرة التي تُزرع فوق صخرة ملساء يغطيها بعض التراب تظل وحيدة فوق تلك الصخرة الصماء عندما يتلاشى التراب بسقوط الأمطار الغزيرة. ليس هذا فقط بل أن البذرة نفسها لن تظل مكانها وتضيع. فذلك الشخص لن يجد هناك أي شيء عندما يشعر بالحاجة إلى ذلك الزرع.

لقد أرسل الله جل شأنه بيانات تحذيرية بشأن ما سيتعرض له الكفار والمنافقون وأولئك الذين لا يسعون ابتغاء مرضاة الله من خسران في الآخرة:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [١]

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٢]

و جاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد على المعنى نفسه كما يلي:

قال رسول الله ﷺ موضحاً مدى خطورة الرياء:

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: **«الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»** [٣]

---

١ الكهف، ١٠٣-١٠٤.

٢ الفرقان، ٢٣.

٣ أحمد، المسند، جـ ٥، ٤٢٨-٤٢٩/ ٢٣٦٣٠.

و يحذر رسول الله ﷺ من جديد، ويعطي معلومات عن أن أول من يُدعي إلى الحساب وتُسعَّر بهم يوم القيامة ثلاثة؛ رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله ﷻ، ورجل كثير المال، ذلك لأنهم كانوا يراؤون الناس فيما كانوا يفعلون.[1]

حسناً، وكيف هو حال الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله تعالى:

الآية رقم ٢٦٥: تصور الآية الكريمة الذين ينفقون أموالهم بسخاء ابتغاء مرضاة الله تعالى وحتى يستقر الإيمان في قلوبهم ويكوِّنوا مجتمعاً إسلامياً مثالياً، تصورهم في صورة بستان رائع الجمال: يوجد هذا البستان في أخصب الأراضي وأكثرها ملائمة لنمو النباتات حيث المطر الوفير والشمس والهواء. يوجد في هذا البستان كل أنواع الخضروات والفاكهة. تهطل الأمطار بغزارة على هذا البستان، وتهب الرياح من كل جوانب البستان بحيث تتوفر أكبر فائدة له، وتعكس الشمس أشعتها بشكل تتحقق به الفائدة للبستان. وبفضل كل هذه العوامل أعطت ثمراً مضاعفاً وزائداً. بمعنى أن هذا البستان إن كان يعطي في الظروف العادية ألفاً فإنه يعطي بفضل هذا المطر ألفين. وإن كانت الحبة الواحدة في هذا البستان تعطي سبعمائة حبة في المعدل الطبيعي، فإنها تعطي في هذه الظروف ألفاً وأربعمائة حبة. ومما يميز هذا البستان أنه حتى إن لم يسقط المطر فيكفيه طل – وهو المطر الخفيف والرزاز –، وبعض الرطوبة ليعطي محصوله الغزير مرة أخرى. يوضح هذا التصوير حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ وفي أعمال الخير.

و يبين تأويل آخر كيف يصور هذا التمثيل قلب المؤمن: فأي قلب عامر بالإيمان ينفق ابتغاء مرضاة الله بشكل محض. وهو يعطي الشيء الذي أنفقه وهي مقتنع تمام القناعة أنه لوجه الخير. فالشيء الذي يعطيه من شأنه أن ينشط إيمانه ويبث الحيوية فيه وينزل بجذوره حتى أعماق الوجدان.[2] وها هو القلب العامر بالإيمان مثله مثل بستان أرضه شديدة الخصوبة عليها كومة من التراب فتسقط عليها الأمطار الغزيرة فتنتفخ وتدب فيها الحياة وتصبح شديدة الاخضرار وتحيط بها النباتات والأعشاب من كل جانب. وكما أن هذا المطر هو الوسيلة كي تدب الحياة في تلك الأرض وتصبح خضراء ومن ثم تعطي محصولاً غزيراً للغاية، فالمؤمن كذلك يُطهِّر قلبه ما يُخرجه من صدقات لوجه الله تعالى وتُحسِّن من علاقته مع الله سبحانه وتعالى؛ فيتطهر ماله ويزيد بالقدر الذي يحدد الله جل شأنه. يضاف إلى هذا أنه كما ارتفعت محاصيل ذلك البستان كوحدة واحدة بفضل المطر، فإن الصدقات تصلح هي الأخرى المجتمع كله الإسلامي كوحدة واحدة وتقوِّمه وتطور منه.

---

١ انظر: الترمذي، الزهد، ٤٨.

٢ الظلال، جـ٣، ٥٦.

و لا يشترط سقوط الأمطار الغزيرة على ذلك البستان الجميل، فيكفيه طل – المطر الخفيف – كي يثمر ويعطي نفس المحصول الغزير. وبالشكل نفسه فأي قلب مستعد كي ينفق في سبيل الله ﷻ تعالى، فلا يشترط له أن ينفق الكثير ما دام ليس بإمكانه، فيكفيه القليل. ويتحول هذا القلب إلى أخ لكل المؤمنين وهو ما يكفي كي يتحول المجتمع الإسلامي إلى جزء واحد لا يتجزأ يفرح أفراده لسعادة الأطراف الأخرى ويحزنون لحزن الباقين. لأن الشيء الذي يوصل إلى الله تعالى ليس اللحم ولا الدم ولا أي شيء آخر، ولكن هي أحاسيس "التقوى" التي تنخلع لها القلوب من الأعماق والنية الصادقة والإحسان.

الآية رقم ٢٦٦: تحكي هذه الآية بشكل تمثيلي عن العاقبة الحزينة للشخص الذي يتصدق لغرض آخر غير ابتغاء مرضاة الله ﷻ أو يعطي تفاخراً وللمباهاة بين الناس: تتحدث الآية هنا عن رجل. هذا الرجل له حديقة من نخيل وأعناب. هي حديقة جميلة رائعة تجري من تحتها الأنهار وتتدفق المياه من بين الأشجار. بها من كل أنواع الفاكهة والخضروات، لا يغيب منها شيء. يملأ الرغد والسعادة والروحانيات والجمال كل طرف منها. ولكن الوضع لم يستمر على هذا الحال؛ بدأت الأمور تتجه للسوء. بدأ الرجل يكبر ويتقدم به السن وأصبح عاجزاً عن الكد والعمل. وكان لهذا الرجل أولاد ضعفاء بؤساء عاجزون عن العمل. وكان هو من يقوم عليهم ويؤمن لهم العيش. لهذا السبب أصابه الهم والإضطراب وشعر بالحاجة. وبينما الأمور على هذا الحال إذ بإعصار به نار يصيب حديقة هذا الرجل ويحرقها فيقضى عليها في لحظة واحدة. من منا يريد أن يكون في مكان هذا الرجل؟ يجب أن نفكر هنا في حالة الحزن والألم الذي سيعتصر قلب هذا الرجل. يكمن الألم والبلاء هنا في أن الحديقة الجميلة وما بها من محصول قد ذهب سدي ولن تعود إلى سابق عهدها ثانية. يُضاف إلى هذا أن ذلك الشخص قد أصبح عاجزاً تماماً عن العمل، وانه أصبح من أصحاب الحاجات كما أنه يئس من أن يمد له الآخرون يد العون. وقد زاد من كربه علاوة على ذلك أن الأشخاص الآخرين أي أولاده كبيرهم وصغيرهم يحتاجون هم أيضاً إلى رعايته ويطلبون منه الطعام والشراب.

يشبه هذا الموقف تماماً الشخص الذي ينفق ابتغاء مرضاة الله تعالى، فمثله في إخراجه الصدقات ويأمل دخول الجنة في الآخرة مثل الرجل صاحب الحديقة التي يعتمد عليها بشكل أساسي في تلبية كل احتياجاته. ولكن هذا الشخص الذي يتفضل ويمن على الناس من بعد خير يفعله فهو في هذا الموقف مثل الإعصار الذي ضرب وأحرق تلك الحديقة. وهو يتبع هذا الخير بندم وتعجب وحزن. فالشخص الذي يعطي المال ويحزن لأجله حتى ينجيه يوم القيامة، سيأتي يوم القيامة وهو في أشد الحاجة إلى ذلك الثواب فلا يجد منه شيئاً. ومما شك فيه أنه سيتعرض لأشد الآلام وأعظم الأحزان.[1]

١ الرازي، جـ ٧، ٥٨.

الجنة هي جزاء يؤتيه الله ﷻ من يفعل الخير مقترناً بالإيمان، أما الشرور مثل الرياء والمَنْ والأذية التي تقف عائقاً أمام الوصول إلى الله ﷻ والإخلاص في الخير مثل الإعصار الذي فيه نار. هذا الإعصار يحرق الخيرات، ويقضي تماماً على أي إمكانية للاستفادة من هذه الخيرات في الوقت الذي نكون فيه في أشد الحاجة إليها. لذا يجب على الإنسان إن يتجه إلى الإختيار الصحيح ويصرف بشكل سريع؛ فينتبه حتى لا يأتي إعصار فيه نار على الحديقة الغنّاء المثمرة ذات الفاكهة والظلال فيهلكها. لهذا السبب أوضح الله جل شأنه آياته الكريمة على هذا الشكل حتى نفكر ونتدبر وحتى يأتي عملنا متوافقاً لما جاء بها.

٦. العبادات - الصوم : (سورة البقرة، الآيات ١٨٣-١٨٧)

يرتبط الإلتزام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه التي بيّنها لنا بتصفية القلب وتربية النفس. أما التربية فلا تكون إلا بالصبر والبعد عن أهواء النفس، وبالعبادة الحقيقية والرياضة البدنية والروحية. ويأتي الصيام على رأس الأعمال التي تحقق هذا الأمر وهو الأمر الذي تتحدث عنه الآيات الكريمة التالية على النحو التالي:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾

تفسير الآيات:

الآية رقم ١٨٣: يُعنى بكلمة "**الصيام**" الواردة في الآية الكريمة من ناحية اللغة؛ أن يُمسك المرء نفسه عن أفعال معينة مثل الطعام والشراب والكلام والسير وأن يظل ساكناً تجاهها. و"الصوم" كمصطلح ديني هو الإمتناع عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب بنية إخلاص العبودية لله تعالى. والصوم هو فرض عين على كل مسلم تتوفر فيه شروطه لأنه احد العبادات التي تُؤدَّي بالبدن فقط.

و مع هذا فإن مفهوم الصوم يتغير مع اختلاف الدرجات المعنوية للناس. مثال ذلك أن الصوم عند العوام؛ هو الإمتناع عن الأكل والشرب والجماع. أما الصوم عند الخواص فهو الوقوف بمنأى عن كل المحرمات. أما خواص الخواص فيرون أن الصوم هو الإبتعاد بالقلب عن أي شيء سوى الله تعالى. من هنا يجب أن يصوم القلب بالمشاركة مع كل أعضاء البدن وليس المعدة فقط حتى نصل إلى حقيقة الصوم. فيتعين على القلب أن ينفذ إلى العمق الروحاني للصوم ويتفكر في قدر النعم التي أعطاها الله جل شأنه.

و يمكن تحديد معنى عبارة ﴿...**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**...﴾[1] الواردة في الآية الكريمة كما يلي:

- إبداء الأهمية لعبادة الصوم. فقد فرضه الله ﷻ على أمة الإسلام كما فرضه على الأمم السابقة. يشير هذا إلى ما للصوم من خصوصية في إصلاح النفوس وجلب الثواب الوفير. و تبين الآية أن الإنسانية تحتاج بشكل كبير إلى هذه العبادة من ناحية التربية و النظام، وأن تطبيقها يعود بنفع لا يُعد و لا يُحصى.
- يحث المسلمين على التلهف لأداء هذه العبادة حتى لا يتخلفوا عمن سبقهم من الأمم. لأن المسلمين يتسابقون فيما بينهم في العبادات وخاصة أهل الكتاب يحبون لأنفسهم أن يتفوقوا في عباداتهم، ولا يحبون أن يُمدح أحد أمامهم فهم يقولون "نحن أهل الشريعة ".
- تُبين أن الصوم هو قانون إلهي طُبِّق على الأمم السابقة، وتدحض رأي من يظن أنه مشقة حُمِّلت بها هذه الأمة فقط. لأن المشقة إذا عُمِّمَت أصبح تحملها أكثر سهولة و يسراً.
- الشد من عزائم المؤمنين، ومنع سلوكياتهم من الترهل في هذا الأمر، وضمان أداء المسلمين لهذه العبادة بجهد وعزيمة أكبر من الأمم السابقة.[2]

الصوم هو أحد أعظم أركان الدين. ويأتي على قدم المساواة مع الجهاد بالنفس؛ كما أن له دور مهم للغاية في تربية النفس وتزكيتها. الصوم يحد من حرص الإنسان على الأشياء الضارة. الصوم أمره عائد

---

١ البقرة، ١٨٣.

٢ ابن عاشور، التحرير، جـ٢، ٦٥١-٧٥١.

للقلب والإرادة. وهو سمة جميلة تعطي للحياة لذة وللإرادة قيمة. ولكنه يبدو في الوقت نفسه وكأنه أكثر الأوامر الإلهية مشقةً. وبناءاً على هذه الحكمة تكون الصلاة هي أخف الأوامر الشرعية وتليها الزكاة ثم الصوم ويأتي في المرتبة الثالثة والأكثر صعوبة، ويعنى هذا أن هناك تدرج في التشريع الغرض منه أن يعتاد المُكَلَّفون على القيام به.

و كما أن الإنسان في عبادة الصوم يتعود على عدم تلقي المساعدة من أحد من الخلق، فإن بيت القصيد في هذا الأمر هو أن يقاوم الإنسان فطرته. لهذا السبب كان الإخلاص هو أكثر النواحي بروزاً في عبادة الصوم والتي لا يمكن أن يخالطه الرياء. ويوضح ذلك الحديث على النحو التالي:

قال رسول الله ﷺ:

«كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلي سبعمائة ضعف. قال الله ﷻ: "إلا الصوم. فإنه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته وطعامه من أجلي". للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه ..» [١]

الصوم يدعم الإنسان من الناحية النفسية، ويضمن حدوث توازن بين البدن والروح. وهو يقوي من إرادة الإنسان. ويُمكن للإنسان عن طريق الصوم أن يصبر مدة صومه على الأشياء التي اعتاد عليها ولم يكن يستطيع الإبتعاد عنها ساعةً واحدة في الأوقات الأخرى. الصوم يساعد الإنسان على التحكم نفسه وقت الإنفعال والغضب، ويزيد من قدرته على التحمل في أوقات الأزمات النفسية الشديدة. وبذلك فهو يساعد الإنسان في علاج الأزمات النفسية. بالصيام يكسر الإنسان شهوته، ويتغلب على أهواء نفسه. يعمل الصوم في الوقت نفسه على إراحة المعدة والبدن وهو الأمر الذي ينضوي على تربية للبدن فضلاً عما فيه من فوائد صحية وطبية للجسم. يؤمن الصوم الراحة لمعدتنا وسائر أعضاء الهضم الأخرى التي تعمل بدون توقف طيلة أحد عشر شهراً بما يكسبها الصحة. يزيد الصوم من قدرة الجسم على مقاومة الأمراض. ويعمل الصوم من الناحية الإجتماعية على إزالة عدم التوازن بين الغني والفقير، ويساعد على خلق توازن روحي واقتصادي وإجتماعي بينهم. والصوم يجعل الغني يحس بمعنى الجوع وعجز الإمكانات، ويدفعه إلى تفهم حال الفقير ومن ثم معاملة الفقير بلين.

يكبح الصوم من جماح أهواء النفس الشهوانية عند الإنسان، ويضع سداً أمام العلاقات غير المشروعة التي تفسد النسل والمجتمع. ويُظهر ضآلة ملذات الدنيا العادية وحب المناصب، ويزيد من ارتباط القلب بالله سبحانه وتعالى ويمنحه الصفاء الروحي. ينجح الصائمون في التحكم في جميع أهوائهم. ويعرفون كيف يوظفون أهواءهم بما يتوافق واحتياجاتهم بالطرق المشروعة. من أجل هذا قال رسول الله ﷺ:

---

١ مسلم، الصيام، ١٦٤/ ١١٥١.

«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[١]

و على الرغم من كل فوائد الصوم تلك، إلا أن الحكمة الرئيسة منه هي تذوق طعم العبودية لله والخضوع لأمره ﷻ؛ وزيادة الإخلاص بتطهير الروح من أثار الرياء وهو الأمر الذي لا يتأتى إلا بجهاد النفس والدخول في معية الله ﷻ والوصول إلى درجة التقوى.

الآية رقم ١٨٤: المقصود من "**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**" الواردة في الآية؛ شهر رمضان الذي فُرِضَ فيه الصيام. وهذه الأيام قليلة العدد إذا ما قورنت بعدد أيام السنة كلها. ولا داعي للخوف أو الرهبة من هذا الأمر الإلهي. لأن الله تعالى شرَّع الصوم واضعاً في الإعتبار أحوال عباده الخاصة بحيث لا تعتل صحتهم أو تخور قواهم. فلم يجبر المريض والمسافر على الصوم. وأجاز لكل منهما قضاء ما فاتهما عندما تستقيم الأمور لسابق عهدها أي بعد أن يُشفي المريض ويرجع المسافر إلى بلده. وأباح للذين لا يقدرون على الصوم مثل الشيوخ الكبار أو الأم المُرضعة أو الحوامل، أباح لهم أن يدفعوا الفدية؛ أما الذين يطيقون الصوم ولكنهم يعانون فيمكنهم التوقف عن الصوم شريطة أن يدفعوا الفدية عن كل يوم يفطرون فيه. والفدية هي إطعام مسكين عن اليوم الواحد. والفدية قد تكون من القمح أو الشعير أو قد تكون من مواد غذائية أخرى تلبي حاجة المساكين باختلاف الزمان والمكان. ويمكن للشخص أن يكون أكثر سخاءً حسب ما تسمح به قدرته، وهي وسيلة تُؤمِّن للشخص خيراً عظيماً في الدنيا والآخرة. والحقيقة أن الصوم فيه خير كثير للقادر عليه سواء أكان مريضاً أو على سفر أو الذين يطيقونه ولكن يعانون في الصوم. فهو يجلب الخير العظيم للإنسان في الدنيا والآخرة.

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له هما شرطان مهمان لقبول العبادات. فمراقبة الله في أي عمل نعمله والحرص على رضاه وانتظار المقابل منه وحده، هو هروب من الرياء والتباهي. يبشر رسول الله ﷺ الأشخاص الذين يؤمنون من قلوبهم بفرضية صوم رمضان وفضيلته وفائدته، وينتظرون بإخلاص وصدق مقابل ما فعلوا من الله وحده، يبشرهم بمغفرة الله ﷻ.

قال رسول الله ﷺ:

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه،...»[٢]

١ البخاري، الصوم، ٢٠؛ مسلم، النكاح، ١، ٣/ ١٤٠٠.
٢ البخاري، الصوم، ٦؛ مسلم، الصيام، ٢٠٣، ١٧٥/ ٧٦٠.

الآية رقم ١٨٥: شهر رمضان[١] الذي فُرض فيه الصوم هو الشهر الذي بدأ فيه نزول آيات القرآن الكريم. فقد بدأ نزول القرآن الكريم في ليلة القدر وهي إحدى ليالي هذا الشهر واستمر نزوله من بعد ذلك تباعا طيلة مدة نبوة النبي ﷺ التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة إلى أن اكتملت هذه الوتيرة قبل وفاة الرسول بمدة قصيرة. القرآن هو مرشد الناس إلى الهداية. وهو الدليل الصادق الموثوق الذي يرشدهم كذلك إلى الطريق القويم. فيه البراهين الواضحة التي تدعو إلى الهداية والبينات المُعجزة التي انكسر بها دابر الكفر. يطلق على القرآن اسم " **الفرقان** " كذلك؛ أي الذي يفرق بين الحق والباطل والصحيح والصواب والحسن والقبيح والخير والشر. وهو الهادي إلى إتباع الحق وتجنب الباطل. لهذا السبب كان شهر رمضان قطاعا مباركاً شريفاً من الزمن وجب على كل مؤمن أدركه واستوفي شروط صومه أن يصوم نهاره. ويجوز للمريض والمسافر أن يُفطر ويقضي ما فاته في أيام أُخَر. يريد الله تعالى الرحيم بعباده اليسر سواء في عبادة الصوم أو فيما يتعلق بالأحكام الشرعية الأخرى الخاصة بهذا الموضوع. والله ﷻ لا يأمرنا بأحكام نعانى منها أو نشعر أنها تفوق طاقتنا. لهذا السبب لا يوجد في الدين ما يسمي ب» التكليف بما لا يُطاق " أي التكليف بخصوصيات لا تستطيعها قدرة البشر.

في تلك الحالة ينبغي على المؤمنين أصحاب العقل السليم والإيمان القوي أن يسارعوا إلى طاعة أوامر الله كما ينبغي ويجب عليهم أن يصوموا عدة الأيام التي نحن بصدد الحديث عنها. كما يجب عليهم أن يقروا ويصدقوا بوحدانية الله وعظمته وهم يكبرون قائلين "الله أكبر" في صلاة العيد وخطبته أو حتى في كل الأوقات الممكنة. ذلك لأن الله ﷻ قد أكرمهم وجعل لهم نصيباً من الهداية وأرشدهم إلى أفضل الطرق التي إن سلكوها أوصلتهم إلى تلك الهداية.

والأهم في هذا الموضوع أن يتوجهوا إليه بالشكر بسبب ما أنعم عليهم من نعم. وليعلموا أن كل ما يفعلونه من خير لن يذهب سُدى ولن تضيع مكافأة الله جل شأنه لهم. لأن الله تعالى قريب من عباده:

الآية رقم ١٨٦: تذكر الروايات أن هناك سبب لنزول هذه الآية: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وسأله: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ "فأنزل الله تعالى هذه الآية ليبين أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.[٢]

١ يُرجح لكلمة رمضان أكثر من معنى: ١. أُخِذَت من " رمضاء " أي المطر الذي ينزل في بداية موسم الخريف فيُطهر الأرض. وكما يغسل هذا المطر الأرض ويطهرها، فإن الصوم كذلك يغسل ذنوب المؤمنين ويطهر قلوبهم. ٢. مأخوذة عن كلمة "رماض " التي تعبر عن شدة درجة حرارة الأحجار التي تتعرض لأشعة الشمس اللافحة. فكما يشعر الإنسان بالجفاف في حلقه من جراء الصيام، فإنه يكون الوسيلة كذلك لحرق الذنوب. ٣. قيل أن هذا الاسم هو أحد أسماء الله الحسنى كذلك. (الماليلي، ١، ٦٤٣-٦٤٤)

٢ الطبري، جـ٢، ٢١٥.

بدأ الصحابة الكرام في الوادي الذي كانوا فيه عند توجههم لفتح خيبر، بدءوا يكبرون بصوت مرتفع ويقولون " الله أكبر لا إله إلا الله "، فتحدث إليهم لهم رسول الله ﷺ محذراً: « **يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا، وهو معكم**»[١]

و تخبر الآيتان الكريمتان فيما يلي عن قرب الله تعالى من عباده:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣]

فالله تعالى قريب من عباده وهو ليس قرب مكاني، بل هو قرب العلم والإحاطة بهم. وهو يعلم حال كل واحد من عباده على أفضل شكل. النقطة المهمة هنا هي إدراك العبد لهذه الحقيقة، ومعايشته لهذا القرب في شعوره، وإحساسه به في أعماق روحه. إن حب الدنيا والمأكل والمشرب والمشاغل الدنيوية الأخرى لهي العائق الأكبر أمام شعور العبد بهذا القرب. ولا سبيل لتخطي هذا النوع من العوائق والشعور بقرب الله تعالى إلا بالصوم شريطة أن نراعي آدابه، والدعاء الصادق، والعبادات الأخرى التي تُؤدَّى بإخلاص. لهذا السبب يدعو الحق سبحانه وتعالى عباده كي يؤمنوا به ويدعوه ويلتزموا أوامره. لأن هذا هو السبيل لكشف ما هو بائن صحته في ترتيب العلاقات بين العبد وربه والشيء وكل ما يتعلق به من خصوصيات.

يسوق المولى سبحانه وتعالى البشرى في الآية الكريمة أنه سيجيب دعاء كل من يدعوه على الفور . وهذه بشارة عامة تخص أى دعاء يدعوه المؤمن بإخلاص. فعندما يقول المؤمن " يا رب " يجيبه الله تعالى قائلاً " لبيك عبدي ". ويجيب الله تعالى ما طلبه العبد في أنسب الأوقات نفعاً له. لهذا السبب ربما يكون من الأفضل في بعض الأحيان أن ننتظر بعد الدعاء. ويحذرنا رسول الله ﷺ في هذا الشأن على النحو التالي:

«يستجاب لأحدكم ما لم يُعجِل يقول: دعوت فلم يُستجب لي»[٤]

«ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يؤخرها له في الآخرة وإما أن يكف عنه من الشر مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر»[٥]

---

١ البخاري، المغازي، ٣٨؛ مسلم، الذكر، ٤٤/ ٢٧٠٤.

٢ ق، ١٦.

٣ الأنفال، ٢٤.

٤ الموطأ، القرآن، ٢٩.

٥ الموطأ، القرآن، ٣٦.

الآية رقم ١٨٧: توضح هذه الآية جزءً من موضوعات مهمة لها علاقة بالصوم. أما سبب نزول هذه الآية:

كان المسلمون أول ما فرض الصيام، يأكلون ويشربون ويجتمعون بزوجاتهم فقط في الفترة بعد صلاة المغرب وحتى يصلوا العشاء أو حتى يأوي كل منهم إلى فراشه. أي أن الإمساك كان يبدأ عندهم بعد صلاة العشاء أو بمجرد ذهابهم في النوم. وفي يوم من الأيام وقع سيدنا عمر ﵁ على زوجته بعد أن صلى العشاء. فذهب إلى رسول الله ﷺ وقد شعر بندم عظيم وقص عليه ما حدث. فنزلت هذه الآية عندما اعترف بعض الموجودين بارتكابهم نفس الخطأ.[١]

فأُحِل بمقتضى هذه الآية الجماع في ليلة الصيام. وشُرِّع الأكل والشرب والرفث إلى النساء بدخول وقت الإفطار وحتى وقت الإمساك. وهذا تيسير كفله الله تعالى للمسلمين. النساء لباس للرجال، والرجال لباس لهن. فكل منهم يحتوي الآخر مثل اللباس، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فكما تستر الملابس عورة الشخص وتقيه من الحرارة والبرودة، فكل منهم بالطريقة نفسها يستر ما عند الآخر ويصون عفته من السوء. لقد يسَّر الله تعالى على الأزواج لعلمه التام بمدى حاجة وتعلق كل منهم بالآخر، وأنهم لهذا السبب قد لا يستطيعون الصبر في هذا الخصوص ومن ثم يقعون في الإثم. يسوق الله تعالى البشرى بأنه سوف يسامحهم ويعفوا عما اقترفوا وما سيقترفونه من آثام يحتمل وقوعها ويجيز أن يجتمع كل منهم بالآخر حتى في ليالي رمضان بنية حسنة، وطلباً للذرية الصالحة.

يبدأ وقت عمل هذه الأمور المشروعة من أكل وشرب وعلاقة جنسية مع دخول وقت صلاة المغرب ويستمر حتى ينبلج الفجر مثل الخيط الأبيض. وهذا ما يُطلق عليه اسم "**الفجر الصادق**".

أما عبارة: ﴿...حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾[٢]

فتوضح المعنى نفسه بشكل تصويري. أما وقت الصوم فيمتد من الإمساك الذي يمتد من بداية الفجر الصادق وحتى دخول وقت صلاة المغرب. وينبغي الإلتزام خلال هذه المدة بشروط الصيام.

أما الذين يعتكفون في المساجد فلا يجوز لهم أن يقربوا نساءهم في أي وقت سواء أكان ذلك في نهار رمضان أو حتى في الليل. والإعتكاف هو التزام المسجد بغرض العبادة والطاعة، ولا يجوز للمعتكف ترك المسجد إلا في الحالات الضرورية فقط مثل دفع الحاجة. والتزام المسجد لمدة حتى لو كانت قصيرة شرط أن

---

١ انظر: الطبري، جـ ٢، ٢٢٣-٢٢٤.
٢ البقرة، ١٨٧.

يكون بنية العبادة، يُعد اعتكاف أيضاً. لقد اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من شهر رمضان، ولم يتأخر عن ذلك قط حتى أنه اعتكف ضعف هذه الأيام (عشرين يوماً) في شهر رمضان الذي سبق وفاته.[١] والاعتكاف من هذه الزاوية سنة مؤكدة عن النبي ﷺ.

٧. الجهاد (سورة التوبة، الآيات ١١١-١١٢)

أما المؤمنين الذين يضحون بأرواحهم وأموالهم في سبيل الله ﷻ، فسيدخلون في الآخرة جنات الخلد؛ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نعيمها، لا يضاهيه أي من نعيم الدنيا المادي:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾

تفسير الآيات:

الآيتان رقم ١١١-١١٢: قال عبد الله بن رواحة ﷺ لرسول الله ﷺ بعد ما بايعه سبعون ونيف من الأنصار ليلة بيعة العقبة الثانية: "اشترط لربك ولنفسك ما شئت."

«أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم»

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟

قال: الجنة.

قالوا: " ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل !"

فنزلت هذه الآية على إثر ذلك.[٢]

يقول الشاعر التركي الشهير فضولي:

أيها القلب! لقد طلب الحبيب روحه؛ ولا يمكن منعه من أخذها!

لا داعي للجدال، فهذه الروح ليست ملكي، وليست ملكك!

---

١ انظر: البخاري، الاعتكاف، ١-٦؛ مسلم، الاعتكاف، ١-٦.

٢ الطبري، جـ ١١، ٤٩/ ١٧٢٧٠؛ القرطبي، جـ ١٣، ٢٦٧.

"الله تعالى وهو أسمى حبيب يطلب هذه الروح التي استودعها أمانة في أجسادنا. فليس من الحكمة الإعراض عن إعطاء الروح تلبية لطلبه تعالى. لأنه لا داعي للجدال، فهذه الروح ليست ملكي ولا ملكك. تلك الروح أمانة استودعها الله تعالى في أجسادنا. "

يعدد المولى سبحانه وتعالى في الآية الكريمة صفات المؤمنين أصحاب الإيمان الكامل الذين لا يتورعون عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﷻ، ويتركون الدنيا بما فيها في سبيل الفوز بالجنة في الآخرة. فيما يلي عرض لهذه الصفات:

١. يبيعون أنفسهم وأموالهم لله ﷻ في سبيل الجنة.
٢. يقاتلون في سبيل الله ﷻ فيقتلون ويُقتلون (يقعون شهداء).
٣. يوقنون أن الله ﷻ هو أصدق القائلين وأن وعده حق في التوراة والإنجيل والقرآن.
٤. يسعدون ببيعهم الرابح.

و الحديث التالي يوضح بجلاء الشرطين الواجب توافرهما عند التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ﷻ أملا في دخول الجنة:

يحكي بشير بن الحصاصة رضي الله عنه ويقول:

أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه فقلت: علام تبايعني يا رسول الله؟ فمد رسول الله ﷺ يده فقال:

«تشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله ﷻ»

قلت:يا رسول الله كلاً نطيق إلا اثنتين فلا أطيقها الزكاة والله مالي إلا عشرة ذو دهن رسل أهلي وحمولتهن وأما الجهاد فاني رجل جبان ويزعمون أن من ولى فقد باء بغضب من الله وأخاف أن حضر القتال أن اخشع بنفسي فافر فابوء بغضب من الله فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ثم قال:

«يا بشير لا صدقة ولا جهاد فبم إذن تدخل الجنة ؟»

قلت يا رسول الله ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته عليهن.[١]

نستمر في صفات المؤمنين:

٥. يتوبون إلى الله ﷻ دائما "توَّابون ".
٦. يداومون على العبادات.

١ أحمد، مسند، جـ ٥، ٢٢٤.

٧. يحمدون الله جل شأنه.

٨. يصومون رمضان. يقصد بكلمة "سائحون " أي التجول من مكان لآخر لتلقي العلم وأخذ العبرة والتَفكُّر، ومن معانيها كذلك الهجرة من مكان لآخر حتى يعيش بدينه بشكل أكثر حرية.[١]

٩. يركعون لله ﷻ.

١٠. يسجدون لله ﷻ. يصلون مع التزام أركان الصلاة من ركوع وسجود وأركان أخرى.

١١. ينشرون ويحثون على الخير والصدق والجمال؛ يجتهدون حتى يضعوا كل الشرور والأفعال الخاطئة نصب أعينهم.

١٢. يراعون حدود الله ﷻ، يراقبون بحساسية حدود الحلال والحرام التي بينها الله تعالى.

٨. الصبر والإمتحان (سورة البقرة، الآيات ١٥٣-١٥٧)

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾

تفسير الآيات:

الآية رقم ١٥٣: الصبر هو أساس جمال الأخلاق، وأصعب الأعمال القلبية. والصبر هو العلاج الوحيد الذي يستطيع به الإنسان كبح جماح أهواء النفس، والإبتعاد عن الآثام ومجابهة البلاء والمصائب. ويأتي الصبر على رأس الطريق الذي يسلكه المسلم بعد الإيمان، وهو رأس الأخلاق، وعلى رأس العلم والعمل. خلاصة القول أن الصبر يأتى على رأس كل نجاح. فعندما يربي الإنسان نفسه ويهذبها سواء من ناحية البدن أو من ناحية الروح، ويعودها الصبر والتحمل حتى تصبح قوية متينة ذات عزم، فإنه يكون بذلك قد حصل على واحد من الأسباب الأولية التي من أجلها يساعد الله تعالى العبد. وقد يكون على النقيض من ذلك ويظهر ضعفاً أخلاقياً فيجزع أمام أصغر المحن، ويشعر باليأس وقلة الحيلة والتذمر. وللصبر جانبان؛ الأول أن يتحمل الإنسان ألم الأحوال التي لا تروق له وينتظر أن تظهر لها نتائج جميلة.

١ انظر: الحاكم، المستدرك، جـ٢ ، ٣٦٥.

ويشبه هذا الجانب الألم الذي يداويه العلاج. فإن لم يرق إلينا لا نستخدمه. أما الجانب الآخر للصبر فهو أن يقف المرء بمنأى عن الملذات والشهوات العابرة ويحذر عواقبها. وهذا الجانب مثل اجتناب طعام شهي به سَم.

نخلص مما سبق أن الصبر عمل قلبي، أما الصلاة فهي أهم وأصعب الأعمال الظاهرية التي أُمِرنا بأدائها. والصلاة معراج المؤمن . وهي أحد أهم الوسائط التي يمكن بها استحضار المساعدة والعون الإلهي. لهذا السبب أمر ربنا العلي المؤمنين جميعاً أن يطلبوا بهاتين الطريقتين العون منه بقدرته التي لا تحدها حدود. فقد كان رسول الله ﷺ إذا صَعُبَ عليه أمر، أو حال لجأ إلى الصلاة على الفور وقرأ هذه الآية الكريمة، فينزل العون من الله تعالى.[١]

لا شك أن الله يكون مع الذين يصبرون في مسألتهم ويكون ذلك بإجابة دعاء الذين يطلبون منه حاجاتهم بالصبر والصلاة، وإرسال العون والمدد لهم. وهذه المعية هي مراقبة دائمة ترتبط بالصبر والصلاة. لقد جاء التأكيد على أهمية الصبر هنا نظراً لأن موضوع الصلاة قد جري ذكره والتأكيد على أهميتها وفضيلتها في عدد آخر من الآيات. يُضاف إلى هذا أنه لا شك أن الله تعالى مع الصابرين وهو مع المصلين بشكل أكبر لأن المداومة على الصلاة من الصبر أيضاً. ومن الضروري هنا أن نوضح أن التأكيد على الصبر في هذه الآية من شأنه تحقيق ارتباطها بالآيات التي سترد بعد ذلك. فهذه الآيات تدعو الإنسان إلى التزام الصبر في المقام الأول حتى يتمكن من النجاح في أشكال الإمتحان التي تتحدث عنها.

الآية رقم ١٥٤: تعد هذه الآية المسلمين على خلفية الجهاد بالنفس حتى يكونوا حازمين صابرين في مواجهة الأزمات التي سيقابلونها، وجهادهم أعداء الدين الذين عقدوا العزم على القضاء على الإسلام. وتحثهم كذلك على التضحية بأنفسهم طواعية في سبيل الله ﷻ حتى يصيروا من الشهداء[٢]. لأن الشهادة في سبيل الله ﷻ ليست كأي موت عادي. وتحض الآية الكريمة الناس على ألا يقولوا لمن يُقتل في سبيل الله ﷻ أنهم "أمواتا". لأنهم أحياء في حياة أخرى لا ندرك كنهها ولا نشعر بها تماماً. لقد رزقهم الله تعالى وجعلهم يعيشون حياةً ملؤها الطمأنينة. لقد اُستُشهد يوم بدر ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين. فظل الناس يقولون على الذين قُتِلوا في سبيل الله ﷻ "أن فلان مات"؛ وأنه حُرِمَ بموته من نعم الدنيا وملذاتها. فنزلت هذه الآية عقب تلك الحادثة. أما الآيات التالية فتوضح بعمق أكثر أحوال الشهداء الرائعة:

---

١ انظر: روح البيان، جـ١، ٢٥٧.

٢ سئل رسول الله ﷺ: عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله ﷻ؟
فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله». (البخاري، العلم، ٤٥؛ مسلم، الإمارة، ١٥٠-١٥١/ ١٩٠٤)

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [١]

قالوا لسلمان الفارسي رضي الله عنه ذات يوم: أوصنا. فقال: كن عند موتك في حال من هذه الأحوال:

١. في الطريق إلى الحج.

٢. في حرب في سبيل الله عز وجل.

٣. وأنت تعمر مسجد الله تعالى.

فإن استطعت فافعل ذلك كله!. [٢]

الآيات ١٥٥-١٥٧: الدنيا هي دار الألم والحزن والإختبار. وهي مكان البلاء والإمتحان. ومن الضروري أن نفهم هذه الحياة ونستعد لها. فمن المؤكد أن كل إنسان يتعرض لأحداث مؤلمة هو في إختبار. ويأتي النقص: الجوع والخوف والنقص في الأموال والأنفس على رأس هذه الإختبارات التي يتعرض لها الإنسان، فيفرق الله تعالى بهذا الشكل بين الذين يصبرون على البلاء ويرضون بقدر الله عز وجل وأولئك الذين لا يصبرون ولا يرضون بما قسم الله عز وجل. لأن الإبتلاءات هي معيار مهم في تمييز الحسن من السيئ وتحديد قيمة الناس. فمن يصبر على البلاء ينجح في الإختبار، ومن لا يصبر فقد خاب وخسر. لهذا السبب يختم الله تعالى الآية بقوله "**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**". وهم أصحاب العقل السليم الذين يعلمون أنهم جاؤا من عند الله عز وجل وإليه سيرجعون، وأن أمر كل الموجودات راجع لله عز وجل كذلك، فلهم البشرى العظيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها» [٣]

إن في قول الشخص الذي نزلت به المصيبة **﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** [٤] الكثير من الفوائد والحكم: فقوله هذا والإنشغال بترديد هذه العبارة يمنع خروج كلمات أخرى غير لائقة من فم الذي نزلت به المصيبة، كما يجد هذا الشخص بهذه الكلمات العزاء والسلوان وتقلل من حدة حزنه. وينقطع بها أمل الشيطان الذي

---

١ آل عمران، ١٦٩-١٧١.

٢ انظر: الحدائق الوردية، ص ٤٠٩.

٣ البخاري، المرضى، ١/ ٥٦٤٠.

٤ البقرة، ١٥٦.

يحاول أن يجعله يتفوه بكلمات لا ترضي الله في هذا الموقف. يكرر هذه العبارة أيضاً الذين يسمعون صاحب المصيبة فيصدرون بذلك تحذير آخر للشيطان. تولد هذه الكلمات التي تُقال باللسان الرغبة لدى القلب ليسلم بقضاء الله وقدره. قال رسول الله ﷺ:

«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم ! أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها – إلا أجره الله في مصيبته. وأخلف له خيرا منها»[١]

لهذا السبب يتحدث فضيلة عزيز محمود هدائي عن أخلاء الله تعالى على النحو التالي:

" أنت العاطي وأنت المانع؛ لا مانع لما أعطيت! "

وتخبرنا الآية الكريمة الأخيرة عن الإحسان والرحمة والبركة التي بشر بها الله تعالى الصابرين. فلهم عند ربهم مغفرة كبيرة ومدحٌ وثناءٌ. وقد جاءت كلمة "صلوات" هنا في حالة الجمع لتعبر عن ذات المعنى. لهم من ربهم رحمة عظيمة غير مقطوعة. فسينعم عليهم الله ﷻ بنعمه التي تدخل عليهم السعادة والنفع في الدنيا والآخرة وستقيهم في الآخرة على وجه الخصوص من كل أنواع الضرر. ولن يدرك هذه المنزلة إلا من أدركوا الهداية فقط. فهم الذين وجدوا أفضل الطرق التي ترشدهم إلى الخضوع إلى الله والرضا بقدره.

يقول الشاعر عارف:

ينبغي على المرءِ أن يلزم السكون بعد الحزن،

لقد أدركت هذه الحقيقة وأنا مازلت طفلاً أتأرجح في سريري

" لا ينبغي على الإنسان إذا ما تعرض لمشكلة أحزنته أن يلجأ إلا الشكوى. لأن هذه الأحوال قد تمنح الإنسان الطمأنينة في قلبه. لقد فهمت هذه الحقيقة وأنا ما زلت طفلا صغيراً أتأرجح في مهدي. حقيقةً لقد أصاب التأرجح رأسي بدوار خفيف، ولكني لا أنكر أنني غصت بعدها في النوم ساكناً مطمئناً "

٩. الرزق الحلال (سورة البقرة، الآيتان ١٧٢-١٧٣)

ينبغي علينا ألا ننسي الأهمية الكبيرة التي أولاها القرآن للقمة الحلال، الطيبة التي يتناولها الإنسان فيتحرك معها قلبه معنويا ويصغي للحقائق السماوية. وتمس الآيات التالية هذه الحقيقة على النحو التالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

١ مسلم، الجنائز، ٤/ ٩١٨.

تفسير الآيات:

الآيتان ١٧٢-١٧٣: توجه الآية رقم ١٦٨ الخطاب للناس جميعاً وتأمرهم أن يأكلوا رزقاً حلالاً طيباً. أما هذه الآية فتبدأ بخطاب المؤمنين، وتطلب منهم:

- أن يأكلوا مما رزقهم الله ﷻ من رزق حلال طيب؛ و أن يجتنبوا كل خبيث حرام.
- أن يشكروا الله ﷻ و يخلصوا له العبادة.

لأن التوازن في الحياة واختبار الله لعباده يقتضي أن يكون بعض من الأشياء التي رزق بها عباده حرام، كما يكون بعضها الآخر حلال، وأن يكون بعضها طيب والبعض الآخر غير ذلك. وفي تلك الحالة ينبغي على الإنسان أن يأكل من الرزق الطيب الحلال الذي اكتسبه بطريق مشروع دون التعدي على حق أحد. وبالقدر الذي يجب على الإنسان فيه أن يكون متزناً في طعامه، فعليه ألا يعد الحلال والرزق الطيب الحسن حراماً أيضاً.

و إن كان المقصود بالأمر " **كُلُوا** " الوارد في الآية الكريمة " **الإباحة** "، فهذا لا يمنع وجوب بعض أو جزء من " الأكل " فقط. لأنه كما أن هناك جزء مباح من الأكل، فهناك جزء آخر فيه صفة الفرض. مثال ذلك، يجب على الإنسان أن يأكل حتى لا يموت. أما إن مات الشخص لأنه لم يأكل على الرغم من توفر الإمكانيات لديه، فإن هذا يعد انتحاراً ومن ثم فهو مذنب. أما تناول الطعام بشكل أكثر من الضروري طلباً للطاقة التي تعينه على العبادة فهو مندوب. الطعام الذي يكفي الإنسان كي يسد جوعه مُباح، أما ما يزيد عن ذلك فحرام. وينضوي الأمر " **كُلُوا** " هنا على كل هؤلاء معاً.

في تلك الحالة سيُؤَمِّن المؤمن احتياجات معيشته من الرزق الحلال الطيب، ويشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من نعم. وسيستخدم كل نعمة يملكها بالإضافة إلى جسده الذي تغذي بهذا الرزق الطيب الحلال، وأعضاء هذا الجسد الظاهر منها والمستتر، سوف يستخدمها جميعاً بما يتناسب مع الغاية من الخلق. لأن توجيه الشكر على هذه النعم بأفضل ما يكون الشكر، هو إظهار للإحترام والتبجيل لمن أنعم بهذه النعمة.

لقد أكد النبي ﷺ على توخي الحذر في الحلال والحرام حتى يستجيب الله تعالى منا الدعاء: فقال ﷺ:

«أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[١] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**...﴾[٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر. أشعث أغبر. يمد يديه إلى السماء. يا رب ! يا رب ! ومطعمة حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام. فأنى يستجاب لذلك ؟»[٣]

---

١ المؤمنون، ٥١.

٢ البقرة، ١٧٢.

٣ مسلم، الزكاة، ٦٥/ ١٠١٥.

و يمكن أخذ جهاد مولانا سيد نور محمود البدوانى (قدس سره) نموذجاً يحتذى في تحري الحلال من الرزق:

"كان مولانا يفعل ما بوسعه حتى لا تدخل لقمة من حرام إلى معدته. فكان يجد القمح الذي سيصنع منه الخبز، ويطحنه، ويعجنه بيده، ثم يقوم بطهيه بنفسه أيضاً. وكان يجفف الخبز، ويتركه في مكان ما، وعندما يشعر بالجوع، يأخذ منه. لم يكن نهماً كثير تناول الطعام، فكان يأخذ مما لديه من طعام ما يسد به جوعه فحسب، ثم يذهب ويستغرق في العبادة. وعدما ينتهي ما لديه من خبز يعاود الكَرَّة ويقوم بصنع الخبز بنفسه من جديد. ثم يضعه في مكانه ويذهب للتعبد. كان كثير الاستغراق في العبادة حتى انحنى ظهره." [1]

لقد بين ربنا جل شأنه الحلال والحرام للإنسان لأنه سبحانه يولى أهمية كبيرة للحياة المادية والمعنوية للإنسان ولسعادته وسلامته في الدنيا والآخرة. لأنه يصعب في كثير من الأحيان تحديد هذه الأمور بشكل كامل بالعقل. لقد تحدثت الآية هنا عن أربعة أنواع من المأكل الحرام نلخصها فيما يلي:

١. **الجيفة (الْمَيْتَةَ)**: حُرِّم لحم الحيوان الذي مات من تلقاء نفسه أو قُتِل بغير ذبح بطريقة صحيحة. يشترط في لحم الحيوان الذي أُحِلَّ أكله أن يكون حياً أثناء الذبح، وأن يكون موته بسبب عملية الذبح لا لسبب آخر.

٢. **الدَّمَ**: حتى إن كان الحيوان مما يؤكل لحمه، فيحرم أكل الدم الذي يسيل من الحيوان حياً كان أو ميتاً، ويوضح هذه النقطة قوله تعالى "دَماً مَّسْفُوحاً" في الآية ١٤٥ من سورة الأنعام. أما الدم الذي يبقي داخل الجسد وفي الكبد والطحال فهو في حكم اللحم حلال أكله.

٣. **لَحْمَ الْخِنْزِيرِ**: حُرمَ أكل الخنزير بشكل قاطع في الإسلام.

٤. حُرِّم لحم الحيوان الذي ذكر عليه عند ذبحه اسم آخر غير اسم الله **(مَا اُهِلَّ بِه لِغَيْرِ اللّٰهِ)**: تقصد الآية بهذه النقطة في المقام الأول الحيوانات التي كانت تُذبح باسم الأصنام وتُقدَّم قرابينا لها. لأن المشركين كانوا يرفعون أصواتهم وهم يذبحون للأصنام ويقولون "باسم اللات، باسم العُزَّي". وقد اختلفت آراء أئمة المذاهب في جواز أو تحريم الأكل من لحم الحيوان الذي ذبحه مسلم أو أي من أهل الكتاب ونسي أو تناسى ذكر البسملة عليه. فيرى الحنفية أنه يحرم الأكل من لحم الحيوان إذا لم يُذكر اسم الله عليه عمداً وعن قصد.

يسمح الله تعالى هنا باستثناء يلقي فيه الضوء على الكيفية التي يجب على المسلم التصرف بمقتضاها في أوقات الضرورة. فلا جناح على الذين لم يجدوا طعاماً حلالاً، ويعانون درجة شديدة من الجوع ستودي بحياتهم إلى التهلكة أو ستؤثر سلباً على أعضاءهم، لا جناح عليهم أن يتناولوا المقدار الضروري فقط مما

١ الحدائق الوردية، ص. ٨٠٨.

حرم الله تعالى. بيد أنه يجب مراعاة شرطين عند الإقدام على هذه الخطوة:

الأول: ينبغي على الشخص الذي يتعرض لهذا الموقف ألا يبغي على شخص آخر في نفس موقفه. مثال ذلك، أن يأخذ من جيفة موجودة إلى جانب شخص آخر يعاني نفس الحالة ويسد جوعه ويترك الآخر وحيداً لا يجد شيئاً يأكله، فإن مات هذا الشخص من الجوع فقد ارتكب الأول إثماً في حق أخيه.

الثاني: ينبغي على الشخص الذي يضطر إلى أكل شيء مما حرمه الله ﷻ، أن يتناول الكمية التي يسد بها جوعه فقط، ولا يتناول ما هو أكثر من هذا. إن الله غفور؛ يغفر كل ذنوب عباده، ويغفر ذنب الشيء الحرام الذي يضطر إلى الأكل منه في ظروف خاصة. الله رحيم؛ لا حدود لرحمته، يرحم عباده بمنحهم الرخص في أوقات المحن كالتي نحن بصدد الحديث عنها.

١٠. التَفكُّر (سورة آل عمران، الآيات ١٨٩-١٩٤)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

تفسير الآيات

الآية رقم ١٨٩: الله تعالى هو المالك لكل ما في السموات والأرض من مخلوقات وهو المدبر لأمورها. هو الغالب والقادر على كل شيء. وسعت قدرته كل شيء. لهذا السبب ينبغي على الكافرين ألا يظنوا أنهم بمنأى عن عذاب الله تعالى. يفعل ما يشاء سبحانه. وجب على كل من يعيشون تحت مظلة ملكه أن يلتزموا أوامره. ومن يخرج عن هذا، فسوف يتعرض لعذاب الله.

الآية رقم ١٩٠: الكافر هو من لا يتمعن في قدرة الله ﷻ من حولنا ويأخذ منها العبر حتى يمكنه إدراك قدرة الله ﷻ وسلطانه الذي لا مثيل له. أوضح هذه الآيات عظمة سبحانه للسموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار طولاً وقصراً في نظام مدهش. وقد رأينا مدى دقة التوازن والوتيرة التي وضعها الله تعالى للكون، ولم نشهد لها خللاً ولو لثانية واحدة على الرغم من توالي العصور. تعرض علينا الآية التفكُّر في كل الموجودات التي تدخل في مفهوم الزمان والمكان. وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يغفلون عن هذا في قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١]

١ يوسف، ١٠٥.

تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها:

لما كان ليلة من الليالي قال لي رسول الله ﷺ:

«يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي»

قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك.

قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي.

قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره.

قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته.

قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**[١]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

"بت في بيت ميمونة ليلة، والنبي ﷺ عندها، لأنظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر، أو بعضه، قعد فنظر إلى السماء، فقرأ: {إن في خلق السماوات والأرض - إلى قوله - لأولي الألباب}... "[٢]

و في رواية أخرى:

" ... فجعل يمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم، ثم أتى شنا معلقا، فأخذه فتوضأ..."[٣]

إن تعود رسول الله ﷺ على قراءة هذه الآيات في التهجد لهو دلالة على أن وقت السحر هو أفضل أوقات التَفَكُّر.

يريد القرآن الكريم للقلوب أن تتخلص من أي شيء غير الخالق، وأن تنال معرفة الله ﷻ. فجاء في آيات سابقة ببعض الأحكام، وأعطي إجابات على أهل الباطل. ولم يبق بعد ذلك سوى أن تُضاء هذه

١ ابن حِبان، جـ ٢، ٣٨٦.
٢ البخاري، التفسير، ٣/ ١٧، ١٨؛ التوحيد، ٢٧.
٣ البخاري، التفسير، ٣/ ١٩؛ أحمد، المُسند، ١ـج، ٢٤٢

القلوب بالصفات العلوية للحق جل شأنه. وستصل سور ومواضيع القرآن الكريم من ناحية أخرى إلى النهاية بالآيات التي تسدي النصح وتسوق العبر بشكل عام.[١] وبذلك تقدم الآيات التي تأتي بعد ذلك موجزاً سريعاً للخصوصيات التي يجب أخذ العبرة منها.

الآية رقم ١٩١: نتعرض في هذه الآية الآن إلى الخصوصيات المتعلقة بإخلاص العبودية لله تعالى بعد أن جري الحديث في الآيات السابقة عن إلوهية الحق سبحانه وقدرته ودلائل حكمته. فكما تحدثت الآية السابقة على كمال الإلوهية لله ﷻ، تتحدث هذه الآية عن كمال العبودية لله جل شأنه. لأن الإنسان إذا ذكر الله وتفكَّر في خلقه وعبده في كل أحواله؛ واقفاً أو جالساً أو مستلقيا أو هو يعمل أو في وقت راحته، إذا تمكن من فعل هذا يكون قد أدرك قوام المؤمن صاحب العقل السليم.

يقول بعض العلماء أن المقصود من كلمة " **الذكر** " الواردة في الآية هو "الصلاة ". أي أن بالآية تحفيز للمؤمن كي يُكثِر من الصلاة في كل وقت وعلى أي حال؛ فإن كان قادراً فليصل واقفاً، وعندما يصيبه التعب فيمكنه الصلاة قاعداً، أما في حالة المرض فلا مانع إن صلى من المكان الذي يرقد فيه.

إن الاستغراق في التفكر بعمق في خلق السموات والأرض، ومحاولة إدراك الحكمة والسر من وراء خلقها له أهمية كبيرة في إدراك الوصول إلى الشعور بالعبودية لله تعالى. ويبدأ الإنسان الذي يستغرق في تفكُّر بهذا الشكل، يبدأ في فهم الحكمة مدركاً عظمة الله تعالى وقدرته. ويدرك أنه جل شأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما لاعباً، بلا غاية ولا نظام .[٢] وأن خلقها جاء لحكمة وغاية.[٣]

وبهذا الشكل يلجأ إلى الله ذلك الشخص الذي يتفكر في مخلوقاته جل شأنه ومن ثم يقترب من إدراك العظمة الإلهية، وينظم حياته بما يتناسب مع الآخرة فيستعد إلى يوم الحساب العظيم.

من كلمات ضيا باشا الجميلة في هذا الشأن:

في أوراق كتاب الكون تُقرأ آلاف من دروس المعارف

كم هي جميلة تلك المدرسة، مدرسة الكون.

"تُقرأ آلاف من المعارف الإلهية في كل صفحة من صفحات كتاب الكون، وفي كل ورقة من مليارات الأشجار. ربي! حقاً كم هي جميلة مدرسة الكون لكل صاحب عقل ووعي وعرفان يستطيع أن يفهم ما بها من دروس".

قال أبو سليمان:

---

١ ابن عاشور، جـ ٤، ١٩٦.

٢ انظر: الأنبياء، ١٦؛ ص، ٢٧؛ الدخان، ٣٨.

٣ انظر:. الحجر، ٨٥؛ الأحقاف، ٣.

" أخرج من بيتي، أرى نعمة الله ﷻ عليَّ في كل شيء يقع عليه بصري. على الأقل أستخلص منه عبرةً، وأخرج بدرس "

قال حسن البصري:

" التَفَكُّر مدةً، خير من قضاء ليلة كاملة في التعبد بلا شعور "

قال عيسى عليه السلام:

" البشرى لمن حديثهم نصيحة، وسكوتهم تفَكُّر، ونظرتهم عِبرة "

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

" الكلام بذكر الله ﷻ حسن، والفكرة في نِعَم الله أفضل العبادة "

قال أهل الحكمة:

" من نظر إلى الدنيا ولم يستخلص العبرة، فقد ضعفت عين قلبه على قدر غفلته"

قال بشر بن الحارث الحافي:

" لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله "

قال عامر بن عبد قيس:

" سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر ". [١]

يستمر المؤمنون الذين يتفكرون في السموات والأرض، ويقفون مشدوهين أمام العظمة الإلهية، يستمرون في عباداتهم بخشوع كبير مضيفين لتفكرهم الدعاء والتضرع.

إن استخدام تعبير " **سُبْحَانَكَ** " فيه إقرار وتصديق بعجز العقل الإنساني عن إدراك الحكمة الإلهية من خلق السموات والأرض. فالله ﷻ لم يخلقها عبثاً، وإن كنا غير قادرين على إدراك ذلك بعقولنا، فيكفي أن نعرف أنها خُلِقت بحكم سامية وأسرار عميقة. ولكلمة " **سبحان** " معنى آخر هو " **الذات التي تسبحها كافة المخلوقات من دون توقف** ". لأن هناك عدداً كبيراً من الآيات التي تخبر بأن كل شيء في السموات والأرض إلا ويسبح بحمد الله من دون توقف.[٢]

ينبغي على كل شخص يريد أن يتوجه إلى الله ﷻ بالدعاء، أن يصل أولا إلى الخشوع عن طريق الذكر والتفكر كما تخبر الآية، ثم يثني من بعد ذلك على الله تعالى ويذكر طلبه.

---

١ للإطلاع على هذه الأقوال انظر: ابن كثير، جـ ١، ٤٤٧

٢ انظر: الإسراء، ٤٤؛ الحديد، ١؛ الصف، ١؛ الجمعة، ١؛ التغابن، ١.

ورد في هذه الآية كذلك أوصاف الأشخاص ذوي العقول الطاهرة. وكلما تمكن الشخص من أن الذكر والتفكر واللجوء إلى الله ﷻ، وإذا تمكن كذلك من أخذ العبرة من العجائب الإلهية الموجودة حوله، فإنه يعتبر حينئذٍ صاحب عقل سليم بنفس القدر تماماً.

و في الوقت الذي تحث فيه هذه الآية المسلمين على التفكر؛ فإنها تحفزهم كذلك البحث في علم الطبيعة مثل الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، وتعطي القائمين على هذه الدراسات درساً أيضاً.

و ها هو نموذج من القرآن الكريم لدعاء ولجوء المؤمنين إلى الله متضرعين أن يقيهم عذاب جهنم:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾[١]

تفسير الآيات

الآية رقم ١٩٢: إن النجاة من النار ودخول الجنة هي ذروة النعم التي أنعم بها الله جل شأنه على المؤمنين. وجهنم هي تجلٍ لغضب الحق القاهر سبحانه، وهي مكان للعذاب المادي والمعنوي معاً. وهناك سترى أبدان السوء. ورد في الآية الكريمة كذلك أن الذين سيدخلون جهنم هم أرازل الناس وشرارهم، وهذا يُشعر بأن يوم القيامة هي البلاء الأشد الذي سيتعرض له هؤلاء القوم.

أما أصحاب العقل السليم فهم الذين يستعيذون بالله ﷻ من عذاب جهنم. بيد أن غرضهم من الدعاء كما نفهم من الآية الكريمة هو ألا يكونوا ممن يخزيهم الله تعالى يوم القيامة. لأن ظهور العبد بذنوبه يوم القيامة أمام الله تعالى الموصوف بصفات الكمال ومعاقبة المولى سبحانه له بإدخاله جهنم هو وسيلة عظيمة للتحقير يخزي الله ﷻ بها عباده المذنبين. وهل هناك ما هو أعظم من هذا عذاب لأصحاب القلوب الرقيقة! فهذا هو الهلاك الأصلي بالنسبة لهم. لهذا السبب جاءت الآية رقم ١٩٤ على الفور لتبين كيف ندعو ربنا العلي حتى لا يخزينا يوم القيامة. وقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه حتى لا يخزيه يوم يبعث الناس للحساب.[٢]

الحكم يومئذٍ لله ﷻ. فلن يتدخل أحد يومئذٍ ليقدم يد العون لأولئك الذين استمروا في كفرهم وظلموا أنفسهم.

---

١ آل عمران، ١٩٢-١٩٤.

٢ انظر: الشعراء، ٨٧.

الآية رقم ١٩٣ : إن السبيل الوحيد الذي يمكن لأصحاب العقل السليم الذين يريدون أن يتخلصوا من عذابٍ معنوي عظيم مثل شعورهم بالخزي في حضرة الله تعالى وألا يقفوا موقف العاجز يوم القيامة، هو أن يلتزموا ما جاء في القرآن الكريم من أحكام ويطيعوا رسول الله ﷺ الذي دعانا للإيمان ونادي فينا قائلاً " **اٰمِنُوا بِرَبِّكُمْ** "، وقدم في سبيل ذلك الأدلة الواضحة المقنعة. وأول شيء ينبغي على المؤمن فعله بعد مرحلة الإيمان هو العمل على تطهير نفسه باجتناب الإثم والمعاصي.

نفهم من الآية أن أي مسلم يمكنه أن يطلب العفو من الله جل شأنه باتخاذه الإيمان وطاعة رسول الله ﷺ وسيلة له في هذا. وينبغي عليه من بعد هذا أن يصبح من عباد الله الطائعين الصالحين، ويظل على هذا الحال حتى النفس الأخير. أي أنه ينبغي على أي مؤمن أن يعيش والله عنه راض، وأن يكون وجوده مع أناس على نفس الشاكلة، ويدعو الله ﷻ أن يحشره معهم يوم القيامة. وينبغي علينا ألا ننسي أن الشخص يُحشر على الحال الذي مات عليه.(١)

يقول الله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢)

و قد ورد في الحديث الشريف كذلك، أن رسول الله ﷺ قال:

«يبعث كل عبد على ما مات عليه» (٣)

يُفهم من الجزء الأخير من الآية أن المؤمنين أهل التفكر يحبون لقاء الله تعالى في الآخرة. ويبين رسول الله ﷺ هذه النقطة في قوله:

«من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه،...» (٤)

الآية رقم ١٩٤ : يتضرع المؤمنون الذين يخشون أن يقفوا في موقف مخز أمام الله ، يتضرعون إلى الله ﷻ في أدعيتهم قائلين " **لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ** ". وهم يعوِّلون في أدعيتهم على وعد الحق سبحانه لهم:

﴿...يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...﴾ (٥)

١ انظر: المناوي، الفوز، جـ ٥ ، ٦٦٣؛ الزمخشري،جـ ٥، ٢٤٧.

٢ الجاثية، ٢١.

٣ مسلم، الجنة، ٨٣/ ٢٨٧٨.

٤ البخاري، الرقاق، ٤١/ ٦٥٠٧؛ مسلم، الذكر، ١٤-١٧/ ٢٦٨٣.

٥ التحريم، ٨.

يخاطب المؤمنون ربهم؛ "ما دمت ربنا قد وعدت أنك لن تخزي الرسول والذين آمنوا معه، فها نحن قد آمنا، ربنا لا تُخزنا نحن أيضاً في ذلك اليوم! ". وهم يظهرون بذلك ثقتهم بالله تعالى وحسن الظن به. تماماً كما فعل هذا الخبّاز:

كان هناك خَبّاز غريب الأطوار. كانوا إذا أعطوه نقوداً مزيفة أخذها ولم يردها على الرغم من علمه بأنها بحقيقتها، فكان يأخذها ولا يخبر مقابله بهذا ويعطي الخبز الذي يُطلب منه مقابل المال. تعجب الجميع لحال هذا الرجل ولم يفهم أحد سبب فعله هذا الأمر. وعندما حانت ساعة وفاة هذا الرجل، رفع كفيه إلى الله وتضرع إليه وقال:

" إلهي! أنت تعلم أن الناس قد جاؤا إليَّ بدراهم مزيفة لسنوات وأني أعطيت إليهم حاجاتهم من الخبز ولم أرد عليهم المال. إلهي! ها أنا ذا قادم إليك بطاعة غير حقيقية مزيفة؛ فلا تردها على!... "

تبين الآية الكريمة أنه كما وعد الله تعالى المؤمنين بالثواب والعون والسعادة، فإنه توعد الفاسقين كذلك بالعذاب. ويمكن تلخيص المعنى المفهوم من الآية على النحو التالي:

" إلهي! وفقنا للقيام بالأعمال التي تجعلنا ننال ما وعدت به، واحفظنا بعيداً عن الأعمال التي تجعلنا نتعرض للعذاب!" آمين!

قال جعفر الصادق (قُدِّس سره):

" إنه من حزبه أمر فقال خمس مرات "ربنا" أنجاه الله ﷻ مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرؤوا إن شئتم "الذين يذكرون الله ﷻ قياما وقعودا وعلى جنوبهم "إلى قوله" إنك لا تخلف الميعاد". [1]

١١. الموت والإستعداد له (سورة الواقعة، الآيات ٨٣-٩٥)

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥)
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ
مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾

---

١ القرطبي، جـ ٤، ٣١٨.

تفسير الآيات:

الآيات ٨٣-٨٧: تُركت للإنسان الحرية كي يفعل ما يشاء. ولكن عندما يأتيه الموت يُنزع منه هذا الإختيار، ولا يصبح لديه إرادة، ويصبح مُسيراً يسير في اتجاه إجباري هو اتجاه الآخرة الذي لا يملك الإرادة فيه إلا الله وحده. فلم ولن يكن لأحد المقدرة على إرجاع الروح مرة أخرى إذا بلغت الحلقوم أو أن يوقف هذا المسار الضروري. وبذلك يدعو الله تعالى الذين ينكرون البعث بعد الموت إلى التفكير في حقيقة الموت الذي لا مفر لأحد منه، ويدعوه إلى التسليم بقدرة الله ﷻ المطلقة وسلطانه على العباد، ويجعلهم يشعرون بالعجز من ناحية عن طريق الدفع بهم إلى عمل لن يستطيعوا أن يحققوا أي نجاح فيه، ويضمن إدراكهم للحقيقة من ناحية أخرى، وبذلك يتيح للعباد الإمكانية للنجاة الأبدية.

الموت غير مشروط بعمر محدد. فكل واحد منا مرشح لأن يأتيه أجله في أي وقت لا فرق في هذا بين الطفل الذي فتح عينيه حديثاً على الحياة والشيخ الذي أدرك المائة عام. فلو أن لدينا فسحة من الوقت، وذهبنا إلى مقابر الأطفال في استانبول، وأتيحت لنا الفرصة أثناء وجودنا أن نشاهد جنازة طفل جاؤا به إلى هناك، فسيساعدنا هذا الأمر على إدراك الحقيقة بكل وضوح دون أن نشعر بحاجة إلى التفوه بكلمة واحدة. طفل عمره ثلاثة أشهر، ستة أشهر، سنة؛ أطفال في ربيع العمر في الثالثة أو الخامسة من العمر يتمددون في القبر، ويبدءون في رحلة الآخرة. آباء وأمهات يقفون على شواهد القبور كسيري القلب، كئيبي الوجوه، دامعي الأعين.

تعبر هذه الخاطرة عن صورة حزينة تجسم بألم الموت على القلوب وتحول أعيننا وقلوبنا عن الدنيا الفانية وتوجهها إلي العالم الآخر:

تأثر طاهر المولوي شارح كتاب المثنوي (رحمه الله) لمأساة أم توفيت هي وتوأماها أثناء عملية الولادة. وأخذ يسأل عن أقاربها حتى وجدهم. وقال لهم:

" وددت لو كتبت تعزية على شاهد قبر هؤلاء الموتى الثلاثة!"

و عبَّر بحس رقيق بهذه الرباعية عن شفقة ورحمة قلب الأم:

لم يمهلنى الأجل كي أحتضن ولديَّ........فجاء بي إلى القبر مع ولديَّ اليتيمين

ربي! جئت إليك بطفلاي اليتيمين..........جئت إليك ممسكاً بيد اليتيمين.

" جعلني الأجل مع ولديَّ الحبيبين من سكان القبور، ولم يمهلني حتى أحتضنهما وأشبع منهما في تلك الحياة الدنيا. ربي! لقد جئت إليك أمسك بيدي طفلين يتيمين."

خلاصة القول؛ أننا لو تحركنا في ظل وجود هذه الفرصة السحرية التي يطلق عليها اسم العمر من منطلق نمط الحياة التي حددها القرآن الكريم واضعين نصب أعيننا هذه الحقيقة التي لا محيص عنها، والنهاية التي لا بد منها، فسوف يكون هذا أكثر صحة وأكثر نفعا بالنسبة إلينا.

الآيات ٨٨-٩٥: ينقسم الناس كما بينت الآيات في بداية السورة في أرض المحشر حسب إيمانهم وأعمالهم إلى ثلاث زمر:

١. **زمرة الْمُقَرَّبين**: هي أسمى زمرة وتأتي في المقدمة. وهؤلاء سينعم الله عليهم بنعم يمكن تلخيصها في الآتي:

- **الروح**: حياة الخلد حيث الراحة الأبدية، والرحمة، والسرور.
- **الريحان**: رزق طيب الرائحة.
- **جنة النعيم**: جنة مملوءة بالسعادة والسرور والنعم التي لا يشوبها الحزن.

قال رسول الله ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث**»[١]

٢. **زمرة أَصْحَابِ الْيَمِينِ**: وتأتي في المرتبة الثانية وهم أيضاً من أصحاب الجنان عافاهم الله من كل أنواع الضرر والبلاء والحزن، فيسلم كل منهم على الآخر. وتلقي عليهم الملائكة السلام كذلك.

٣. **زمرة أصحاب الشمال**: " المجرمون الذين كذّبوا بالبينات "، وهم الذين تحدثنا عنهم من قبل، وأولئك فسيدخلون جهنم، ويتقلبون في لهيبها المتقد ويشربون من مائها الذي يغلي.

هذا ما سيقع حقاً لا مجال للهزل فيه.

الآية رقم ٩٦: فإن لم يؤمن الكافرون فهذه هي الحقيقة أيضا. وفي تلك الحالة يجب التسبيح باسم الله العظيم دون التعويل على إيمانهم أو عكس ذلك. **لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**[٢] قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**» فلما نزلت لما نزلت ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾[٣] قال: «**اجعلوها في سجودكم**»[٤]

يوصينا رسول الله ﷺ في الحديث الشريف التالي كذلك بتسبيح اسم ربنا على النحو التالي:

«**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن. سبحان الله وبحمده. سبحان الله العظيم**»[٥]

و قال ﷺ: «**ومن قال: سبحان الله وبحمده، في يوم، مائة مرة، حطت خطاياه. ولو كانت مثل زبد البحر**»[٦]

---

١ ابن ماجه، الزهد، ٣٢/ ٤٢٧١؛ النسائي، الجنائز، ١١٧.
٢ الواقعة، ٩٦.
٣ الأعلى، ١.
٤ أبو داود، الصلاة، ١٤٦-١٤٧/ ٨٦٩.
٥ البخاري، الإيمان، ١٩/ ٦٦٨٢؛ مسلم، الدعوات، ٣١/ ٢٦٩٤.
٦ البخاري، الدعوات،، ٦٥٦٤؛ مسلم، الذكر، ٢٨/ ٢٦٩١.

١٢. الدعاء (سورة الأعراف، الآيتان ٥٥-٥٦)

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾

تفسير الآيات:

الآيتان ٥٥-٥٦: الدعاء هو توجه العبد إلى ربه ﷻ يطلب حاجاته شريطة مراعاة آداب الدعاء. والدعاء هو الداعم للمؤمن وجوهر العبادة. والله ﷻ يجيب على كل الأدعية ويقبلها واحدا واحداً. لأنه جل شأنه يقول ﴿... **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**...﴾ [١] . بيد أنه يُشترط لقبول الدعاء الإخلاص والصدق وانكسار القلب والتضرع لله ﷻ. فلا يصح أن يتوجه من يدعو ويصيح طالباً حاجته مباشرة كمن يوجه الأمر إلى الله والعياذ بالله. لهذا السبب أُمرنا أنا ندعو الله ﷻ خفية مُتضرعين إليه خائفين من عذابه راجين رحمته. وفي الوقت الذي يقوم فيه من يتخطون حدودهم في هذا الخصوص مع الله ﷻ ويفعلون أموراً لا يحبها جل شأنه، نجد أن البشرى برحمة الله ﷻ ورضوانه تكون من نصيب الذين يتقنون ما يفعلون ويتعقبون الخير حيث كان ويبتعدون عن كل أنواع الفتنة والفساد.

وتوضح هذه الحادثة التي نقلها أبو موسى الأشعري الآداب التي يجب على المؤمن إتباعها في الدعاء:

كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبّرنا، فقال:

«**اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً**»[٢]

أما النهي الوارد في الآية في قوله سبحانه تعالى ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**... ﴾ فيُفهم منه المعاني التالية: لقد خلق الحق سبحانه وتعاى الأرض، ووضع لها نظامها ووضع تحت أمرة بني آدم كل النعم التي تؤمِّن احتياجاتهم. كما أرسل الأنبياء وانزل الكتب السماوية تبين لهم كيف تُؤدّي العبادات. وحمَّل الإنسان مسئولية استخدام هذه النعم بالشكل الذي يرضى عنه الله ﷻ، وكلفهم بمهمة الحفاظ على هذا النظام الذي أقامه وضمان استمراريته. وحتى يمكنه إيفاء هذه المهمة التي كلفه إياها بنجاح فكان الإلزام بضرورة فهم التعليمات الإلهية وتطبيقها على نحو جيد في شكل النهي " **لَا تُفْسِدُوا** ". خلاصة القول أن الأمر الذي جاء من الله تعالى يلزم الإنسان بعدم إفساد أي شيء منظم في هذه الدنيا. وفي السياق نفسه يشمل هذا التحريم الأضرار التي يتعرض لها الإنسان بسبب القتل والإصابة وانتهاك حق الغير والسرقة؛ والأضرار التي يتعرض لها الدين بسبب الإنكار والبدع؛ والأضرار التي تلحق بشرف وعرض

---

١ غافر، ٦٠.

٢ البخاري، التوحيد، ٩/ ٧٣٨٦؛ مسلم، الذكر، ٤٤-٤٥.

الفرد والعائلة بسبب الزنا واللواط والاغتصاب؛ والأضرار التي تلحق بالعقل بسبب المسكرات. لأن هناك خمسة حقوق ومنافع رئيسة تتعلق بالإنسان في الحياة الدنيا: "**الروح، المال، النسب، الدين، العقل**". لذلك يُلزم الأمر " **لَا تُفْسِدُوا** " بضرورة حماية الأشياء التي تتعلق بالحقوق والمنافع فيما يخص هذه الأشياء. وإذا لم يقم الإنسان بكل ما هو ضروري لحماية هذه الأشياء والمحافظة عليها، فستسود الفوضى ويفسد النظام الذي أرسي قواعده المولى ﷻ.

١٣. الذِكر (سورة الأعراف، الآيتان ٢٠٥-٢٠٦)

انشغال الإنسان في نفسه بذكر الله ﷻ بالطريقة التي تبينها الآية الكريمة التالية هي السبيل الأهم لعبودية الله ﷻ:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾

تفسير الآيات:

الآية رقم ٢٠٥: تأمر الآية الكريمة بذكر الله ﷻ خِفيَةً وتعلمه كذلك آداب الذكر: هذا الذكر لا يكون إلا بالقلب والروح في العالم الداخلي للإنسان، ولا يكون إلا باقشعرار الجسد والتضرع والتوسل لله بالقلب والفكر معاً. هذا الذكر يكون بصوت ليس بالجهوري وليس بالسري تماما؛ أي بصوت يمكن للشخص سماع صوته هو فيه. يكون في الصباح والمساء أي في كل وقت بلا انقطاع. فإذا صار الدعاء على هذا الشكل ذهبت الغفلة، وأصبح القلب يقظاً دائماً وداوم الإنسان على ذكر الله ومن ثم شعر باسمى درجات المحبة له، كما ينتابه إحساس أنه أصبح في معية الله ﷻ. ويصير الذكر بهذا الشكل أكثر العبادات نفعاً للإنسان، ويسهم في الرقي بمعنويات المؤمن وأخلاقه الحميدة. و للآية تفسير إشارى يمكن توضيحه في الآتي:

" **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ** ": اذكره في نفسك بالأفعال والأخلاق والذات؛ بتغيير أفعال النفس بالأعمال التي أمر بها الله ﷻ، وتغيير أخلاق النفس بالأخلاق التي حث عليها الله ﷻ، وتغيير وجود النفس بالفناء في ذات الله ﷻ. يقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...»[١]

وتعبر الآية **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ...﴾**[٢] عن سر هذه الآية كذلك.

١ البخاري، التوحيد، ١٥، ٤٣/ ٧٤٠٥؛ مسلم، الذكر، ١٨-١٩.

٢ البقرة، ١٥٢.

و هناك صعوبة في التضرع بالشكل الوارد في الآية:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ ...﴾. والسبب في هذا أن الإنسان يجد في بداية الذكر بعض الصعوبات الظاهرية بسبب ما تقتضيه عملية تغيير أفعال النفس الأمارة بالسوء بالأعمال الأخرى التي أمر الله تعالى بها. أما المرحلة الوسطى من الذكر فتكون بذكر الله ﷻ خفيةً عن طريق التخلق بالخلق الذي حث عليه سبحانه وتعالى والتأدب بآداب الطريقة. ثم تأتي بعد ذلك المرحلة النهائية للذكر والتي لا تتأتى إلا بفناء الشخص في ذات الله ﷻ بأنوار الحقيقة حتى أنه يُمنع من ذكر الله ﷻ بالكلمات علانية.

" **اذكر ربك ...... بالغدو والآصال** ": المقصود من كلمة " الغدو" أي صباح الأزل، أما الآصال فيشير إلى مساء الأبد. لأن الذكر الحقيقي والمذكور الحقيقي هو الذاكر الحقيقي. والذاكر والمذكور في حقيقة الأمر هو الله الأبدي الأزلي. لأنه تعالى يقول: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ...﴾ [١]. إن ذكر الله تعالى لعباده في الأزل، كان في الوقت الذي خاطبهم. فهو الذاكر والمذكور أيضاً. لهذا السبب لا يستطيع أحد من البشر أن يذكر الله بمعنى الذكر الحقيقي غير الله نفسه. من أجل هذا قال الله تعالى ﴿...**وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**﴾ الذين لا يعرفون أن الذاكر والمذكور هو الله تعالى.[٢]

و المثال التالي يوضح انشغال القلب الدائم بذكر الله ﷻ وعدم الغفلة للحظة واحدة عنه:

روي أن عيسى عليه السلام صادف مريضاً وقد انتشر فوق جلده بقع وتهدلت وجنتاه. وكان يناجي ربه غافلاً عما به ألَمَّ به من مرض:

" ربي! الحمد والثناء لك بأن عافيتني مما ابتليت به كثيراً من الناس! "

فتوجه إليه سيدنا عيسى عليه السلام يتحدث إليه كي يفهم مستوى إدراك مخاطبه ويمعن في كلامه المعنوي، وقال له: " أيها الرجل! أي مرض عافاك الله منه؟!"

فأجابه المريض: "يا روح الله! إن أشد الأمراض فتكاً أن يغفل القلب ويُحرم من الحق. أشكر الله أنني اشعر بلذة وفوز المعية مع الله تعالى، فكاني لا أعلم شيء عما في بدني من أمراض..."

الآية رقم ٢٠٦: المقصود بـ " الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ " الواردة في الآية هم الملائكة المكرمين الذين تحدثت عنهم الآية الكريمة: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**...﴾ [٣]

---

١ البقرة، ١٥٢.

٢ انظر: روح البيان، جـ٣، ٣٩٣.

٣ الزمر، ٧٥.

ويطلق عليهم في الوقت نفسه اسم " الملأ الأعلى ". وهؤلاء لا يستكبرون ولا يَكُفُّون لحظة واحدة عن ذكر الله. يسبحونه ويسجدون له دائماً. وقد تحدث في هذا الخصوص آيه أخرى هي:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾ [١]

و ما دامت الملائكة المقربون أنفسهم والذين تتحدث عنهم الآيات لا يتوقفون للحظة عن عبادة الله ويداومون على التسبيح والسجود له، فمن الطبيعي يكون أولئك الذين يرتكبون الإثم في كل لحظة، أن يكونوا في أشد الحاجة إلى العبادة. من هنا وجب على الناس أن يدركوا أن العبادة التي هي الغرض الأساسي من خلق الإنسان هي أعظم شرف وأن يسبحوا الله ﷻ وأن ينكبّوا له ساجدين في تواضع وخضوع تامين، وأن يدركوا أن رضى الله ﷻ غاية تسمو فوق أهواء أنفسهم حتى يصلوا إلى نمط الحياة وشعور العبودية مثل الملائكة المشار إليهم في الآية الكريمة.

و ينبغي على أي أحد يتلو هذه الآية في أي وقت أن يخر ساجداً. وفي حق السجدة يقول رسول الله ﷺ:

«**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي. يقول: يا ويله.** -وفي رواية أبي كريب يا ويلي-. **أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة. وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**» [٢]

١٤. التقوى (سورة الحجرات، الآية ١٣)

الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى.

يحمي الإسلام حقوق الإنسان جميعها، ويوليها أعظم قيمة وهو يتبنى للإنسانية هذه القيم السامية ويحثها على التسلق نحو نقاط القمة في التقوى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

تفسير الآية:

الآية رقم ١٣: إذا كانت الآيات السابقة تخاطب المؤمنين، فإن الخطاب في هذه الآية قد جاء موجهاً إلى كل الناس. لأن الرسالة التي تود الآية إرسالها موجهة هنا للإنسانية كلها ولا تخص المسلمين وحدهم. فقد جاءت الآيات التي نحن بصدد الحديث عنها لتوضح مبدأ المساواة بين الناس على أساس أنهم جميعا خلق

---

١ الأنبياء، ١٩-٢٠.

٢ مسلم، الإيمان، ١٣٣/ ٨١.

الله ﷻ، وأن فضل شخص على آخر لا يرتبط بالقبيلة التي ينتمي إليها أو بالنسب والعرق والمال والمُلك، وإنما هو أمر موقوف على الفضيلة الأخلاقية ومستوي التقوى الذي سيرتقي إليه بإرادته الحرة فقط.

لقد كان سيدنا آدم عليه السلام والسيدة حواء أول من خلق الله تعالى من البشر. وبعد ذلك جاء خلق الإنسانية جميعها بالتسلسل. وقد قسم الله تعالى الناس إلى أمم وأعراق وأقوام وقبائل وعشائر. كل أمة تتحدث لغةً مختلفة عن الأخرى؛ وكونت كل منها عادات وتقاليد وأعراف خاصة بها. ولكن الله تعالى لم يفعل هذا ليكون سبباً للتفاخر أو التنازع بينهم، وإنما جاء ليتعرف كل منهم على الآخر، ويتعرف على ثقافته وحضارته، وحتى يُعَمِّروا الدنيا مشاركةً ويستفيدوا مما وفر الله ﷻ لهم من إمكانات في الدنيا. لا حق لأحد أن يتفاخر بعائلته التي ينتمي إليها أو بقبيلته أو بعرقه. لأن الناس كلهم جاؤا من نسل ذكر واحد وأنثى واحدة. ولم يُعط حق الإختيار لأحد كي يختار أمه وأباه. وليس من الحكمة أن يفتخر الإنسان أو يعيب على شيء ليس من كسبه هو ولا دخل له به.

لهذا السبب لم ترتبط قيمة الإنسان عند الله ﷻ باختيار لا يملك من أمره شيئاً مثل العرق والنسب، وحُددت التقوى التي يكسبها الإنسان باختياره ونيته وجهده أي التزامه أوامر الله وفضائل الأخلاق واجتنابه نواهيه، حددت لتكون هي المعيار للمفاضلة بين الناس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن»؟

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال:

«اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب» [١]

إنها حقيقة تاريخية، فقد ساد في العرب وبقوة في الفترة التي نزل فيها الإسلام عادة التفاخر بين الأقوام والقبائل والتعالي على الآخرين ظناً أنهم أفضل منهم. لذلك كان من الصعب على كثير من الناس أن يتقبلوا إعلان الإسلام المساواة بين الناس.

فقد كانت بعض العائلات ذات النسب الرفيع يمتنعون عن تزويج بناتهم من شباب ينتمون إلى قبيلة أقل شأناً أو أن يكون هؤلاء الشباب فقراءً أو من العبيد المحررين. فجاء رسول الله ﷺ وجادل هؤلاء، وحاول أن يهذب من سلوكهم مستعيناً بالصبر.

---

١ الترمذي، جـ٤، ٥٥١/ ٢٣٠٥.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»(١)

و قد نادي الرسول ﷺ في الناس في خطبة الوداع الشهيرة، وقال:

«يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ ، قالوا: "بلى يا رسول الله"، **قال: فليبلغ الشاهد الغائب»** (٢)

التقوى هي معيار تقييم المسلم في الإسلام، وهي السبيل الوحيد للتقرب إلى الله ورسوله. وبالتقوى يسيطر وقار الله ﷻ وخشيته على كل أركان القلب، وتنفذ الروح إلى ألطف الدقائق وأكثرها حساسية، وبذلك يترك العبد بتأثير من حس التقوى العالي عنده، يترك أي فكر أو كلمة أو فعل أو سلوك لا يرضى الله عنه، ويسارع في المقابل من ذلك إلى بذل طاقته كلها من أجل نيةٍ أو فعل أو سلوك جميل يُرضي به الله تعالى. وفي الحادثة التالية التي رواها عن نفسه ذلك الصحابي الجليل معاذ بن جبل ؓ الذي أحبه رسول الله ﷺ كثيراً وأولى الاهتمام بتربيته وتنشئته، ما يدعو للاهتمام:

عن معاذ بن جبل ؓ قال لما بثعه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال:

«يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»

فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال:

«إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» (٣)

و قال فخر الكون ﷺ كذلك:

«... إنّما أوليائي المتقون، ...» (٤)

١ أبو داود، التفاخر بالأنساب، جـ ٤، ٣٣١/ ٥١١٦؛ أحمد، مسند، جـ ١٤، ٣٤٩/ ٨٧٣٦.
٢ البيهقي، شعب الإيمان، جـ٧، ١٣٢/ ٤٧٧٤؛ أحمد، مسند، جـ ٥، ٤١١.
٣ أحمد، مسند، جـ ٥، ٢٣٥/ ٢٢١٠٥.
٤ أبو داود، الفتن، ١/ ٤٢٤٢.

فليعلم الذين يعرفون أمور الدين الذين لا يعرفون حتى يصل الإنسان إلى مرتبة المؤمن الراشد وينفذ إلى حقيقة الإيمان والإسلام وهذا ليس بالأمر الهين. لهذا السبب تبقى الحاجة إلى دفع ثمن العلم والعرفان والتربية والتزكية والعمل بإخلاص.

١٥. تبليغ الرسالة والإرشاد (سورة المائدة، الآية ٦٧)

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾

تفسير الآية:

الآية رقم ٦٧: يقع على الأنبياء الذين قالوا **﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**[١]، تقع عليهم مسئولية إبلاغ أوامر الله تعالى للناس دون حجب شيء منها أو إحداث أي تغيير فيها. لهذا السبب تحذر هذه الآية الكريمة بشكل جاد النبي ﷺ ومن سيقوم بمهمة التبليغ ممن يجيء من بعده من ورثة الأنبياء بضرورة توخي الحذر في هذا الأمر وعدم حجب أي معلومة تتعلق بالدين، وتحثهم على الاستمرار في أداء هذه المهمة حتى في أصعب الظروف. وقد رُوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قولها:

"من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله عز وجل فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...﴾**[٢]"[٣]

يتعرض الشخص الذي يهمل مهمة تبليغ رسالات الله عز وجل لعذاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة معاً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له ما لك إلي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني."[٤]

و قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه:

" الشخص الذي يقرأ القرآن الكريم ويعي ما جاء فيه فقد صار مكلفاً بالأشياء التي كُلِّف بإبلاغها الأنبياء. لأن يعد من ورثة الأنبياء. "[٥]

---

١ يس، ١٧.

٢ المائدة، ٦٧.

٣ البخاري، التوحيد، ٤٦؛ مسلم، الإيمان، ٢٨٧.

٤ المنذري، الترغيب والترهيب، بيروت ١٤١٧، جـ٣، ١٦٤/ ٣٥٠٦.

٥ انظر: موسوعة الأولياء، جـ١، ٢٢٦.

أما قوله تعالى " **وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** " ففيها إخبار لرسول الله ﷺ أن الحق سبحانه وتعالى سيؤمِّنه ويحميه من بطش أى أحد طيلة حياته. ومن هذا التاريخ فصاعداً سيحميه ﷻ من ضرر الناس وخاصة أعداء الدين منهم. ومن ثم فلا مجال لخوف أو تردد. ويمكن فهم هذا الموضوع بشكل أكثر سهولة بواسطة الرواية التالية:

عن عائشة ﵂ قالت:"سهر رسول الله ﷺ، ليلة مقدمه المدينة.

فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**»

قالت: وسمعنا صوت السلاح.

فقال: «**من هذا؟**»

قال: سعد بن أبي وقاص.

فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**»

قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ. فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ. ثم نام."[١]

وعن عائشة ﵂ أيضاً أنها قالت:

كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: {**والله يعصمك من الناس**} فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «**يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله**»[٢]

١٦. سيدنا رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة (سورة الأحزاب، الآية، ٢١)

لو أن الناس اتخذوا من رسول الله ﷺ أسوة حسنة ونموذجاً لهم يقتدون به في الحرب والسلام والعبادة والأخلاق وفي كل نواحي الحياة، لوصلوا لا محالة عند الله إلى مرتبة العبد الصالح وعاشوا حياةً ملؤها العزة والشرف ونجوا من السقوط في وضع مفجع يدعو للألم كهذا:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾

تفسير الآية:

الآية رقم ٢١: رسول الله ﷺ هو المثال الكامل والنموذج الأسمى فضيلةً والذي يحتذي به الإنسان من كل مستوى وطبقة في الحياة. وقد بلَّغ عليه الصلاة والسلام أحكام الدين بشكل شفهي، وطبقها وأوضحها

---

١ البخاري، الجهاد، ٧٠/ ٧٢٣١؛ مسلم، فضائل الصحابة، ٣٩-٤٠/ ٢٤١٠.

٢ الترمذي، التفسير، ٤/ ٥/ ٣٠٤٦.

وعرَّفها في حياته الخاصة. فهو ﷺ القدوة والأسوة الحسنة في الاعتقاد والعمل والمعاملات والأخلاق والآداب. وهو قدوتنا التي نتصرف احتذاءً بها في الحرب والسلم، في السراء والضراء، في الشدة واليسر.

لقد كان الرسول ﷺ هو القدوة في كل نواحي الحياة؛ فهو المرشد في الحياة القلبية المعنوية، والعالم والمعلم، وأفضل نماذج الخُلُق كمالاً، وهو المربي، ورجل الدولة، هو القائد، والدبلوماسي، هو الزوج والأب والصديق، هو الجار وفرد عادي بين الناس.

لهذا السبب ينبغي على المؤمنين أن يتخذوا من شخصية رسول الله ﷺ قدوة لهم في كل نواحي حياتهم، وأن يأخذوا القسطاس الفعلي من كلامه وفعله وسلوكه، ويُشَكِّل شخصيته وسجيته وفق ذلك.

تتحدث الآية هنا عن الصفات المُمَيِّزة للأشخاص الذين يتخذون من رسول الله ﷺ قدوة لهم، ويجبرون أنفسهم على هذا. وهذه الصفات هي:

١. **الإيمان بالله ﷻ**: يخافون مقام ربهم، ويخشون الحساب عما اقترفوه في الحياة الدنيا. ولا يمكن لأحد لا يحب الله ﷻ ولا يخشاه أن يؤمن به.

٢. **الإيمان بالآخرة**: هو المعرفة اليقينية بأن ما اقترفوه سيوضع في ميزان حساس، وأنهم سيرون في المقابل الخير أو السوء. لذلك لا يمكن أن يقتدي برسول الله ﷺ أولئك الذين يئسوا من رحمة الله ﷻ، وأنكروا قيام الساعة، وتوجهوا إلي الدنيا وملذاتها بكل طاقتهم وهمتهم.

٣. **الإكثار من ذكر الله ﷻ**: لهذا السبب لا يمكن لمن غفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى أن يتخذ من الرسول الأكرم ﷺ قدوة يحتذى بها.

يقول حاتم الأصم وهو من أولياء الله ﷻ:

هناك ثلاثة أشياء لا تنتظر بعدها شيئاً آخر:

- من يدعي أنه يخاف الله ﷻ ويقف على الحرام ولا يجتنب الشبهات فقد كذب
- من يطلب الجنة ولم ينفق ماله في سبيل الله ﷻ فقد كذب.
- من يدَّعي أنه يحمل في قلبه محبة رسول الله ﷺ، ولا يحب الفقر فقد كذب.[١]

و هذا يعنى أن الذين يؤمنون بالله ﷻ، ويحملون في قلوبهم أمل الوصول إلى رحمة الله ﷻ ولطفه، ولا يُسقِطون ذكر الله ﷻ من ألسنتهم، وقلوبهم بين خشية ورجاء، ولا يرتابون في مجيء يوم يقفون فيه للحساب يرتبط فيه الحكم النهائي على أقوالهم وأفعالهم في الحياة الدنيا على مدى امتثالهم للنماذج الحسنة – وكلها حسنة – التي عرضت لها حياة الرسول ﷺ من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وشخصية،

١ انظر: موسوعة الأولياء، جـ ١، ص ٣٦٢-٤٦٢.

هؤلاء الأشخاص هم الذين يبذلون كل طاقاتهم كي يأخذوا من القدوة الحسنة ﷺ نموذجاً لهم يحتذون به في حياتهم. وهم الذين يبحثون عنده عن النجاة لأنفسهم. يقول المولى ﷻ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾[١]

تفسير الآيات:

الآية رقم ١٢٨: تصف هذه الآية خمساً من صفات نبينا المهمة:

أ. **رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**: سيدنا محمد ﷺ هو رسول مثل باقي الرسل اصطفاه الله ﷻ من بين الناس وأرسله لهدايتهم. وقد وصف الله تعالى رسوله الكريم ﷺ في عدد كبير من آيات القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾[٢]

فلو كان النبي ﷺ من الملائكة لصَعُبَ الأمر على الناس.[٣] لذا جاء النبي ﷺ من بين العرب الذين نزل فيهم القرآن. ولهذا السبب وَجَّه القرآن الكريم خطابه في البداية إلى العرب؛ وبواسطتهم قدَّم رسالته إلى الإنسانية جمعاء. لهذا السبب حثَّ الله تعالى بالآيات العرب كي يقدموا العون إلى رسول الله ﷺ، ويسارعوا في خدمته، فكأنه أراد بذلك أن يقول لهم " أن الشرف والرفعة الذي سيتحقق لأجل هذا النبي ﷺ سيكون مدعاة للفخر بالنسبة إليكم. لأنه جاء من نسلكم"

ب. **عَزِيزٌ**: يبين هذا الوصف كيف أن رسول الله ﷺ هو النبي الذي حاز العزة والشرف والرفعة. وحياة سيدنا النبي ﷺ مليئة بنماذج لا تحصى للعزة والشرف. وقد استمد أعظم شرف عنده من إخلاصه العبودية لله ﷻ. ولم يثبت في حياته حتى موقف صغير واحد التي قد يلوث عزته وشرفه.

ج. **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**: يُعنى بكلمة "عَنَت" هنا "أن يقع الشخص في أزمة أو ضائقة لا يستطيع الخروج منها، ويخشى على إثرها من الهلاك والتلف." ولهذه الكلمة معاني أخرى مثل "التعب، الصعوبة أو العُسر". فالإنسان يصعب عليه ويعانى إذا تعرض لشر وشعر بالحزن. ولكن النبي ﷺ صاحب العزة الرفيعة لا يرضى أن يتعرض واحد من أبناء جلدته لموقف صعب أو محنة. ولأنه من نفس جنسكم،

---

١ التوبة، ١٢٨-١٢٩.

٢ الكهف، ١١٠.

٣ انظر: الأنعام، ٩.

ولأنه صاحب العزة فهو يشعر في قلبه بكل أحزانكم وهمومكم، ويحس آلامكم. يتحدث الشاعر كمال زاده أكرم في هذا البيت عن حال النبي ﷺ الذي نحن بصدد الحديث عنه، فيقول:

كلما أصغيت سمعت بروحي هذا الصوت كنت أئن مع صوت أنين كل بلبل[١]

كان الرسول الأكرم ﷺ يشعر بحزن دفين على عدم إيمان القوم الذين أُرسل إليهم رحمة. لهذا السبب كان يجد العزاء في آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[٢]

وبسبب خلقه الرفيع كان يعامل أمته باللين والرفق؛ ويحذرهم من العذاب الذي سيتعرضون له في الدنيا والآخرة. واجتهد معهم حتى لا يكونوا ممن سيستحقون عذاب الله ﷻ. لهذا السبب سيشفع في أرض المحشر لكل من يستحق شفاعته؛ وسيكون هو الوسيلة التي سيدخلون بها الجنة بعد أن ينتهوا من الحساب. وقد ذكر القرآن الكريم أن الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ إنما جاءت متوافقة مع خلقه؛ وأن الله ﷻ يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر.[٣]

د. **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ: الحرص**، هو الشعور بالرغبة المفرطة تجاه شيء ما. أما كلمة " **الحريص** " فتطلق على الشخص الذي يُوصف بهذه الصفة، أي صفة الحرص. لهذا السبب جاء أسلوب المبالغة المُبيَّن هنا باستخدام هذه الكلمة، جاء ليعبر عن رغبة وشغف وولع شديدين. ومما لا شك فيه أن ذلك النبي ﷺ كان شديد الحرص على هداية أمته وخيرها الدنيوي والأخروي، المادي والمعنوي. وبقدر حرصه على ألا يتعرض أي منهم للإيذاء بالكلمة أو لأي شيء من هذا القبيل، فقد حاول بكل ما أوتى من طاقة انطلاقاً من حرصه عليهم أن يصل بهم إلى أسمى درجات السعادة، ويخرجهم إلى السلامة، وحتى ينالوا الجنة ورضوان ربهم. وبسبب حرص نبينا ﷺ نبي الرحمة بأمته وولعه بها فإنه لم ينسهم في أي وقت، وسينتظرهم على حوض الكوثر ويبشرهم أنه سيدعو الله ﷻ يوم القيامة بأعظم دعاء كي يغفر لهم ويعفو عنهم.

٥. **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**: الرأفة، هي منتهى الرحمة والعطف. والرأفة بهذا المعنى هي دفع البلاء والمصيبة والأشياء الضارة عن الشخص الذي يعانى. أما كلمة رءوف هنا فتعني صاحب الرأفة الشديدة. أما

---

١ كلمة "الصوت" في الشطر الأول من البيت تساوي في المعنى كذلك " الصدى، النغمة، لحن "، أما كلمة " أنين " في الشطر الثاني فتعنى "نحيب".

٢ الكهف، ٦.

٣ انظر: البقرة، ١٨٥.

الرحمة فهي " السكينة والشفقة التي يمنحها ذؤو القلوب الكبيرة للشخص الذي يحتاج للود والعطف والحنان." أما الصفة رحيم؛ فتطلق على أصحاب الرحمة الشديدة. لقد سمّى الله تعالى نبينا ﷺ بأرفع الأسماء وهما اسما "الرءوف" و"الرحيم" وكلاهما من أسماء الله الحسنى. ومن الثابت أن الله جل شأنه لم يطلق على أي من الأنبياء السابقين اسمين من أسمائه الحسنى دفعة واحدة، فقط نبينا ﷺ أطلق عليه اسمي " رءوف " و" رحيم ". وقد تحدث القرآن عن " ذات ذي الجلال " في قوله تعالى: ﴿... **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1] ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل وبوضوح على شرف ورفعة نبينا ﷺ عند الله تعالى.

لقد أمر الله تعالى النبي ﷺ في عدد كبير من آيات القرآن الكريم أن يعامل المؤمنين بالرحمة واللين وأن يخفض جناحه لهم.[2]

خفض نبينا ﷺ الذي أحس بمشاعره العميقة وفهم المعاني التي حملها الخطاب الإلهي له، خفض جناحه لنا، لأمته بمحبة أعظم من حرص الأم على ولدها، وعاش طيلة حياته يكرر " أمتي، أمتي .... ". وقد كان شلال الرحمة ﷺ يخاطب أصحابه، ويقول:

رحل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو يقول " **أمتي، أمتي** ...".

تحلى ولي الله أحمد الرفاعي بحس الرحمة والشفقة النبوية التي تجلت لأمة سيدنا محمد ﷺ، يحكينا عن هذا خادمه يعقوب (رحمة الله عليه)، ويقول:

- " مرض سيدي أحمد. واستلقى وصار على فراش الموت. لقد فهمت هذا، وقلت له:
- " لقد بدا العُرس[3] هذه المرة "
- " نعم، هو كذلك..." فسألت عن حكمة ذلك; فاستمر في حديثه قائلاً:
- " لقد حدثت بعض الأمور. و نحن ابتعناها بالأرواح". ثم استطرد موضحاً المقصود من قوله:
- " كان ينزل بالناس بلاء عظيم. فاشتريت منهم هذا البلاء بما بقي من عمري، وأعطيت نفسي ثمناً له."

بدأ بعد ذلك يمس الأرض بوجهه. وكان كلما رفع وجهه عن الأرض، كان وجهه ولحيته تمتلئان بالتراب. أخذ يبكي، وهو يقول:

---

١ البقرة، ١٤٣.
٢ انظر: الحجر، ٨٨؛ الشعراء، ٢١٥.
٣ العُرس: ليلة الزفاف. وقد أُستخدمت هنا بمعنى " الموت " لأن الموت عند أولياء الله هو عُرس يلتقي فيه الحبي بمن أحب محبة معنوية قلبية.

- "عفوك... عفوك يا إلهي! رب اقبلني عوضا عما سيحل بهؤلاء القوم من بلاء.... رب آتني ما سيحل بهم من بلاء !".[١]

ينبغي أن نوضح هنا أنه ينبغي على أي شخص يقع على عاتقه مهمة تبليغ دين الإسلام أن يبذل قصاري جهده حتى يحوز قدر الإمكان على خصوصيات رسول الله ﷺ التي أحصيناها. لأن هذه الصفات الفاضلة تقوم بوظيفة المفتاح للإتحاد مع الإسلام وتمثيله والنفاذ إلى أرواح الناس وجذبهم إلى هذا الدين العلوي. فسر النجاح مُستتر في هذا الكمال الأخلاقي.

الآية رقم ١٢٩: هذه الآية فيها عزاء لرسول الله ﷺ، ولصفوة المؤمنين الذين انشغلوا بمهمة تبليغ الدين اقتداء به. لأنه سيكون منهم أي من هؤلاء القوم من سيقبل بالحق ومنهم من سيُحوِّل وجهه عنه. المهم هنا أن نعمل على إتمام المسئولية الملقاة على عاتقنا على أكمل وجه. وسيكفي الله ﷻ الذين يبذلون الجهد ويضعون عزمهم وإرادتهم لخدمة هذا الطريق، والذين يثقون فيه جل شأنه ويتوكلون عليه، ويحميهم من الأضرار ويساعدهم على إدراك النجاح. لأنه هو رب العرش العظيم؛ وهو القادر المتحكم في كل شيء.

١ انظر: موسوعة الأولياء، جـ ٢، ٧١٥.

مفاتيح الأجوبة

الوحدة الأولى

ب- الإجابة الصحيحة

١. أ ٢. ج ٣. ب ٤. د

٥. ج ٦. هـ ٧. د ٨. أ

٩. هـ ١٠. د ١١. ب.

ج - الفراغات

١. المصحف. ٢. خُلق. ٣. المعوذتين.

٤. مكية. ٥. توقيفي.

الكلمات المتقاطعة

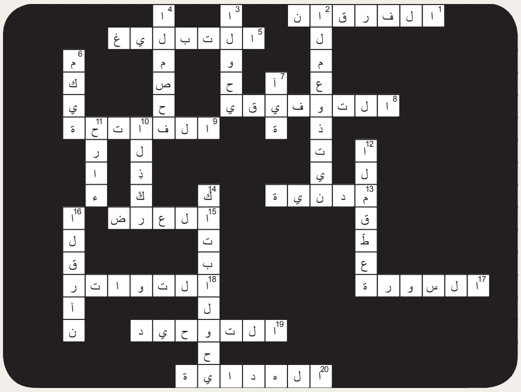

الوحدة الثانية

ب- الإجابة الصحيحة

١. د ٢. أ ٣. ج ٤. د

٥. أ ٦. د ٧. ب ٨. ج

٩. أ ١٠. د

ج - الفراغات

١. فترة الوحي. ٢. نبوة. ٣. كتبة وحي.

٤. العرض. ٥. المصحف.

الكلمات المتقاطعة

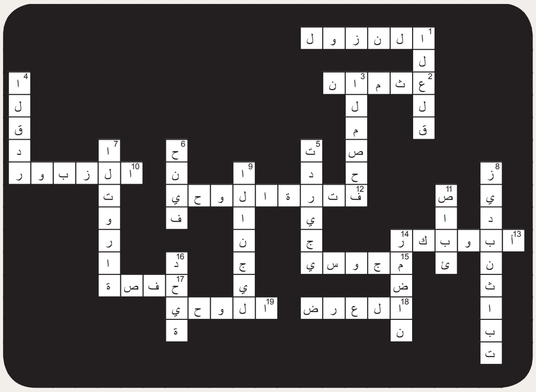

الوحدة الثالثة

ب- الإجابة الصحيحة

١. د ٢. هـ ٣. ب ٤. ب

٥. د ٦. ب.

الكلمات المتقاطعة

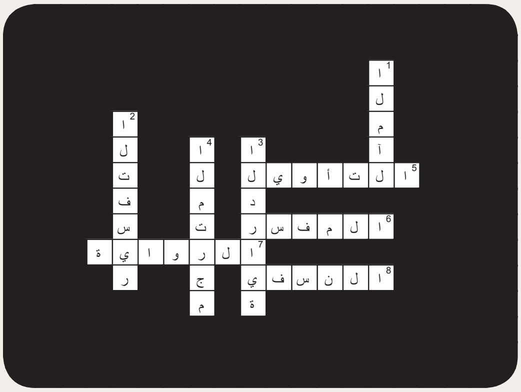

ج – الفراغات

١. الرواية. ٢. المآل . ٣. الدراية.

٤. اللفظية. ٥. القرآن. ٦. الصحابة.

الوحدة الرابعة

ب- الإجابة الصحيحة

١. ج ٢. ب ٣. ج ٤. د ٥. أ

الكلمات المتقاطعة

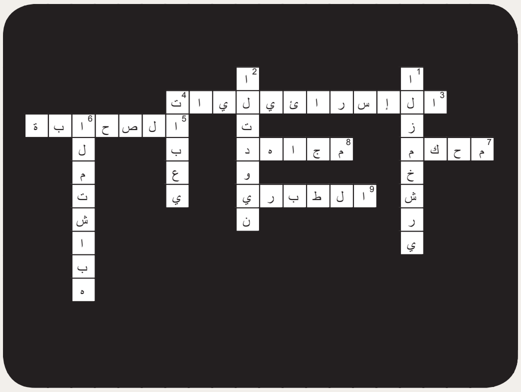

ج – الفراغات

١. أبو السعود أفندي. ٢. أحكام القرآن.

٣. الصوفية. ٤. الإسرائيليات.

٥. الرابع. ٦. التابعون.

الوحدة الخامسة

ب- الإجابة الصحيحة

١. أ ٢. د ٣. هـ ٤. أ

٥. ب ٦. ج ٧. ب

ج - الفراغات

١. الناسخ. ٢. المُتشابه. ٣. سبب النزول.

٤. المُحكم. ٥. المُبهمات.

٦. النظائر (المُترادفات). ٧. غريب القرآن.

الكلمات المتقاطعة

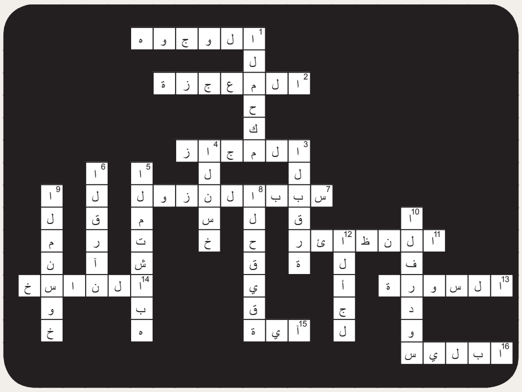

الوحدة السادسة

ب- الإجابة الصحيحة

١. أ ٢. أ ٣. ج ٤. أ

ج - الفراغات

١. فخر الدين الرازي. ٢. ابن كثير .

٣. القاضي البيضاوي. ٤. التفسير الكبير.

٥. عبد الله بن عباس.

الكلمات المتقاطعة

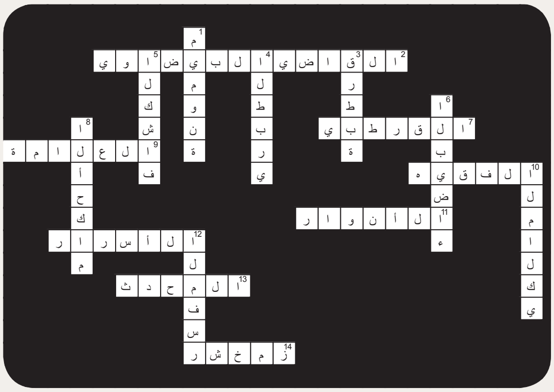

د – زاوجوا بين أسماء المفسرين التي وُضعت بشكل غير مرتب و أسماء الكتب الخاصة بهم:

اسم المُفَسِّر	الرقم	اسم التفسير	الرقم
عبد الله بن عباس	١	الجامع لأحكام القرآن	٥
جار الله عمر الزمخشري	٢	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	٧
فخر الدين الرازي	٣	الكشَّاف	٢
محمد البيضاوي	٤	تفسير القرآن العظيم	٦
محمد بن أحمد القرطبي	٥	أنوار التنزيل و أسرار التأويل	٤
ابن كثير	٦	مفاتح الغيب	٣
محمد جرير الطبري	٧	تفسير ابن عباس	١

دار الأرقم
للنشريات والمطبوعات

كتب إسلامية مجاناً

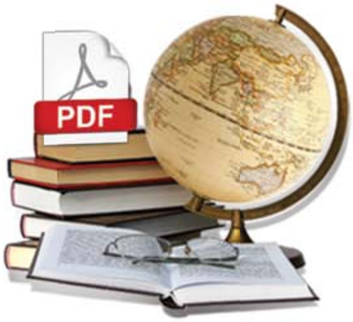

يمكنكم الآن تحميل حوالي ١١٨٠ من الكتب الإسلامية بـ ٥١ لغة من الإنترنت مجاناً

كتب إسلامية بلغات مختلفة وبصيغة pdf جاهزة للتحميل من موقع www.islamicpublishing.net

تستطيع الآن طباعة النسخ بصيغة الـ pdf أو تحميلها على الحاسوب وإرسالها لأصدقائك عبر البريد الإلكتروني.

الإنكليزية - الفرنسية - الإسبانية - الروسية - الإيطالية - البرتغالية - الألمانية - الألبانية - العربية - الأذرية - الباشكيرية - البنغالية - البوسنية - البلغارية - الصينية التتارية القرم - الهولندية - الجورجية - الهندية - الألمانية الهوسا - المجرية - الإندونيسية - الكازاخستانية - التترية قازان - القرقيزية - اللتوانية - ليتوانيا - اللوغندية المسخيت التركية - الماليزية - الرومانية - المنغولية - المورية - التركمانية - التيغرينية - السواحلية - الطاجكية - الأمهارية - الصينية التقليدية - الكورية التوية الأوكرانية - الأغورية - الأوزبكية - الولوفية - الزرمية - الأورمية - الفارسية - الأردية - السلوفينية - الكردية

www.islamicpublishing.net

دار الأرقم